الصحة النفسية والجريمة الجنائية

تأليف
الدكتور
عبد الرحمن العيسوي
أستاذ ورئيس قسم علم النفس
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

المكتب العربي الحديث
ت/ ٤٨٢٦٤٨٩ إسكندرية



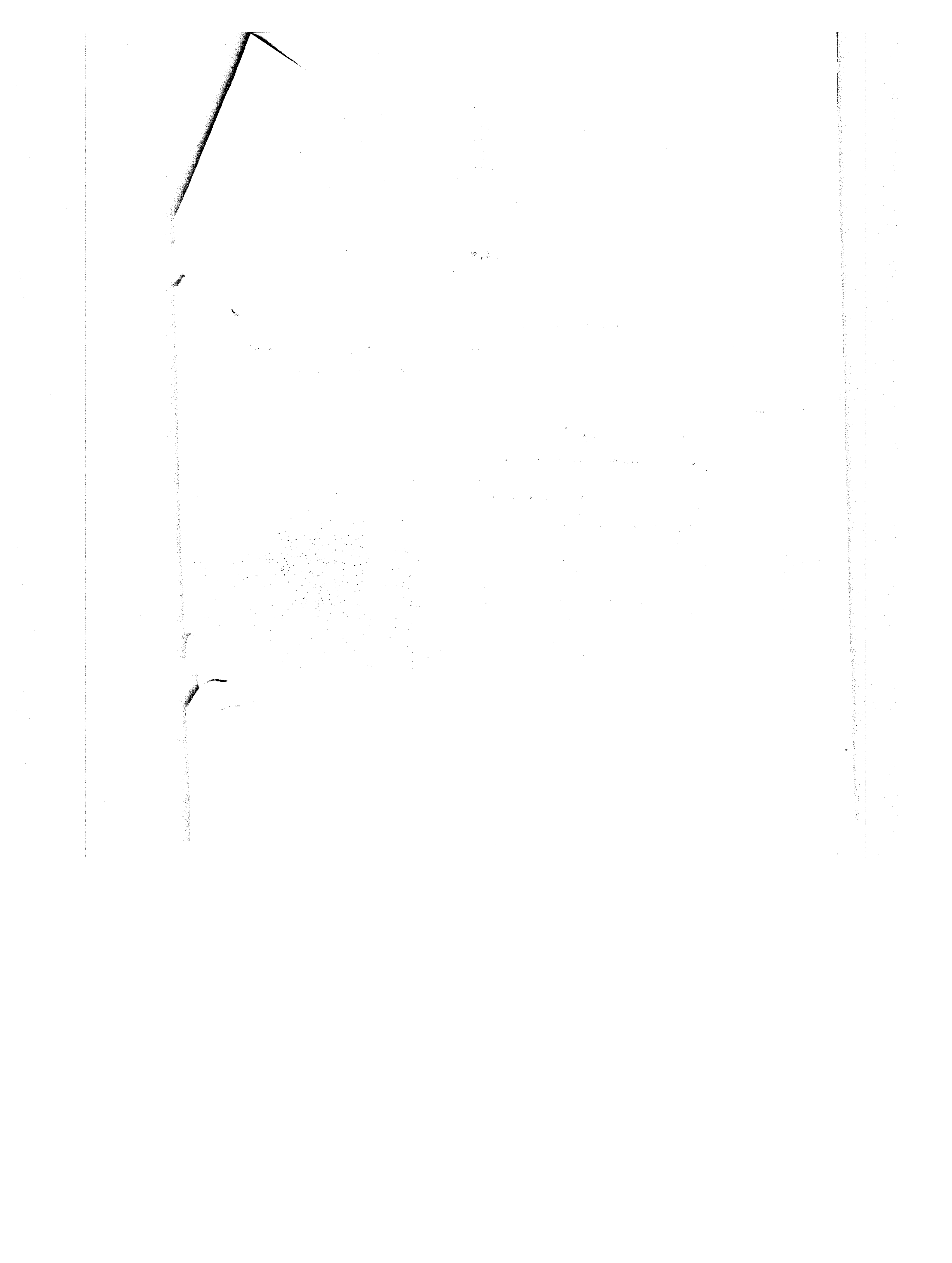


إهداء

إلى المهتمين بأمن المجتمع وسلامة المواطنين والقائمين على تحقيق العدالة والمهتمين بعلاج المرضى والشواذ والمنحرفين . . . أهدي هذا العمل المتواضع لعله يحقق بعض النفع .

المؤلف
د . / عبد الرحمن محمد العيسوي

أستاذ ورئيس قسم علم النفس
بكلية الآداب بجامعة الأسكندرية

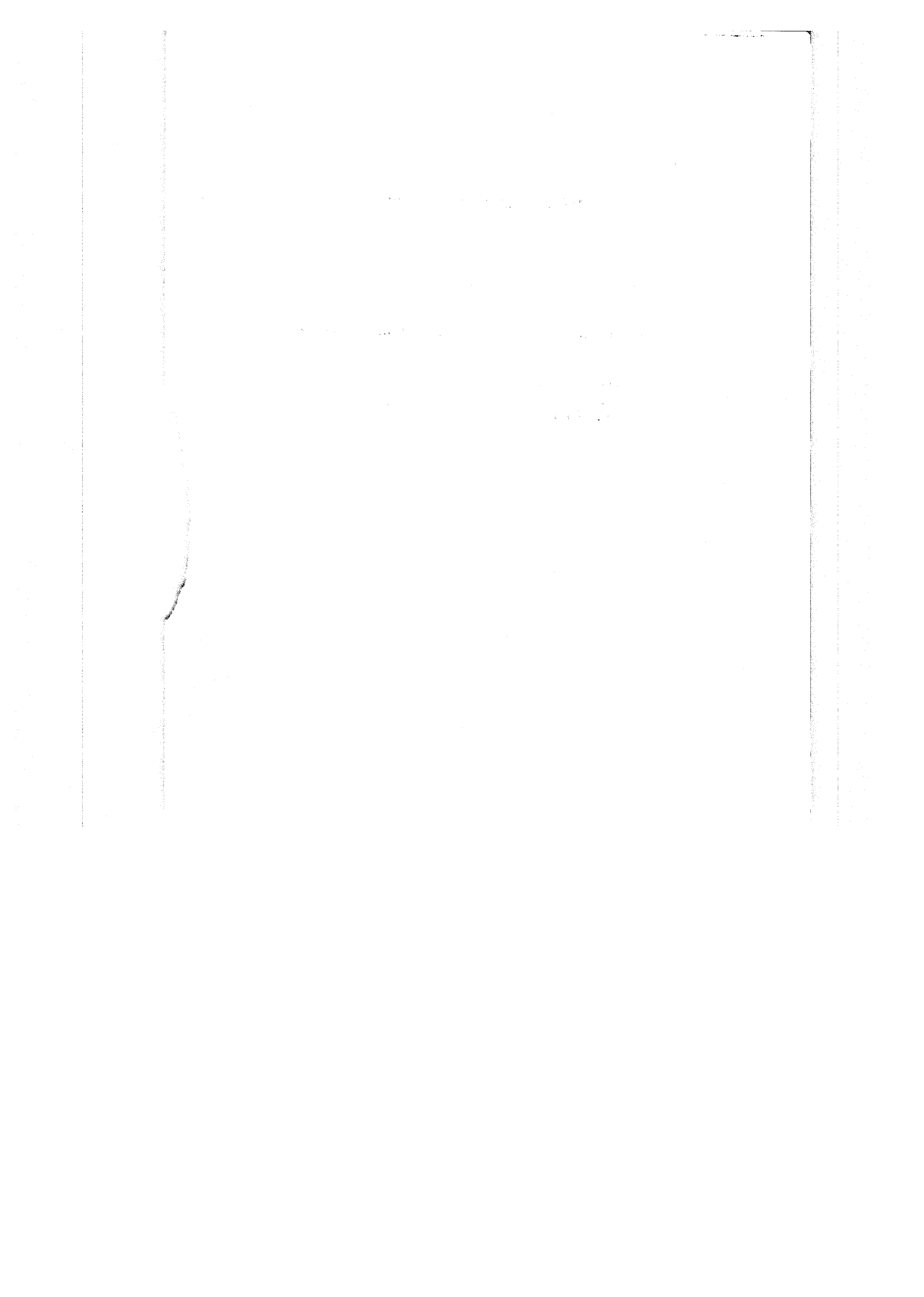


بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿ ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون ﴾

صدق الله العظيم

« البقرة / ١٩٤»



تقديم

يسعدني أن ألتقي بالقارىء العربي الكريم ، محب الثقافة العامة والمتخصص في المجالات النفسية والتربوية والاجتماعية والجنائية والقانونية على صفحات هذا الكتاب .

ولعله يجد في هذا العمل المتواضع بعض النفع . ونحن في مسيس الحاجة إلى مؤلفات علمية في مجالات يندر فيها التأليف كعلم النفس الجنائي - موضوع هذا الكتاب ، وعلم النفس القضائي . وقارىء العلوم السلوكية الحديثة يلمس نقصاً كبيراً في مجالات مثل علم النفس البيئي وعلم النفس العسكري والقضائي والجنائي والتجاري والسياسي والديني والإداري ، ولذلك المأمول أن تتجه اهتمامات المؤلفين في عالمنا العربي لسد النقص في هذه المجالات الخصبة وأن توجه إليها عناية البحوث الميدانية .

والكتاب الذي اشرف بأن أضعه بين يديك من علم النفس الجنائي : « أسسه وتطبيقاته العملية » محاولة متواضعة لاستعراض الموضوعات التي يمكن أن يتضمنها مثل هذا العلم الناشىء والمناهج التي استخدمها العلماء في دراسة دوافع الجريمة وأسبابها والنظريات التي توصلوا إليها لتفسير الظاهرة الإجرامية أو السلوك المنحرف أو الشاذ والأسباب الوراثية أو الاجتماعية أو البيئة المكتسبة أو النفسية أو العضوية والعصبية التي تكمن وراء الجريمة . وسيجد القارىء العزيز أنه لا مفر من الاعتقاد بأن الجريمة وليدة مجموعة متضافرة من العوامل النفسية والعقلية والاجتماعية والوراثية والميلادية والجسمية وأن الاتجاه الذي يمكن الاطمئنان إليه هو الاتجاه المتعدد العوامل في تفسير السلوك الإجرامي .

كذلك يستعرض الكتاب كثيراً من موضوعات علم النفس الجنائي والعوامل التي تؤثر في صحة شهادة شهود العيان وفي حكم المحلفين وفي القضاة . ويستعرض عدداً من الدراسات التي أجريت في مسائل الإدانة وإصدار الأحكام والعوامل التي تؤثر فيها .

كذلك يستهدف الكتاب بيان الشخصية السيكوباتية والعوامل المؤثرة في نموها وانماط سلوكها وإلى جانب ذلك ينحو الكتاب منحى عملياً تطبيقياً باستعراض العوامل النفسية المرتبطة بالتحقيق الجنائي وسمات المحقق الناجح والعوامل التي قد تؤثر فيه ويعالج الكتاب قضايا الجرائم الجنسية والانحرافات ومظاهر الشذوذ في هذا الصدد علاجاً علمياً وكذلك الإدمان وأثره في وقوع الجرائم . والكتاب مجرد دعوة للاهتمام في عالمنا العربي بدراسة الجريمة والمجرمين ووضع البرامج والأساليب التي تكفل مكافحة الجريمة باستخدام أقصى ما توصل إليه العلم الحديث . وكذلك علاج من يقترف عملا إجرامياً والعمل على إعادته إلى حظيرة السواد والمجتمع . ولذلك أهمية بالغة سيما وإننا نبني أو نعيد بناء مجتمعاتنا ونضطلع بحركة تنمية شاملة نحتاج فيها إلى كل جهد وكل زاد وكل طاقة خيّرة نافعة .

والجريمة مرض اجتماعي لا بد من مقاومته والتصدي له أولى سبل التصدي معرفة أسباب الجريمة . ولذلك عني الكتاب استعراض النظريات المختلفة التي فسرت السلوك الإجرامي والآراء القائلة بالمجرم المطبوع أو المجرم بالوراثة، كقول الطبيب الإيطالي المعروف لامبروزو وغيره من علماء الإجرام وعلماء النفس، والمجرم بالصدفة والمجرم المجنون هذا والله ولي السداد والتوفيق .

المؤلف

د . / عبد الرحمن محمد العيسوي

أستاذ ورئيس قسم علم النفس
بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية بمصر

الفصل الأول

التعريف بعلم النفس الجنائي ودراسة الجريمة

- العلاقة بين علم النفس الجنائي وعلم الإجرام .
- دراسة السلوك الإجرامي .
- تعريف علم النفس الجنائي .
- تعريف علم النفس القضائي .
- العوامل التي تؤثر في التحقيق الجنائي وإثبات الإدانة .
- الهدف من السلوك الإجرامي .
- الجرائم أمراض تصيب المجتمع .
- نظرية التناسل الرجعي .
- إجراء دراسات مقارنة بين الاسوياء والمجرمين .
- البناء الغدي للمجرمين .
- نزعة استهداف الجريمة .
- العوامل النفسية والاجتماعية في الجريمة .
- أثر الفلكلور في جرائم القتل .
- عوامل الجنوح .
- الموقف القرآني من القتل .
- المسئولية الجنائية والاجتماعية والجزاء .
- فلسفة العقاب .
- طبيعة مبحث الجريمة .
- العوامل النفسية المرتبطة بالجريمة .
- العوامل الحيوية المؤثرة في الجريمة .
- الاضطرابات السسيوباتية .
- السلوك السيكوباتي والشخصية السيكوباتية وسماتها .

التعريف بعلم النفس الجنائي ودراسة الجريمة
Criminal Psychology.

يعرف هذا الفرع من فروع علم النفس التطبيقي بأنه يهتم بدراسة أسباب الجريمة ودوافعها الشعورية والاشعورية والفطرية والمكتسبة وكذلك الأسباب الاجتماعية التي تؤدي إلى الجريمة والجنوح حيث يحاول الكشف عن العوامل التي تدفع الفرد لارتكاب العمل الإجرامي . ويستفيد علم النفس الإجرامي في دراسته بمكتشفات ومنجزات كثير من فروع المعرفة الأخرىٰ كعلم نفس النمو وعلم نفس الشخصية وعلم النفس الاجتماعي كما يستفيد من علوم الطب والاجتماع وعلم الوراثة[1].

ويتصل علم النفس الجنائي بكثير من المصطلحات الجنائية أو الإجرامية الأخرىٰ ومن ذلك ما يلي :

١ - الجريمة Crime

٢ - هجوم إجرامي أو إعتداء إجرامي . Criminal Assault

٣ - القانون الجنائي Criminal Law

٤ - المسئولية الجنائية Criminal Responsibility

٥ - النمط الإجرامي Criminal Type

٦ - شبيه بالمجرم أو يشبه المجرمين Criminaloid

٧ - الميل العصبي للإجرام Criminasis

٨ - علم الإجرام أو علم الجريمة أو مبحث الإجرام والمجرمين Criminolagy [2] .

---

(١) محمود السيد أبو النيل ، معجم علم النفس والتحليل النفسي دار النهضة العربية بيروت - لبنان - بدون تاريخ ص ٣١٨.

(٢) د . / حامد زهران ، قاموس علم النفس ، القاهرة ١٩٧٢ ص ١٢٤ دار الشعب بالقاهرة .

■ العلاقة بين علم النفس الجنائي وعلم الإجرام

هناك صلة وثيقة بين مبحث علم النفس الجنائي وعلم الإجرام ، فبالنسبة لعلم الإجرام الفرنسي: كان أول ظهور لاستخدام مصطلح علم الإجرام يرجع إلى كتابات عالم الانتروبولوجيا توبي نارد Topinard في أواخر القرن التاسع عشر ، ومع ذلك فهناك بعض الدراسات السابقة على هذا التاريخ مثل دراسة سيزار بيكاريا C. Becaria ١٧٣٨ : ١٧٩٤ . وجيرمي بينتام J. Bentham ١٧٤٨ : ١٨٣٢ . وأندريه جوري André Guorry الذي حلل التوزيع الجغرافي للجريمة في فرنسا ١٨٢٩ . وقد اهتمت هذه الدراسات جميعاً بتحليل الجريمة كظاهرة اجتماعية . وفي مقابل هذه الدراسات نجد دراسات لومبروزو Lombroso ١٨٣٥ ـ ١٩٠٩ وتلميذه أنريكو فيري E. Ferri ١٨٥٦ ـ ١٩٢٨ ، وغيرها من أصحاب المدرسة الوضعية الجنائية ، الذين حاولوا استخدام مناهج الانتروبولوجيا في محاولتهم وضع نظرية بيولوجية عامة عن الجريمة . وتمتد جذور علم الجريمة الحديث أو علم الإجرام Criminolagy للعديد من العلوم الاجتماعية مثل : علم الاجتماع وعلم النفس والصحة النفسية والقانون وذلك لأنه يشمل على دراسات مثل :

(أ) طبيعة ، واشكال ومجالات الأفعال الإجرامية ، وتوزيعها الاجتماعي والجغرافي والزمني .

(ب) الخصائص الفيزيقية والأصول الاجتماعية للمجرمين المذنبين ، والعلاقة بين الجريمة والسلوك الشاذ .

(جـ) السلوك غير الإجرامي ، واللاجتماعي في الوقت ذاته ، وبخاصة ما يدخل في نطاق الجريمة في بعض البلاد ، ولا يعد كذلك في بلاد أخرى ، وذلك مثل الجنسية المثلية ، والدعارة . والانتحار .

(د) إجراءات البوليس والمحاكم التي تشمل على دراسة ممارسة الحكم والمؤثرات الاجتماعية على القضاه والمحلفين وبعض المشكلات المتعلقة بالشهود والأدلة .

(هـ) وسائل العقوبة ، وتدريب وتهذيب مرتكبي الجرائم .

(و) أساليب منع الجريمة والوقاية منها .

(ز) البناء الاجتماعي والتنظيمي للأجهزة الجنائية والنظم العقابية. ويرى بعض العلماء أن علم الجريمة يشتمل على دراسات أخرىٰ في أصول وتطور القانون الجنائي والاتجاهات العامة نحو الجريمة والمجرمين.

- دراسة السلوك الإجرامي

المعايير القانونية والاتجاهات الاجتماعية تتعلق بأنماط مختلفة من المجرمين والجرائم ويمكن أن تستوعب دراسة علم الإجرام كلاً من: علم الاجتماع القانوني وتحليل نظريات الصراع والمدخل النظري للبحث والعوامل الأساسية للجريمة في المجتمع.

ومن الجدير بالذكر أن علم الإجرام وعلم العقاب ميدانان متفرعان عن علم الاجتماع، ويحاول فيهما الباحث أن يصوغ، وأن يختبر نظريات تتعلق بنشأة القانون الجنائي والعقوبات، والأسباب التي تدفع الناس إلى انتهاك القانون والنتائج المترتبة أو المصاحبة اجتماعياً وقانونياً. ومن الواضح أن كلا العلمين يعنى بأساليب تنفيذ الجزاءات العقابية والامتثال للمعايير الاجتماعية والظروف المؤدية إلى عدم الامتثال ومثل هذا الاهتمام يرتبط بصورة مباشرة بميدان الضبط الاجتماعي في علم الاجتماع ويهتم علماء الإجرام في الوقت الحاضر بدراسة هذه النظم في المجتمعات المتحضرة حيث يضطر عالم الجريمة إلىٰ تعريفها - أي الجريمة - بأنها فعل يحرمه القانون ويعاقب عليه. وهناك شبه اتفاق بين علماء الإجرام في مجالات الدراسة التي تشتمل على البيانات الإحصائية المتعلقة بالجريمة ومعدلات الجرائم والنظم البوليسية لمنع الجريمة ونظام المحاكم وأساليب ومعالجة المجرمين وعقابهم والتحليل المنظم للظروف الاجتماعية المصاحبة للسلوك المنحرف. وعلىٰ الرغم من أن علم الإجرام يهتم بتطوير بناء نظري يفسر أسباب الجريمة والطرق التي يمكن استخدامها لمنع الانحراف، إلا أنه ميدان يغلب عليه الطابع التطبيقي أو العملي بصورة واضحة.

---

(١) د. / محمد عاطف غيث وآخرون، قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب - اسكندرية ١٩٧٩ ص ٩١٥.

أما انجلش فيعرف علم الإجرام أو علم الجريمة بأنه الدراسة المنظمة للجريمة والمجرمين مع الإشارة الخاصة لعوامل الشخصية والظروف الاجتماعية التي تقود نحو القرب أو البعد عن الجريمة[١].

يعرف البعض علم النفس الجنائي بأنه هذا الفرع الذي يدرس سلوك المجرم ودوافعه وحاجاته النفسية كما يبحث في وسائل كشف هذا السلوك الإجرامي ويستخدم في ذلك المقاييس وبعض الأدوات التي تقيس سرعة التنفس وضغط الدم وشدة التيار الكهربي كالينوموجراف والسفيجوموتر والجلفانومتر على التوالي كما يبحث هذا الفرع في بعض الأسس النظرية للإدراك والتذكر والكف الترجيعي Retroactive Inhibition والكف التصعيدي Proactive Inhibition، وكذلك يدرس سيكلوجية الشاهد بالإضافة إلى اهتمامه بمشكلات الوراثة والضعف العقلي والمهارات الحركية والعاهات وسرعة الإستثارة . . . الخ.

ويستخدم هذا الفرع المنهج التجريبي في تناول الظاهرة الإجرامية ومشكلات الجنوح[٢].

وهناك حالات الإجرام التي ترجع لأسباب نفسية أو لأنعدام الحاسة الخلقية Criminal Psychopath [٣] أي حالات الانحراف السيكوباتي وهو انحراف سلوكي يسبب الجانب الخلقي من الشخصية حيث يفقد المنحرف الشعور بالذنب أو الإثم أو لوم الذات ويميل إلى الكذب والنسق والنفاق والنصب والاحتيال والجريمة والانتقام ولا يستفيد من العلاج النفسي ولا من خبراته السابقة ولا حتى من العقاب ويقال في حقه إنه يعض اليد التي تتقدم لنجدته[٤].

---

(١) د. عبد الرحمن العيسوي، قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية، الدار الجامعية، بيروت ٩٥.

(٢) د / عزيز حنا داود، د / زكريا الناسيوس، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٧٠، دراسات في علم النفس ص ١٥

(٣) د / عبد الرحمن العيسوي، قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية، الدار الجامعية، بيروت - لبنان ١٩٨٧ ص ٤٧.

(٤) المرجع السابق ص ١٩٥.

تعريف علم النفس الجنائي :

ويمكن تعريف علم النفس الجنائي بأنه ذلك العلم الذي يدرس أسباب الجريمة ودوافعها سواء أكانت هذه الدوافع نفسية أم اجتماعية كما يدرس وسائل مكافحة الانحراف ويساهم في وضع السياسة العقابية التي تستهدف إصلاح الفرد بدلاً من إنزال العقاب به[١].

تعريف علم النفس القضائي :

أما علم النفس القضائي Juridical Psy فيمكن تعريفه بأنه يدرس العوامل النفسية التي تؤثر في جميع المشتركين في الدعوى الجنائية كالقاضي والمتهم والمحامي والمجني عليه والشهود والمبلغ والجمهور عامة والعوامل التي تؤثر في القاضي كالصحافة والإذاعة . ويستهدف مراعاة الظروف النفسية للمجرم ، ويدرس قدرة الشهود على التذكر ، والعوامل التي تؤثر في الشهادة كما يدرس أثر الإيحاء في نفسية المشتركين في الدعوة وما يمكن أن يؤثر به الرأي العام والصحافة والإذاعة وحتى ما يتردد من إشاعات وذلك في توجيه الدعوى وجهة معنية[٢].

كما يهتم علم النفس بالجريمة كنوع من أنواع السلوك غير العادي ، فهو يرى أن السلوك الإجرامي عبارة عن استجابات لأفراد فشلوا في توافقهم مع أنفسهم وفشلوا في توافقهم مع المجتمع الذي يعيشون فيه . ويرى علماء النفس أنه على الرغم من انه يمكن اعتبار الاضطراب الانفعالي والاضطراب الاجتماعي ظاهرتين إكلينيكيتين منفصلتين ، إلا أنهما يعكسان صورة شخص لم يشبع حاجاته النفسية الأساسية بما ترتب على هذا الحرمان أنواع من الصراع والقلق قد تجد في السلوك المضاد للجماعة منفذاً لها أو تعبيراً عنها في حالة السلوك الإجرامي أو قد تجد في الأغراض المرضية ، سواء أكان مرضاً نفسياً أو عقلياً منفذاً لها .

وهكذا يطبق علماء النفس ما جُمع لديهم من معلومات وما وصلوا إليه

---

(١) عبد الرحمن العيسوي ، دراسات سيكولوجية ، منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٨١ ص ١٤ .
(٢) نفس المرجع السابق ص ١٥ ، ١٦ .

من قواعد وقوانين عن عملية المواءمة وديناميكية السلوك في هذا الميدان . ولا شك أن الدراسات المتعددة التي قام بها علماء النفس في ميدان جنوح الأحداث ، وعن العوامل السيكولوجية المرتبطة بالسلوك الإجرامي وطرق رعاية وتوجيه من انحرف سلوكهم انحرافاً اجتماعياً تمثل مدى الفائدة التي نستطيع أن نجنيها من علم نفس الجريمة (١) .

ـ العوامل التي تؤثر في التحقيق الجنائي وإثبات الإدانة

في هذا الصدد يقول الدكتور يوسف مراد :

يميل المرء إلى أن يستدل بالمظاهر السلوكية على الحالة النفسية لمن يعاشرهم وعلى ما تنطوي عليه سريرتهم من نوايا ومقاصد . وقد يصدق الحكم أولاً يصدق لأن في مقدور الشخص أن يخفي أفكاره وراء قناع من التصنع ، وأن يحاول أن يعبر بكلامه وملامح وجهه عما يختلف تمام الاختلاف عن حقيقة أفكاره وحالاته النفسية . غير أن كثيراً ما يكون إتقان التصنع دليلاً عليه ، كما أن التصنع يكون محصوراً في الحركات الخاضعة للإرادة ، أما الحركات العضلية المنعكسة كبعض الاختلاجات فمن المتعذر ـ إن لم يكن من المحال منعها والتحكم فيها . هذا فضلاً عن التغيرات الفسيولوجية الناشئة عن تنبيه الجهاز العصبي السمبثاوي والتي لا تخضع للإرادة كالتغيرات التي تعتري حركات القلب والتنفس والدورة الدموية وإفرازات الغدد . وفيما يختص بإفراز اللعاب يحكى أن الصينيين كانوا يلجأون إلى الطريقة الآتية لمعرفة ما إذا كان الشخص المتهم يكذب أم لا : يعطى المتهم كمية من الأرز لمضغها ثم يطلب منه بزقها ، فإذا بزقها اعتبر بريئاً ، أما إذا تعذر عليه ذلك اعتبر كاذباً وخائفاً من افتضاح أمره لأنه لم يجد في فمه كمية كافية من اللعاب للقيام بعملية البزق إذاً انه من المعلوم أن الخوف يعطل إفراز الغدد اللعابية ويجفف الفم .

ويمكن معرفة ما إذا كان الشخص يكذب أو لا يكذب أولاً بملاحظة حركات البلع فإذا كانت تتكرر بسرعة فهذا دليل قوي على الكذب . ويمكن

---

(١) د/ عبد السلام عبد الغفار، مقدمة في علم النفس. لبنان ـ بيروت ١٩٦٩ ص ٢٥، ٢٦

أيضاً الاستدلال بسرعة حركات العين وتغير اتجاه النظر عدة مرات بشكل مضطرب يدل على خوف الشخص من افتضاح أمره ، غير أن مثل هذه الأحكام عرضة للخطأ ، ويجب عدم الاعتماد على دليل واحد بل البحث عن مجموعة من القرائـن . وقد اتجه تفكير العلماء إلى استخدام الوسائل العلمية لتسجيل التغيرات الفسيولوجية في التحقيق الجنائي . ولكن يجب الإشارة إلى أن السلطات القضائية لا تلجأ إلى هذه الوسائل إلّا إذا اعوزتها الوسائل الأخرىٰ المتبعة عادة في التحقيقات الجنائية ، أو قد تسترشد بنتيجة البحث الفسيولوجي لتوجيه التحقيق توجيهاً جديداً قبل الحكم ببراءة المتهم أو إدانته .

وأولىٰ الوسائل التي استخدمت لتسجيل حركات التنفس لدىٰ المتهم . فقد وجد بنوسي Benussi منذ عام ١٩١٤ أن هناك صلة بين تعمد الكذب لدىٰ المتهم ومدىٰ حركات الشهيق والزفير وسرعتها . ثم جاء لرسون Larson وابتكر جهازاً لتسجيل ضغط الدم وما يعتريه من تغير في أثناء التحقيق ، فكان المتهم يواجه بمجموعة من الأسئلة بعضها متعلق بالجريمة والبعض الآخر لا يمت إليها بصلة ، فلوحظ إزدياد الضغط في الحالة الأولىٰ وعدم تغيره في الحالة الثانية واتضح أن الكشف عن الكذب لدىٰ مدمن الإجرام أسهل من كشفه لدىٰ المجرم الحديث ، لأن الحالة الانفعالية لدىٰ الثاني تكون مضطربة الى حد يجعل تأويل التسجيل متعذراً في حين أن رباطة جأش الأول تعطي للتسجيل شكلاً واضحاً منظماً يسمح بتمييز حالات ارتفاع الضغط من الحالات المعتدلة .

فإذا كان من مقدور مدمن الإجرام التظاهر بالهدوء ، فإنه لا يستطيع منع المجهود العقلي الذي يبذله في محاولته تشويه الواقع وذلك مهما كان هذا المجهود ضئيلاً ومن أثر هذا المجهود العقلي الذي يبذله في محاولته تشويه الواقع وذلك مهما كان هنا المجهود ضئيلاً ومن أثر هذا المجهود وما يصحبه من انفعال دفين غامض، ارتفاع ضغط الدم . وقد استخدم بعضهم عدة أجهزة في آن واحد لتسجيل حركات التنفس والضغط والنبض للمقارنة بين التسجيلات المختلفة وضمان الدقة في الحكم بقدر المستطاع . ويسمى هذا الجهاز Deceptograph أي المخدعة كما أنه استخدم السيكوجلفـانوميتر

الذي يسجل التغيرات الكهربائية التي تحدث على سطح الجلد أثناء الانفعال . غير أنه لا يمكن الاعتماد على هذا الجهاز لكشف الكذب ، إذ أن هناك عوامل أخرى غير إفرازات الغدد العرقية قد تؤثر في شدة التيار الكهربائي الذي يسجله الجهاز .

ومن الوسائل الأخرى لكشف الكذب أو حمل المتهم على الاعتراف استخدام بعض العقاقير مثل السكوبولامين وهو مادة مخدرة تضعف من مقاومة الشخص وتجعله لا يقوي على إخفاء الحقيقة ، وأثر هذه المواد شبيه بأثر التنويم الصناعي غير أنه لوحظ أن إجابات المتهم تتأثر كثيراً بالأسئلة الموجهة إليه وبطريقة طرح السؤال مما يؤدي إلى تشويه الحقائق تحت تأثير الإيحاء ، ولذلك تعتبر هذه الوسيلة قليلة الفائدة إن لم تكن مضللة في كثير من الأحيان .

وأخيراً يمكننا أن نشير إلى التسجيل الكهربائي للمخ وقد سبقت الإشارة إليه في آخر الفقرة السابقة ومن المرجح أن البحوث المتعلقة بالنشاط الكهربائي للمخ وصلته بالانفعال لم تتجاوز بعد نطاق المعمل أو بعض العيادات الخاصة في المستشفيات(١) .

الهدف من السلوك الإجرامي :

في وصفه للنزعة الإجرامية والجنوح Delinquency and criminality والمجرمين والجانحين يذهب كارول .Carroll H.. A ١٩٦٤ إلى أن سلوكهم، في الغالب، ما يمثل سلوكاً تعويضاً Compansatory فالصبي الذي عرف عنه الضعف والتخنث ربما يحاول أن يحصل على المكانة الاجتماعية بين جماعة أنداده عن طريق السرقة Stealing. وإذا أدى هذا السلوك إلى الغاية المرجوة منه ، فقد يستمر هذا الصبي في السرقة للحصول على رضا وتقدير جماعة الأنداد . فهناك كثير من أبناء الأغنياء وأرباب المناصب المرموقة

---

(١) د / يوسف مراد ، مبادىء علم النفس العام ، دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٢ ص١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ .

قد ارتكبوا سلوكاً مضاداً للمجتمع خوفاً من أن يعتبرهم زملاؤهم أنهم طيبون أكثر من اللازم أو اخلاقيون أكثر من اللازم .

كما يرى أن الجنوح والنزعة الإجرامية Criminality تمثل حرباً ضد الإحباط Frustration بمعنى أن الإجرام يتولد عن الشعور بالفشل والإحباط . إنها أشكال من السلوك العدواني تجاه المجتمع كرد فعل لوجود نقص داخل الفرد نفسه أو في بيئته المباشرة . ويذهب كارول للقول بأن كل مجرم وكل حدث يجب أن يعتبر حالة سيكولوجية ، ويقصد بذلك حالة مرضية . وعلى ذلك فالعقاب وإن كان ضرورياً في بعض الحالات إلاَّ أنه ليس نمط المعالجة المطلوبة . والحقيقة أن المكافآت أفضل من استخدام العقوبات . فلا يوجد إلاَّ أدلة قليلة توضح أن الأشكال القاسية من العقاب تنجح في خفض معدلات الجريمة . ويرى أن الانتباه يجب أن يتركز حول الفرد الذي ارتكب الجريمة بدلاً من تركيزه حول الجريمة ذاتها . وعلى الظروف والمحددات والأسباب التي أدت الى السلوك المضاد للمجتمع Antisocial Behavior[1]. وفي حديثه عن العوامل الاجتماعية في الجريمة والجنوح يقول Otto Klineberg 1961 إن الجريمة تعرف تعريفات مختلفة فقد ارتبطت بالسلوك الغير أخلاقي أو إنها السلوك الذي ينتهي بإلحاق الضرر بالمجتمع .

معنى الجريمة وتعريفها :

ولكن الحقيقة أن الخاصية المشتركة للجرائم إنها ممنوعة بحكم أو بقوة القانون الجنائي Criminal Code وينتج عن ذلك أن القانون الجنائي هو السبب الرسمي في تحديد الجرائم ، فإذا لم يكن هناك قانون جنائي فلن تكون هناك جرائم . ومؤدي ذلك أن الجريمة مصطلح قانوني وعلى ذلك عندما نصوغ القانون الجنائي فإننا نحدد ماذا نريده أن يكون جريمة . وللجنوح نفس المعنى فيما عدا أنه يشير إلى مخالفات ضد القانون ارتكبها أشخاص أصغر من سن معينة . هذه السن يحددها القانون وتختلف من مجتمع إلى آخر . ولا تختلف الجريمة عن الجنوح من حيث خطورة الفعل . على

---

(١) Carroll, H., A., Mental Hygiene p. 20

الرغم من أن الرأي الشائع ينظر إلى الجنوح على أنه أخف وطأة من الجريمة .

الجريمة نسبية :

ومعنى ذلك أن الجريمة مسألة نسبية وأن فعلاً معيناً قد يعد جريمة في مجتمع ما ولا يعد كذلك في مجتمع آخر . فشرب الخمور والاتجار بها يعد جريمة في بعض المجتمعت دون البعض الآخر . كذلك إذا انتفت الملكية الخاصة انتفت جرائم السرقة .

صعوبة التعميم :

وتجعل هذه الحقائق الوصول إلى علم نفس جنائي واضح صعبة لأنه يصعب إيجاد خصائص عامة للسلوك الإجرامي . ويصعب الوصول إلى تعميمات في هذا المجال أو حول صفات جميع المجرمين أرباب الجرائم المختلفة . فلا يجوز أن نجمع جميع المجرمين الذين ارتكبوا جرائم متباينة وأن نعمم بشأنهم .

ولقد وجد أن الخلفية الاجتماعية والشخصية لمجموعة من مرتكبي جرائم الجنس يختلفون عن أولئك الذين وجدوا في نفس السجن الأمريكي ولكن أدينوا بجرائم القتل Murderأو اللصوص. كذلك يصعب رسم خط فاصل بين المجرمين والأسوياء . فقد وجد في أمريكا أن طلاب الجامعة ينغمسون في نفس النشاط الذي يرتكبه الجانحون ويقبض عليهم من أجله ويدانون على فعله . ففي دراسة في الولايات المتحدة قررت نسبة بلغت ٩٩ ٪ من مجموع عينة أنهم ارتكبوا نوعاً أو آخر من المخالفات التي تضمنها قانون العقوبات الجديد في أمريكا في مدينة نيويورك The Penal law . ويبدو الفرق الوحيد في أن مجموعة تضبط ويقبض عليها بينما الأغلبية تظل بعيدة عن يد العدالة .

الجرائم أمراض تصيب المجتمع :

وتعتبر الجرائم من الأمراض التي تصيب المجتمع والتي ينبغي التصدي لها بكل الطرق أي الوقاية من الجرائم Crime Prevention.

أنصار الجرائم :

وإن كان هناك بعض الكتاب الذين يجادلون بالقول بأن الجريمة ضرورية لتقدم الحضارة أو للحضارة التقدمية Progressive civilization ذلك لأن التقدم الاجتماعي يحدث من خلال عمليتين :

١ - هدر أو خرق التقاليد Violation of Convention . ذلك الذي يقود إلى تكوين عادات أو تقاليد جديدة .

٢ - وحيث تتخذ التقاليد شكل قانون فإن خرقها يعد السبيل في نظر هؤلاء إلى التقدم ، من حيث أن الجريمة إن هي خرقاً للقانون أو اعتداء على القانون ويذهب أنصار هذا الرأي إلى القول بأن عظماء المصلحين كانوا من خارقي القانون All Great reformers إن اعتناق مثل هذا الموقف المتطرف سوف يجعل من الضروري تغير اتجاهات الناس نحو الجريمة . ولاشك أن مثل هذا الرأي ينطوي على مبالغة كبيرة . فحتى لو اعترفنا أن كسر القانون ، إلى حد ما ، في بعض المواقع قد يقود إلى تقدم المجتمع وتحسينه فمن الصعب الاعتقاد بأن جميع مظاهر التقدم ترجع إلى كسر القانون . ولاشك أن وقف الجرائم أو إزالتها يعتبر هدفاً لغالبية الناس حتى وإن كان يؤدي إلى بطء التقدم في المجتمع أو الى بطء التغير الاجتماعي .

الصفات الفيزيقية :

وهنا نتساءل هل يوجد صفات فيزيقية خاصة تميز المجرمين ؟ على الرغم من أن مفهوم الجريمة مفهوماً نسبياً وعلى الرغم من اختلاف طبيعة الأشخاص المجرمين ؟ هناك كثير من المحاولات لاكتشاف الخصائص العامة أو الصفات العامة في المجرمين ، وأشهر نظرية أثارت كثيراً من النقد والجدال والتعليق هي نظرية عالم الإجرام الإيطالي سيزار لومبروزو The Italian criminologist Cesare Lombroso في بحثه عن الجريمة وأسبابها وعلاجها ١٩١١ Crime, its causes and remedies.

حيث أسس نظريته في الجزء الأخير من القرن التاسع عشر مؤكداً

العلاقة بين النزعة الإجرامية والصفات الفيزيقية أو التشريحية Physical or Anatomical .

القول بعدم الحساسية الفيزيقية للمجرمين .

في بداية حياته كان لومبروزو يعمل طبيباً في الجيش الإيطالي ولاحظ انتشار الوشم Tatooing بين المجرمين واتخذ ذلك دليلا عدم حساسيتهم الفيزيقية واستنتج لومبروزو أن عدم الحساسية الأخلاقية نتيجة لعدم الحساسية الفيزيقيه . وبعد ذلك اتيحت له الفرصة لكي يقوم بفحص أدمغة بعض الموتى من قطاع الطرق أو اللصوص Brigand ووجد أن هذه الأدمغة تشبه في بعض خصائصها أدمغة الفقريات أي الحيوانات ذات العمود الفقري كالأسماك والزواحف والطيور والثدييات أي الحيوانات الفقارية Vertebrates .

نظرية التناسل الرجعي :

ولقد أدى ذلك إلى ظهور نظرية عامة في طبيعة المجرمين مؤداها التناسل الرجعي أي العودة إلى صفات الأسلاف التي ابتعدت عنها الأجيال السابقة Atavistic .

من بين هذه الصفات التناسلية الرجعية ما حدده لومبروزو ومن ذلك الصفات الآتية : البروز أو النتوء أي بروز الفكين Prognathism والشعر المجعد الذي يشبه شعر الخروف وقلة أو ضعف الذقن ورأس عالية وحادة والعيون المائلة أو المنحرفة Oblique eyes مع بروز عظام الخدين وظهر مرتفع وجبهة مرتبة أو راجعة للوراء Receding Forhead وأما رأس كبيرة جداً أو صغيرة جداً أو رأس طويلة وضيقة . كما يمتاز المجرم بأن الحنك أو أعلى باطن الفم عنده عال ومدبب Palate كما يمتاز المجرم بكبر الأذنين ، وبوجود خصائص وصفات من خصائص وصفات الجنس المغاير أو الجنس الآخر ، وعدم تناسق أو توازن الجمجمة ، وكذلك عدم تناسق الجسم أو الوجه وعندما توجد مجموعة من هذه الملامح مجتمعة في نفس الفرد يمكن استنباط وجود نزعة الإجرامية عنده . وكان يطلق على هذه الملامح علامات الانحطاط أو التشوه أو الانحلال أو التفسخ أو الفساد Stigmata of de generation

نقد لامبروزو :

وينتقد لومبروزو لأنه لم يعقد مقارنة دقيقة بين المجرمين وغير المجرمين في السكان . ولكن هذه المقارنة أجراها فيرى Ferri.. E في كتابه علم الاجتماع الإجرامي Criminal sociology ١٩١٧ والذي سار في الاتجاه الذي رسمه لومبروزو وتبين له أن هناك ١٠ ٪ من السجناء و٣٧ ٪ من الجنود كانوا بدون هذا التشويه. وتؤكد مثل هذه النتيجة أن التشوهات وإن وجدت بكثرة في المجرمين إلَّا أن حالات الاستثناء كثيرة ومتعددة . ولقد حاول أن يعلل ذلك لومبروزو بأننا إذا وجدنا هذه التشوهات في الامناء من الرجال والسيدات ، فأننا نكون أمام طبائع إجرامية لم ترتكب بعد الفعل الظاهري لأن الظروف التي عاشوا في كنفها أدت إلى حمايتهم من إغراء الجريمة . ولكن هذا يعني اعترافاً صريحاً أن البيئة تلعب دوراً هاماً في حدوث الجريمة وأن هذا في نفس الوقت يلقي ظلالاً من الشك على النظرية الأصلية .

إجراء دراسات مقارنة بين الأسوياء والمجرمين :

لقد أثارت أعمال لومبروزو كثيراً من الاهتمام وكثيراً من المعارضة والنقد . وهو نفسه اقترح إجراء تجربة حاسمة تقرر عما إذا كان هو أم نقاده على صواب . حيث اقترح اختيار مئة مجرم ومئة شخص أمين ودراسة خصائصهم التشريحية . ولكن يبدو لنا، الآن في ضوء التقدم الإحصائي والتقدم العلمي ، أن مثل هذا العدد ضئيل جداً للتحقق من صدق أو بطلان هذه النظرية الضخمة جداً ولم تجري مثل هذه التجربة لأنه لم يتم الالتفاف على عدد الأشخاص الذين يتم اختيارهم وفحصهم . ولكن دراسة من هذا النوع أجريت في انجلترا على يد تشارلز جورنج Charles Goring في بحثه عن المذنب الانجليزي The English Convict ١٩١٣ حيث ساعده في ذلك عالم الرياضيات كارل برسون Karl Pearson حيث قاس عدداً كبيراً من السجناء بلغ ثلاثة آلاف سجينا كلهم من المجرمين العُوّد Recidivists . وقارن درجاتهم بدرجات مجموعات من الطلاب ومن رجال الجيش ، ووجد أن مميزات الانحطاط الخلقية هذه توجد بنفس النسبة في أوكسفورد وكمبردج كما توجد في المؤسسات العقابية في لندن . والفرق الوحيد الذي لاحظه هو أن

المجرمين كانوا أقل في الطول والوزن ، ويرجع ذلك إلى مستواهم الاقتصادي المنخفض وفرصهم القليلة في نمو أجسامهم .

وهناك محاولات أخرى لوصف المجرمين في ضوء العلاقات الفيزيقية حيث يقرر البعض وجود ضعف أو نقص في آذان هؤلاء المجرمين بينما يقرر البعض الآخر أن المجرمين كانوا أكثر طولاً وأكثر قوة عن الآخرين .

البناء الغدي في المجرمين :

وهناك محاولات عديدة تدعي تمييز المجرمين على أساس من البناء الغدي عندهم أي تركيب الغدد ووظائفها Glands . حيث أدى فقدان التوازن الغدي عند هؤلاء Glandular imbalance ولقد قرر البعض وجود شذوذ في الغدة الدرقية Thyroid عند القلة وهناك بعض العلماء الذين قسموا بعض طوائف المجرمين وفقاً لاضطرابات غدية خاصة . ومن ذلك أن اللصوص Thieves . والمتشردين والكذابين يغلب عليهم نشاط الغدة النخامية Pituitary والمنحرفين والمارقين من الدين والمنحرفين جنسياً Perverts وأصحاب نزعة الاستعراء أو كشف العورة Exhibitionists يغلب عليهم إفراز الغدة الأدرنالية . كما يزعم البعض بأن الناس الذين يلجأون إلى إيذاء الناس أو إهانتهم بصورة قهرية اندفاعية يقولون أن هذا يرجع إلى زيادة نشاط الغدة فوق الدرقية وهكذا ، ولكن يبدو أن هذا التصنيف الذي يعتمد على نشاط الغدد الصماء Endocrine Activity لا يقوم على أساس وجود أدلة كافية وتحتاج هذه الأفكار إلى بحوث كثيرة لإثبات صحتها .

ولقد دلت الإحصاءات الحديثة على معارضة نظرية لومبروزو وزملائه ولكن تم استرجاع لهذه النظرية على يد عالم يدعى هوتن E.. A. Hooton في بحث أسماه « **الجريمة والإنسان** » ١٩٣٩ وهو من أساتذة جامعة هارفرد . حيث ذهب إلى القول بأنه من الممكن أن الصفات الفيزيقية والعقلية في الفرد والتي ترجع إلى الوراثة Heredity . تترابط مع بعضها البعض ، وعلى ذلك ، فإن الملامح الفيزيقية قد تكون مؤشرات نحو العقلية والاستعداد أو التهيؤ وإذا استطعنا تحديد هذه العلاقة سيكون لها فائدة كبيرة في فهم المجرمين والتعرف

عليهم في فحص الناس الذين يقدمون كمتهمين . كما يمكن استخدام هذه الملامح الفيزيقية في الاختيار الجيد للمهاجرين . في دراسته قام بفحص ١٧٦٨٠ نزيلاً من نزلاء السجون في الولايات المتحدة الأمريكية وفحص ١٩٧٦ شخصاً من غير المجرمين وطبق على كل منهم مجموعة من المقاييس والاختبارات الانتروبولوجية ، وكذلك قياس الملامح المورفولوجية أي السمات التشكيلية والبنائية. Morphological. ولقد كشفت هذه الدراسة عن وجود فروق واضحة بين المجرمين والأسوياء .

وهناك جزء من هذه الدراسة تناول مجموعة أطلق عليها الباحث مجموعة الأمريكان القدماء Old Americans. ويعني بهم الأشخاص الذين ولد آباؤهم في أمريكا. وأدت المقارنة بين هذه الجماعة إبراز الصفات الفيزيقية الآتية :

١ - صغر حجم المجرم .
٢ - قلة وزنه.
٣ - ضعف البناء الجسدي.
٤ - رأس صغيرة .
٥ - شعر واقف .
٦ - وجه قصير وعريض .
٧ - أنف قصيرة وفطساء Snubbed nose.
٨ - ضيق الفكين .
٩ - آذان صغيرة وعريضة .

ولكنه هوتون Hooton . يقرر أن هناك تداخل كبيراً في هذه الصفات وإنه لا يوجد علامة واحدة تميز المجرمين ولكنه انتهى الى القول بأنه مهما كانت الجريمة ، فإنها تنشأ من كائن متدهور وعنى بذلك أن السبب الرئيسي أو الأولي للجريمة هو النقص البيولوجي Biological inferiority هذه النتيجة تعد هامة جداً في الاتجاه نحو الجريمة والمجرمين ونحو التعامل معهم ومعالجتهم ، ولكن الأمر يتوقف على إثبات صحتها .

ملاحظات حول المنهج المستخدم :

ولكن هناك عيباً رئيساً يختص بالمنهجية التي استخدمت في البحوث التي توصلت إلى هذه النتائج . ذلك لأننا عندما نريد أن نقارن بين مجموعتين من الناس فيتعين علينا أن نحقق المساواة بين أفراد الجماعتين في جميع الصفات والخصائص ما عدا السمة المراد معرفة الفرق بينهما فيها وعلى ذلك لابد وأن تتساوى المجموعات المقارنة في عوامل مثل الجنس والسن والسلالة والمستوى الاجتماعي والاقتصادي والتعليمي وظروف الصحة الجسمية والنفسية وصفات كالطول والوزن وما إلى ذلك[1] ذلك لأن النقص البيلوجي قد يرجع إلى فقر الظروف الاجتماعية والاقتصادية يجب أن ينحدر المجموعتان من خلفية اجتماعية واحدة . والحقيقة أن مجموعة الأمريكان القدماء المجرمين كانوا مأخوذين من ولايات مختلفة ومن مستوى اقتصادي منخفض . أما المجموعة المدنية الضابطة فقد تضمنت ١٤٦ رجلاً من رجال الأطفاء الذين كانوا يميلون إلى البدانة وبعضهم أتى من المستشفيات ممن ينحدرون من الطبقة الاجتماعية الوسطى . كذلك فإنهم تلقوا تعليماً لمدد أطول ولذلك تعجز هذه الدراسة عن تقديم أدلة قاطعة نحو وراثية الإجرام أو بيولوجية الإجرام .

ومن الملاحظ أن الفروق التي وجدت بين المجرمين وغير المجرمين في جماعات البيض الأمريكان تختلف عن تلك التي وجدت عن جماعات الزنوج والحقيقة أن الفروق التي قال بها لومبروزو قد تنطبق على جماعة سلالية أو عرقية معينة ولكن ليس من الضروري أن تنطبق على جماعات أخرى من أرباب السلالات الأخرى .

نزعة استهداف الجريمة :

ولكننا نتساءل مع سيزر لاند في كتابه « مبادىء علم الإجرام » Suther land, E. H. Principles of Criminology 1939 هل يتدخل المظهر الشخصي

---

(١) د. عبد الرحمن العيسوي - مناهج البحث في علم النفس ١٩٨٨ . منشأة المعارف ، الإسكندرية .

للشخص في الجريمة أو بمعنىٰ أدق في مدىٰ تحقيق الفرد في التكيف الاجتماعي السوي أم إنه سوف يبحث عن الإشباع بأساليب منحرفة وغير قانونية . تبدو أن هذه العبارة صائبة وخاصة عن النساء . حيث قد تظهر علامات سوء التكوين أو سوء الشكل والتشكيل أو عدم التناسق قد توجد بصورة أكثر تكراراً في الجماعات المجرمة ليس بسبب العلاقة التي افترضها لومبروزو ولكن بسبب الاتجاهات الفردية والجماعية نحو هذه النقائص أو هذا العجز . يحتمل أن يلقىٰ الأشخاص أصحاب الأشكال الإجرامية صداً ورفضاً وفشلاً وقد يؤدي ذلك إلى كسر بعض التقاليد الاجتماعية وقد يفسر لنا ذلك وجود نزعة عند هؤلاء نحو استهداف الأخطاء أو أن يعيشوا في ظلام أو وراء العالم .

لقد وجد شلدون ، وزملاؤه ، **Sheldon, W, H.** . في كتابه « تنوع الشباب الجانح « **Varieties of delinquent youth 1949** أساساً بنائياً وتشريحياً للسلوك الجانح وذلك ضمن دراسته عن الأنماط الاستعدادية أو الوراثية أو الجيلية . لقد درس مجموعة مكونة من ٢٠٠ صبياً في أحد بيوت الحجز أو السجن **Detention Home**. في مدينة بوستون **Boston**. في أحد أنماط الشخصية المعروفة باسم **Mesomorphy** . بين هذه الجماعة المنحرفة والمجموعة الضابطة السوية .

حيث وجد أن المذنب المدمن أو المزمن **Chronic offender** كان أعلىٰ على عنصر ال **Mesomorphic**. وكان منخفضاً علىٰ عنصر أل **Endomorphy**. وكذلك علىٰ عنصر أل **Ectomorphy** ولقد وصف شلدون هؤلاء الأشخاص بأنهم يفتقرون إلىٰ القدرة علىٰ السيطرة على نشاطهم التعبيري مع قليل من الشعور بالدفء أو الحاجة إلى الصداقة **Companion ship** ومرة أخرىٰ هناك انتقادات توجه إلى منهج شلدون في البحث الأمر الذي يجعل من الصعب قبول نظريته دون مزيد من البحث والتقصي .

العوامل الاجتماعية والنفسية في الجريمة :

هناك كثير من الدراسات التي أجريت حول صفات المجرمين ،

وأسرهم ، النفسية والاجتماعية . فوفقاً لأحد الإحصاءات الأمريكية الصادرة عام ١٩٢٣ هناك نسبة أعلى من الأمية Illiteracy في الجماعات المجرمة عنها في الجماعات السوية كذلك وجدت نسبة أكثر من الطلاق Divorce . بين آبائهم . ومؤدي ذلك أن الجريمة ترتبط مع البيوت المحطمة Broken Homes ولقد تأيدت هذه النتيجة من كثير من الدراسات المتلاحقة ، ولكن ليس في كل الدراسات . ذلك لأنه يوجد من بين المجرمين والأحداث الجانحين نسبة كبيرة من أرباب الأمراض النفسية أو العصابية Neurotic Cases وحالات السيكوباتية Psychopathics . وعلى سبيل المثال لقد وجد أندرسون Enderson V.V. في بحثه حول « **الضعف العقلي كما يوجد في المحكمة** » أو كما يرى في المحكمة Feeblemindedness as seen in Court 1917. من خلال بحثه عن الصحة العقلية Mental hygiene لدى ٤٣٢٦ طفلاً من أطفال المدارس ووجد بها فقط ٢،٦ سيكوباتيين بينما وجد هذه النسبة في جماعة الأحداث الجانحين ٠٢ ، ٣١ و٣١،٢ ٪ بينما وجد سلاوسون Slawson J. في كتابه « **الولد الجانح** » ١٩٢٦ . إن الجانحين من الصبية يميلون إلى الإكتئاب المرضي Morbid depression وغيره من الظواهر الشاذة والاستعداد للاستجابات العصابية وذلك من واقع تطبيقه لقائمة جمع المعطيات الشخصية لوودورث Matthews Revision of the Woodworth Personal Data Sheet .

ومن الدراسات الهامة التي أجريت على الجوانب السيكولوجية في دراسة هيلي وبرونر W . Healy and Bronner A . F . rd mjhfulh « أضواء جديدة على الجنوح وعلاجه » New lights on delinquency and its treatment ١٩٣٦ . على الأطفال المحالين إلى عيادات إرشاد الأطفال في بوستون Boston وغيرها من الولايات الأميركية في المدة من ١٩٢٩ إلى ١٩٣٣ . ولقد قاما بعمل دراسة مكثفة على ١٠٥ زوج من الأطفال الجانحين وغير الجانحين من الأخوة Siblings بمعنى مقارنة الأفراد بإخوانهم ، وذلك بغية ضبط عوامل الوراثة والمستوى الاجتماعي والاقتصادي . وأظهرت الدراسة أن هناك حوالي ٩١ ٪ من الجانحين أظهروا اضطرابات رئيسية انفعالية كالشعور بعدم الإمان في العلاقات العاطفية

والشعورَ القوي بالتهديد واضطرابات انفعالية حول نظام التأديب في الأسرة والشعور القوي بالنقص أو الدونية والشعور بالغيرة وصراعات انفعالية داخلية عميقة والشعور القوي بالمنافسة Rivalry ومشاعر لا شعورية عميقة بالذنب والرغبة في العقاب ، أما في المجموعة الضابطة فلم يظهر منهم إلَّا ١٣٪ ضغوطاً داخلية Inner Stresses .

العوامل اللاشعورية في الجريمة :

كذلك فإن الاكسندر F. Alexandre وستوب .Staub, H في بحثهما المعنون : **المجرم والقاضي والشعب** . The Criminal, The Judge and the Public ١٩٣١ .

يتحدثان عن النمط العصابي من المجرمين Neurotic type of Criminals والذين تصدر مخالفاتهم Transgressions ذات الطبيعة القهرية من جراء دوافع لا شعورية قوية . ومؤدىٰ هذا الرأي أن المسئول عن الأعمال الإجرامية دوافع لاشعورية لا يعيها الفرد ولا يدركها ولا يفطن إليها ولا يعترف بها لنفسه ولا لغيره . من هؤلاء النماذج من يملك شعوراً بالذنب من مصدر مجهول أو غير معروف . فالفرد يرتكب الجريمة ومن ثم يشعر المريض بالذنب لارتكابها وهو مرتبط بها ونتيجة لذلك يصبح هذا الشعور أكثر احتمالاً أو يصبح من الأيسر على الفرد احتماله . في مثل هذا المجرم بالطبع فإن العقاب لا جدوىٰ له أو لا أثر إصلاحي له ، من حيث أن العقاب المتوقع هو الدافع الرئيسي لارتكاب المخالفة . ولكن وفقاً لمثل هؤلاء الكتاب ، فإن المجرمين ليسوا جميعاً عصابيون وإنما هناك أنماط إضافية أخرىٰ من المجرمين :

١ - الذين يرتكبون الجرائم نتيجة عمليات تسمم أو عمليات عضوية أخرىٰ هدامة من أمثلة هؤلاء البلهاء والذين يعانون من الأمراض العقلية العضوية ومدمني الخمور والمخدرات . Alcoholic and drug addicts .

٢ - المجرمون الأسوياء غير العصابيين وتتضمن هذه الفئة اللصوص أو المتشردين المتجولين والمتسولين وأعضاء العصابات وقطاع الطرق

Tramps beggars, gangsters والمجرمين المحترفين مثل النشالين
Pickpokets ولصوص المنازل ومن إليهم .

٣ ـ المجرم الأصيل الذي يمتاز بعدم وجود أية موانع .

إلى جانب ذلك هناك جرائم تقع بسبب ظروف انفعالية عارضة أو طارئة وفي الغالب ما يتسامح المجتمع إزائها . ولا شك أن الاتجاه التحليلي للمجرم العصابي أن المصاب بالمرض النفسي جدير بالملاحظة ذلك لأن المجرمين يحتاجون رعاية أو مساعدة نفسية وطبية أكثر من حاجتهم إلى الحجز أو الحبس في المؤسسات العقابية .

المناطق الجانحة :

كذلك من الدراسات التي تناولت العوامل الاجتماعية التي تحدد مدى تكرار وطبيعة الفعل الجانح والفعل الإجرامي دراسة شو C. R. Shaw في دراسته حول المناطق الجانحة أو مناطق الجنوح Delinquency Areas ١٩٢٩ في شيكاغو ممن تتراوح أعمارهم من ١١ ـ ١٧ سنة حيث أمكن تقسيم المدينة إلى مناطق أو إلى أجزاء وفقاً لانتشار الجنوح بها من وسط المدينة حتى ضواحيها على بعد كيلو متر واحد من وسط أو مركز المدينة . ولقد وجد أنه كلما ابتعدنا عن وسط المدينة كلما قل الجنوح أي كلما اتجهنا نحو أطراف المدينة . واستمرت الدراسة فترة طويلة من الزمن وتغيرت السكان في المدينة دون أن تتغير هذه العلاقة . فلقد كانت موجات الهجرة تتدفق على المدينة من أوربا ومن المكسيك ومع ذلك ظلت المناطق الجانحة كما هي . ولقد فسرت هذه النتائج بأن للمستوى الاجتماعي والاقتصادي أثراً على ارتكاب الجرائم أكثر من طبيعة الناس في التأثير على معدلات الجنوح . ولقد تم تطبيق نفس هذا المنهج على مدن أخرى ، وإن كانت النتائج مختلفة ، حيث وجد البعض مناطق مركزية في الجنوح غير وسط المدينة . كذلك وجدت الجريمة مرتبطة بين عوامل مثل كثافة السكان والمستوى الاقتصادي . ففي لندن وجد سيربيرت معامل ارتباط قدره ٠,٧٧ بين الجنوح وكثافة السكان ووجد معامل ارتباط قدره ٠,٦٧ وبين الجنوح والفقر .

ولكن هناك انتقادات وجهت إلىٰ هذا المنهج على أساس صعوبة الحصول علىٰ معطيات ثابتة ودقيقة ، وعلىٰ أساس أن هذه الدراسات كانت تنحو نحو التبسيط المخل .

العامل الاقتصادي :

ولكن علىٰ كل حال لابد أن هناك علاقة بين المستوىٰ الاجتماعي والاقتصادي وبين معدلات الجريمة .

وهناك كثير من الدراسات التي تسير في نفس الاتجاه من ذلك دراسة بونجر W. A. Bonger في كتاب « **الاجرامية والظروف الاقتصادية Criminality and economic conditions** .

في عام ١٩١٦ في إيطاليا حيث أنه فيما بين عامي ١٨٨٧ ـ ١٨٨٩ كان هناك نحو ٦٠ ٪ من مجموع السكان كانوا مصنفين فقراء وأن هذا أعطىٰ ٨٨ ٪ من مجموع المدانين في السجون الإيطالية في ذلك الوقت .

وفي دراسة الأحداث الجانحين في مدينة شيكاغو عندما تم تقسيم المدينة إلىٰ مناطق مربعة ارتبط معدل الجنوح في سنة ١٩٣١ بمعامل ارتباط قدره ٠،٧٤ مع معدلات المساعدات المالية المقدمة للأسر . وكان هناك معامل ارتباط قدره ٠،٨٢ بين عدد الأحداث الجانحين وحالات الاعتماد في محكمة الجانحين . ومعامل ارتباط قدره ٠،٦٣ بين حالات الجنوح وعدد معاشات الأم . هذه الارتباطات عالية وتؤكد العلاقة بين الظروف الاقتصادية والجريمة . وتتضح هذه الحقيقة من ارتفاع نسبة الجريمة مع حالات الركود الاقتصادي وانخفاضها مع ارتفاع نسبة الرخاء . وتتأكد هذه الحقيقة من خلال دراسة الغش **Deceit** التي أجراها كل من هارت شورن وماي Hart, Shorne and May عام ١٩٢٨ حيث وجدا أن الخيانة تزداد بانتظام مع انخفاض المستوىٰ الاقتصادي للطفل .

أثر الاحباط والحرمان

ويبدو من هذه الدراسات التي تؤكد ارتفاع معدلات الجريمة في الجماعات المحرومة وزيادة هذه المعدلات في الأوقات الصعبة أن الجريمة

تحدث كرد فعل للأحباط ، ومؤدي هذه النظرية أن الاحباط يقود في النهاية إلى العدوان وأن هذه الأفعال الإجرامية تمثل أحد النماذج المحتملة للسلوك العدواني . وعلى الرغم من وجاهة هذا الافتراض إلَّا أن الجرائم الاقتصادية ربما تنتج مباشرة من العجز الاقتصادي أكثر من كونها رد فعل غير مباشر للظروف المحيطة . وتشير هذه الكتابات إلى زيادة معدلات جرائم الرجال عن النساء في وسط السكان . ولكن هذه النسب تختلف من مجتمع إلى آخر ، فهي ٣ : ١ في بلجيكا و٢٢,٥ : ١ في فنلندا إلَّا أن هناك فرقاً ثابتاً في هذا الاتجاه وعلى ذلك من الممكن أن تكون هناك عوامل بيولوجية مسؤولة عن الجريمة ، ولكن في ضوء المناقشات السابقة من الأصح افتراض أسباب اجتماعية وتربوية . من ذلك أن نزعة العدوان ينظر إليها على أنها سلوك مشروع ورجالي بالنسبة للذكور ، ولكنها غير مقبولة بالنسبة للنساء . وربما يكون هذا هو السبب . أو من العوامل السببية الرئيسية . مفهومنا عن الذكورة والأنوثة ذلك المفهوم الذي يتكون من خلال التعلم والاشتراط . وعلى ذلك ينظر للسلبية على أنها سمة مؤنثة وينظر للعدوانية على أنها سمة مذكرة . والذكر مطالب بأن يحارب كل إحساس بالأنوثة عن طريق النشاط الفيزيقي وهو سمة مذكرة .

الجريمة والأصل السلالي : Crime and ethnic origin .

لقد أثارت هذه القضية اهتمامات كثيرة وأدت أيضاً إلى كثير من مظاهر سؤ الفهم . ففي المجتمع الأمريكي يعتقد أن الأجانب الذين ولدوا خارج الولايات المتحدة الأمريكية يتسببون في كثير من الجرائم . ولكن العكس هو الصحيح . إن الإحصاءات في هذا الصدد تعتبر مضللة . حقيقة أن الأرقام تشير إلى كثرة جرائم الزنوج من جرائم البيض ، ولكن هناك فرق كبير في الاستعداد والتهيؤ لتوجيه الاتهام نحو الزنوج أو نحو البيض والاستعداد لإدانتهم . إن الإحصاءات في هذا الصدد مضللة . وحتى إذا كان معدل الزنوج أعلى فإن تفسير ذلك لابد وأن يأخذ في الاعتبار السنوي الاقتصادي والاجتماعي . وعلى ذلك يصعب القول بأن لعامل السلالة تأثيراً . وهناك مشكلة للمواطن الأمريكي المولود في أمريكا من أبوين غرباء حيث وجد أن

معدلات الجريمة والجنوح لهؤلاء أعلىٰ بكثير عنها عن جماعات المقارنة أي الذين ينحدرون من آباء ولدوا في أمريكا . لا يمكن تفسير هذا بيولوجياً ذلك لأن الأباء الذين ولدوا في الخارج كانت معدلاتهم في الجريمة منخفضة هم أنفسهم .

فرض صراع الثقافات :

ولذلك اقترح بعض علماء النفس ما أسماه بصراع الثقافات Conflict of cultures كعامل مسؤول عن زيادة معدلات جرائم الأبناء ويستعرض شو Shaw في مطلع الثلاثينات من هذا القرن تاريخ حياة شاب ولد في ظروف اجتماعية مفككة حيث لم تعد تصلح معايير Mores أسرته البولندية الأصل وكانت النتيجة تحرير الولد من الضوابط والقيود الاجتماعية مما جعله مستعداً ومهيئاً للنموذج الجنوحي . وهناك حالات كثيرة درست ووضحت الميل نحو الجنوح ، إذا ما كان الفرق شاسعاً أو الصراع شاسعاً بين الثقافة الأوربية القديمة وبين الثقافة الأمريكية الجديدة . وهناك دراسة دقيقة قام بها تافت Taft - O. R. في بحثه عن **« الجنسية والجريمة »** ١٩٣٦ قام بتحليل معدلات الجريمة في ٢٦ ولاية أمريكية وانتهىٰ إلى القول بأن أبناء المهاجرين يظهرون معدلات إجرامية أقل عن أبناء الوطنيين، وذلك في تسع من هذه الولايات منها ولايات صناعية وفيها كثافة سكانية عالية. ولكن مفهوم الصراع الثقافي وحده لا يكفي لتفسير ارتفاع معدلات الجرائم ولابد من النظر إليه في ضوء العوامل المركبة والمعقدة الاجتماعية والاقتصادية .

أثر الفلكلور على جرائم القتل :

إلىٰ جانب الصراع الثقافي فإن الطرق الشعبية الفولكلورية Folkways تلعب دوراً في معدلات الجرائم . ويتضح ذلك من القتل في عدة مجتمعات أوربية Homicide وفيما يلي بيان بعدد القتلىٰ في كل مائة ألف من الأشخاص من كل الأعمار في السنوات من ١٩٢١ حتىٰ ١٩٣٢ .

السنة	انجلترا وويلز	اسكتلندا	المانيا
١٩٢١	٠,٧	٠,٤	٢,٧١
١٩٢٢	٠,٥	٠,٤	٢,٥٠
١٩٢٣	٠,٦	٠,٤	٢,٦٠
١٩٢٤	٠,٦	٠,٥	٢,٢٢
١٩٢٥	٠,٧	٠,٤	٢,٢٩
١٩٢٦	٠,٧	٠.٤	٢,١٧
١٩٢٧	٠,٥	٠,٤	٢,٠٦
١٩٢٨	٠,٥	٠,٧	١,٩٩
١٩٢٩	٠,٥	٠,٤	١,٨٤
١٩٣٠	٠,٥	٠,٥	١,٩١
١٩٣١	٠,٥	٠,٥	٢,٠٧
١٩٣٢	٠.٥	٠,٥	—

ويلاحظ الثبات في النسبة من عام إلىٰ آخر في المجتمع الواحد ، وذلك علىٰ الرغم من التباين الشديد في المستوىٰ الاقتصادي ، مما يكشف عن وجود اتجاه عام نحو القتل ، وإن كانت الطرق الشعبية هذه تقع ضمن العوامل والمؤثرات الثقافية . وقد يتفق مع هذا العامل ما كان منتشراً في المجتمع المصري وخاصة في الوجه القبلي ، من عادة الأخذ بالثأر واعتبار الأخذ بالثأر أحد الأساليب الرئيسية في حدوث جرائم القتل وجرائم الانتقام .

ونفس الاتجاه الثابت هذا يلاحظ أن إحصاءات جرائم الانتحار **Suicide** ومن ذلك ما كشف عنه إحصاء للانتحار وضح أن كندا لم تقل فيها نسبة الانتحار عن ٨ حالات في مائة ألف من السكان ، وذلك علىٰ امتداد السنوات من ١٩٢٤ - ١٩٣٠ ولم يحدث فيها أكثر من ١٠ حالات في نفس هذه الفترة ، وأن إيرلندا الحرة لم يكن بها أكثر من ٤ وتراوحت هذه النسبة في اليابان ما بين ١٩ - ٢٢ وفي النمسا من ٣١ - ٤٠ . وتفسير هذه الإحصاءات لابد وأن يأخذ في الحسبان العوامل الاجتماعية والاقتصادية والعوامل الريفية أو

الحضرية والعقائد الدينية وما إلىٰ ذلك . والغالب أن يؤثر أيضاً النمط القومي في السلوك .

المهاجر ينقل معه رواسبه الثقافية :

لقد دل أحد الإحصاءات عن الجرائم في مدينة نيويورك في عام ١٩٣٠ على أن المكسيكيين مدانون أكثر من غيرهم في جرائم إحراز وإخفاء أسلحة وقد يرجع ذلك إلى أن عادة امتلاك الأسلحة عند المكسيك في بلادهم قد انتقلت معهم إلىٰ الولايات المتحدة الأمريكية . ولقد لوحظ نفس الظاهرة في المجر . حيث نقل الفلاحون المجريون عادة سرقة الفحم من السكك الحديدية، ونقلوا اتجاهاتهم نحو سرقة أخشاب الغابات . لقد كان الصبية أو عصابات الصبية . **Gangs** الذين يسرقون الفحم يتلقون نوعاً من الموافقة الاجتماعية في مجتمعهم المحلي حتى ولو كان هذا السلوك يؤدي إلىٰ تعرضهم للوقوع في مشاكل مع السلطة . وبالمثل ما لوحظ على المهاجرين اليوغسلاف الذين هاجروا إلىٰ الولايات المتحدة الأمريكية . لقد تبين أن هناك نسبة كبيرة منهم بلغت نحو ٨٠ ٪ من الراشدين اليوغسلاف تورطوا في الانتاج والتوزيع غير الشرعيين للخمور . حيث كانوا معتادين في بلادهم على القيام بصناعة الخمور لاستهلاكهم الشخصي **Consumption**. واستمروا في ممارسة هذه العادة في الولايات المتحدة الامريكية . كذلك كانوا من معتادي كسر قوانين الضرائب وترجع هذه العادة إلى أن الضرائب في البلاد الأصلية لم يكن يقوم بجمعها إلاَّ الغزاة الفاتحون **Conquerors** الذين احتلوا الدولة وكان الوطنيون لا يألون جهداً في سبيل خداعهم أو يراوغونهم أو يتمصلون من دفع الضرائب وتدل هذه الإحصاءات على ضرورة النظر للخلفية الكلية للثقافة القومية من أجل تفسير الجرائم .

وبمرور الإنسان مع الزمن في المعيشة في وسط ثقافة معينة يكتسب معايير هذه الثقافة وتصبح هذه المعايير **Mores** مقبولة لديه . فلقد كشفت بعض الإحصاءات على أن الأبناء الذين ولدوا في أمريكا أو الذين ينحدرون من أباء إيطاليين يرتكبون جرائم قتل أقل من آبائهم . وحتى أسباب القتل تتغير فبين جماعة المهاجرين كان القتل ينتج في الغالب من المعارك الأسرية أو من

تهديد شرف العائلة أما في الجيل التالي **Generation** فتميل الجرائم إلى الانحصار في جرائم مثل السرقة وسرقة المنازل . **Robbery and burglary** وليس من السهل فصل الشكل الثقافي من العوامل الاقتصادية التي تؤثر مباشرة في مجال الجريمة . ولقد كشفت بعض الدراسات على أن المناطق الريفية **Rural Areas** أقل في معدلات الجريمة عن المدينة . بصرف النظر عما إذا كانت هذه المناطق يسكنها مهاجرون أو أبناء مهاجرين أو أجانب أو أمريكيين أصليين . وأن البيئة الاجتماعية والاقتصادية الواسعة ، أكثر من خصائص الثقافة مسئولة عن الجريمة . وذهبت بعض الدراسات إلى افتراض أن جميع الناس أصحاب المستوى الاقتصادي والاجتماعي لهم نفس معدلات الجريمة تقريباً .

جرائم الأغنياء :

ولكن العوامل الاقتصادية لا تصلح أن تكون عاملاً عاماً للتفسير . فلقد فشل الفرض الاقتصادي في تفسير الجرائم التي يرتكبها الأغنياء ولذلك يصعب وضع تفسير واحد لكل أنواع الجرائم المتعددة ولكل أنماط المجرمين المتعددين أيضاً .

تقسيم الجرائم :

وهناك من يقسم الجرائم إلى ما يلي :

١ ـ جرائم سياسية **Political crimes** أو جرائم الخيانة العظمى أو هكذا تنظر إليها الدولة .

٢ ـ الجرائم المدنية كالسكر وخرق النظام أو القيادة بدون رخصة قيادة **Civic crimes** .

٣ ـ الجرائم الاقتصادية **Economic crimes** . والتي قد ترجع إلى الحاجة .

٤ ـ الجرائم السيكولوجية **Psychological crimes** التي ترجع إلى الهوى وإلى الدوافع الجنسية وغيرها من الدوافع .

ويذهب هوبكنز ، وهو من أصحاب النزعات التحليلية ، بأنه في كل هذه الجرائم ما عدا النوع الثالث أي الجرائم الاقتصادية تكمن أسباب نفسية

مؤثرة . والحقيقة أن جميع الجرائم يكمن فيها عنصر نفسي بما في ذلك الجرائم الاقتصادية سواء كانت هذه العوامل النفسية مرتبطة بعقلية أو بشخصية المجرم : أو إحساسه بالحاجة والحرمان ومقدار قدرته على الاحتمال وما لديه من قيم تمنعه من السرقية .

ولكن هناك جرائم يغلب عليها سبب دون الأسباب الأخرى دون أن يمنع ذلك وجود هذه الأسباب . فهناك جرائم قد تكون الغلبة فيها للأسباب النفسية في تفسير أسبابها **Etiology** ولذلك هناك من يقول إن فرض الاحباط العدوان ينطبق على جميع الجرائم . ولكن قد تكون النظرة الصائبة للجرائم تلك التي تعتبرها غير متجانسة **Heterogeneous** **في طبيعتها وأنها تخضع لسببية متعددة العوامل .**

الاتجاه المتعدد العوامل Multi - Causal Approach :

ومؤدى هذا الاتجاه أنه لا يوجد سبب واحد ملائم لشرح أو تفسير السلوك المتنوع والمعقد المتضمن في ا لجريمة والجنوح . فهناك بحوث تؤكد المتغيرات الاجتماعية . وخير دراسة تؤكد الاتجاه المتعدد هي دراسة جلوك وجلوك S . Glueck and E. T. Glueck في عام ١٩٥٠ حول جنوح الأحداث. حيث درسا ٥٠٠ صبياً من مدارس الإصلاح Correctional Schools ومزجاها بعدد ٥٠٠ صبياً سوياً بالنسبة لعامل السن وكان من ١٤ : ١٥ سنة ، ومن حيث الإقامة في المناطق المحرومة **Underprivileged areas** ومعدلات الجنوح في المناطق التي يعيشون فيها ، وكذلك من حيث النشأة السلالية أو العرقية **Ethnic origin**. والعوامل الأخرى العامة المرتبطة بالبيئة وكذلك مستوياتهم في الذكاء ، وتم جمع المعطيات من هاتين المجموعتين وتم تفسيرها وفقاً للمستويات الأربعة الآتية :

١ ـ المستوى الاجتماعي الثقافي **Sociocultural** .
٢ ـ المستوى الجسمي **Somatic**.
٣ ـ المستوى العقلي **Intellectual**.
٤ ـ المستوى الانفعالي المزاجي **Emotional - temperemental**.

وكان هناك عدد كبير من المفردات التي لم يتباين عليها الجانحون وغير

الجانحين بينما اختلفت المجموعات على كثير من المتغيرات . فلقد اختلفت المجموعتان في العوامل الآتية :

١ ـ من الناحية الفيزيقية من حيث كون الجانحين من أرباب النمط العضلي المتوسط التركيب أي الرياضي ويقابل المزاج الجسمي الأساس ويميل الفرد إلى إثبات ذاته والعمل والحركة والسيطرة وعدم المبالاة بمشاعر الآخرين Mesomorphic في البناء الجسمي ويتميز بالصلابة ودقة التكوين والذكورة .

٢ ـ على الجانب المزاجي من حيث كون الحدث حيوياً ونشطاً دون الشعور بالراحة ومن حيث كونه مندفعاً ومنبسطاً وعدوانياً وهداماً أو مخرباً .

٣ ـ من حيث الاتجاه لكون الجانح عدوانياً في اتجاهاته منحرفاً أو شاذاً حانقاً أو ساخطاً شكاكاً أو مرتاباً عنيداً مشاكساً مشاغباً مؤكد ذاته اجتماعياً ميالاً لركوب الأخطار والمغامرات غير ملتزم بالتقاليد غير مطيع أو خاضع للسلطة .

٤ ـ على المستوى السيكولوجي يميل إلى الأمور المشخصة والمباشرة أكثر من ميله إلى الأمور الرمزية ، ولديه عدوان عقلاني قليل الاهتمام بالمنهج والمنهجية في حل مشاكله .

٥ ـ على المستوى الاجتماعي الثقافي من حيث كون الجانح قد تربى في بيوت ينقصها الفهم والحب والعطف والحنان والثبات أو النسيج الأخلاقي عن طريق الآباء كان غير ملائم وغير فعال في التوجيه والحماية . والنقطة الهامة في نتائج هذه البحوث أن ارتفاع الجنوح يعتمد على التفاعل والتداخل والتشابك بين هذه الظروف وتلك القوى من جميع الجهات والمستويات . ومن الممكن التنبؤ بأن صبياً معيناً سوف يكون جانحاً من عدمه في ضوء دراسة هذه العوامل مجتمعة ومن العوامل التي يحتمل أن تقود إلى الجنوح ما يلي :

عوامل الجنوح :

من ذلك ـ ١ ـ القيود الصارمة ـ ٢ ـ أو التساهل المفرط في تأديب الطفل عن طريق الأب ـ٣ـ الإشراف الغير مناسب من قبل الأم ـ ٤ ـ اللامبالاة أو العدوان من جانب الوالدين ـ ٥ ـ فقدان الوحدة والتماسك داخل الأسرة . ولذلك وضع بعض العلماء جدولاً للتنبؤ بحدوث الجنوح مؤسساً على هذه

العوامل في الخلفية الاجتماعية . وكذلك على السمات الشخصية التي تستمد من تطبيق الاختبارات النفسية الاسقاطية وغير الاسقاطية المستمدة من المقابلات الاكلينيكية . ولكن هذه الجداول لا تستخدم بصورة آلية أو ميكانيكية ولكنها تستخدم لبيان احتمال مصادر الاضطراب التي قد تجعل حدوث الجنوح أكثر احتمالاً .

وإذا تم استخدام مثل هذه الجداول التنبؤية بنجاح فإن ذلك قديوفر فرصة طيبة للوقاية والعلاج وهذه هي أهم نقطة في دراسة الجريمة والانحراف[1].

الموقف القرآني من القتل :

يقول القرآن الكريم في حق جريمة من الجرائم الخطيرة وهي قتل النفس ﴿ **من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل انه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض ، فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً . . .** ﴾ المائدة : ٣٢ .

الجريمة خروج على قيم المجتمع ونظمه وقوانينه :

وتعتبر الجريمة خروجاً على قواعد الاجتماع وذلك كما يقول الاستاذ الدكتور حسن شحاته سعفان وهي ظاهرة لا يخلو منها مجتمع من المجتمعات الإنسانية قديمها وحديثها أي المجتمع البدائي أو المتطور . ذلك لأن المجتمعات تضع نظماً لتحديد سلوك الأفراد لابد من الالتزام بها وبدون هذه القواعد وتلك النظم لا يمكن للمجتمع أن يعيش ، ولا يمكن أن تستقيم فيه الحياة ذلك لأن الفوضى من شأنها أن تقضي على المجتمعات . ولقد أثبتت الدراسات الانتروبولوجية أن جميع المجتمعات القديمة كانت تسود فيها بعض النظم أو القواعد أو القوانين أو العادات أو التقاليد الملزمة ، وتختلف العقوبات على الجرائم باختلاف المجتمعات والعصور فالسرقة كانت نوعاً من أنواع البطولة في بعض المدن اليونانية القديمة أما الآن فتعد جريمة يعاقب عليها القانون . وهناك بلاد تجرم السلوك الجنسي الشاذ ، وهناك بلاد أخرى

---

(١) Otto Klincberg . p.430 .

لا تجرمه . والجريمة والعقاب متلازمان في جميع المجتمعات . فالمجتمع يفرض عقوبات على مرتكبي السلوك الإجرامي ويختلف هذا العقاب شدة وضعفاً وفقاً لخطورة السلوك وآثاره كما يراها المجتمع . والعقوبة ضرورية لاستمرار الحياة الاجتماعية وتتطلب دراسة الجريمة الاهتمام بثلاثة مباحث .

أولاً : تحديد أنواع السلوك التي يعتبرها المجتمع سلوكاً انحرافياً أو جنحاً .

ثانياً : تحديد المسئول عن العمل الانحرافي .

ثالثاً : تحديد أنواع العقاب التي يوقعها المجتمع على المسؤول عن الفعل الانحرافي [1] .

المسئولية الجنائية والاجتماعية والجزاء :

وتقوم المسئولية في المجتمعات الحديثة على فكرتي الفردية والذاتية بمعنى أن الفرد لا يسأل إلَّا عن أعماله التي يأتيها دون الأعمال الصادرة من غيره من الأفراد ، وبمعنى أن يكون الفرد قد أراد القيام فعلاً بهذا العمل إذ لم يأته عن جهل أو عن غير قصد .

عندما يقوم الفرد بعمل ما فإنه يلقي نوعاً من الجزاء وعلى ذلك يمكن تقسيم الجزاءات إلى عدة أنواع .

١ ـ الجزاءات المجزية وقد تكون مكافئة أو عقاباً عما يقوم به الفرد من أعمال خيرة أو شريرة وتقسم هذه الجزاءات إلى الأنواع الآتية : ١ـ : جزاءات كابحة وتتمخض عن عذاب يناله الفرد عما ارتكبه من آثام ٢ـ جزاءات مكافئة وتتمثل في المكافئات على ما قام به الفرد من أعمال خيرة أو صالحة أو مفيدة

وكلا النوعين يمكن أن تتم وفقاً لقواعد منظمة مثل اللوائح والعرف والتقاليد سواء أكانت هذه القواعد مدونة أو شفهية تقوم بها هيئات منظمة كالمحاكم ومجالس التحكيم . وقد يتم العقاب بشكل منتشر كالعقاب أو المكافئة التي تصدر عن الرأي العام بشكل توبيخ أو احتقار أو تقدير وإجلال .

---

(١) د. حسن شحاته سعفان ، علم الجريمة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٦ ، ص ١٦ .

والجزاء الخلقي يعتبر جزاء منتشر بينما الجزاء القانوني يعتبر جزاء منظماً .

ثانياً الجزاءات الاستردادية :

وتتمثل في : رد الأشياء إلى أصحابها أو إصلاح الأشياء التالفة أو دفع التعويضات . أما من ناحية مصدر الجزاءات فهناك :

أولاً : جزاءات روحية أو صوفية أساسها الدين والتكفير عن جرائم الفرد . وقد تتخذ شكلاً جسدياً كالجلد أو إهدار الدم أو النفي .

ثانياً : جزاءات قانونية أو قضائية وتستند إلى التشريع الذي يضعه المجتمع وتفرض على المجرم العقاب أو التعويض لما سببه من أضرار وقد تنتهي بالإعدام أو النفي .

٣ ـ جزاءات أخلاقية : وتعتمد على ما يوجد في المجتمع من عادات وتقاليد وعقابها التوبيخ والاستنكار أو تأنيب الضمير أو شعور الضمير بالارتياح والرضا وقد يكون العقاب في شكل احتقار المجتمع وسخريته من المذنب .

فلسفة العقاب :

أما الغرض من العقاب فهو إلزام الناس باحترام القواعد والنظم ، ويذهب البعض إلى اعتبار الجريمة ظاهرة اجتماعية عادية لا شذوذ فيها ولا غرابة ، وحجتهم في ذلك أنها تنتشر في جميع المجتمعات ، ولا يخلو منها مجتمع من المجتمعات ، ولكن الحقيقة أن الجريمة خروج عن نواميس الطبيعة وقوانين المجتمع . والجريمة فوق أنها هدر للقيم الخلقية تؤدي إلى وقوع خسائر كبيرة في الأرواح والممتلكات . وتذكر الإحصاءات عدد الجرائم والخسائر أما عن الخسائر الكلية الفعلية فليس ثمة طريق لقياسها بكل دقة . وهناك نوع آخر من الخسائر يحيق بالمجتمع ، وهي الخسائر الأدبية أو المعنوية التي لا يمكن تقديرها بثمن ولا معرفة مداها على وجه التحديد . ولكي تتضح هذه الخسائر الأخيرة نتصور مثلاً أسرة مكونة من أب وأم وبنين وبنات يعيشون في سعادة ثم يندس بين الأسرة شخص غريب يفسد أخلاق الزوجة أو الزوج فتنقلب الحياة إلى جحيم وتفسد الحياة الأسرية ، ونستطيع في هذه الحالة أن نتصور الخسائر الأدبية التي يؤدي إليها انحراف سلوك الأب

أو الأم وتأثير ذلك على حياة الأسرة ومستقبل الأولاد ومصيرهم التعس . وذلك طبعاً بإزاء الخسائر المادية التي قد تكون ضخمة.

[سعفان ص ٥٨]

طبيعة مبحث الجريمة :

وفي مبحث علل الجرائم **Etiology of crime** يتم بحث الظروف والأسباب والعلل التي تؤدي إلى السلوك الإجرامي وهو من أهم المباحث في حقل الجريمة ، حيث تتوقف عليه إجراءات الوقاية والاحتياطات التي يتعين على المجتمع اتخاذها لوقاية نفسه من الجريمة والانحراف . ومبحث العلل قديم جداً ، ولكنه لم يتخذ شكله العلمي إلاَّ في العصور الحديثة . فلقد اعتبر سقراط أن الفضيلة علم والرذيلة جهل ، فالإنسان يأتي الشر في نظره عن جهل لا عن قصد ، ولكنه لو عرف الفضيلة لقام بالعمل الفاضل . أما أفلاطون فقد تعرض لتفسير السلوك الإجرامي في أكثر من مكان من مؤلفاته ولا سيما كتابه « **القوانين** ». وقال إن السلوك الانحرافي لا يرجع إلى سبب طبيعي في الإنسان ، ولكنه يرجع إلى الشيطان . وكان أفلاطون يرى أن سبب القتل يرجع إلى الجشع وحب الثروة والغنىٰ والطموح الذي يسبب الحسد والخوف والجبن . ويفرق افلاطون بين العمل الإجرامي الايرادي والعمل الإجرامي اللاإيرادي . أما أرسطو فقد جارى استاذه أفلاطون وقسم الناس إلى نوعين : خيريين وهؤلاء يمكن إصلاحهم إذا ما زلوا وشريرين لا يمكن إصلاحهم . وعلى المجتمع الخلاص منهم . وبحث أرسطو في أسباب الجريمة في حديثه عن علم الفراسة فقد وجه نظر العالم إلى أنه يوجد في كل فرد علامات أو سمات جسمية تدل على أخلاقه ومزاجه أو نفسيته ، ومن هذه السمات لون الشعر ونوعه ، ولون البشرة ، وطول القامة وما إلىٰ ذلك . بذلك يكون أرسطو قد وضع اللبنة الأولىٰ **للمدرسة الإيطالية** في علم الاجتماع الإجرامي . ولم يعرف عن العرب في الجاهلية أو في الإسلام أنهم وضعوا مؤلفاً خاصاً لدراسة أسباب الجريمة وعللها ، وإن كانوا قد عرفوا الكهانة والفراسة .

المدرسة الإيطالية :

وفي العصور الحديثة ظهرت المدرسة الإيطالية ومن أبرز علمائها لومبروزو وجارو وهناك تيار آخر ساعد في تقدم دراسة الجريمة هو تيار البحوث القضائية الجنائية. فمنذ القرن الثامن عشر ورجال القانون ينتقدون أساليب معاملة المجرمين وطرق إصلاحهم ، حيث كان يتم ذلك بأسلوب وحشي . ومن ذلك ما رآه ديبيكاريا Di. Beccaria من أن الجريمة تقاس بمقدار خطرها على المجتمع، وأن البحث عن أسباب الجرائم أكثر نفعاً من ضياع الوقت في عقاب المجرّمين . ولذلك طالب تغيير نصوص القانون الجنائي . أما المدرسة الإيطالية فقد نشأت في إيطاليا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وتزعمها سيزار لومبروزو من ١٨٣٥ - ١٩٠٩ م Cesare Lombroso ومن أنصارها فيري E. Ferri . وجارو فاليو R. Garofalio ولقد نادى جارو فاليو بوضع أسس علم الإجرام ليتولى دراسة أسباب الجريمة وفعلاً ألف كتاباً عام ١٨٨٥ م يحمل هذا الاسم وفحوى رأي لومبروزو أن هناك بعض الأفراد الذين يولدون مجرمين فهم مجرمون بالمولد بمعنى أنهم يولدون ولديهم استعداد طبيعي للإجرام . ويتميز هؤلاء بسمات فيزيقية خاصة منها :

١ - انخفاض صندوق الجمجمة.
٢ - استطالة الوجه بشكل لا يتفق مع أجزاء الرأس الأخرى .
٣ - تدلي الأذنين .

ويختلف هؤلاء في خصائصهم الداخلية الحشوية أيضاً كما يختلفون عقلياً ونفسياً . وهم في نظره لا يصلحون للمعيشة في المجتمع. أما فيري فيرى أن المجرم لديه استعداد خاص للقيام بالعمل الإجرامي ، وذلك بسبب نقص في طبيعته ويميز بين نوعين من المجرمين : ١ - نوع يرجع الإجرام عنده إلى نقص في الثقافة وإلى سوء التربية وفساد البيئة الاجتماعية وهذا النوع يمكن علاجه .

النوع الثاني : يرجع الإجرام فيه إلى نقص في تكوينه الطبيعي الفيزيقي أو العقلي . وهذا النوع لا يمكن إصلاحه ، وعلى المجتمع أن يتخلص منه . ومن ذلك الحين والدراسات نشطة في مجال الجريمة والسلوك الإجرامي ،

وأصبح علم الإجرام متعدد المنابع يعتمد على علوم أخرىٰ كعلم الحيوان والتاريخ والاجتماع وعلم النفس والأنتروبولوجيا وعلم الاقتصاد والسياسة والجغرافيا وعلم التشريح والفسيولوجيا ، ثم دراسات القانون الجنائي إلىٰ جانب علم العقاب بل لقد اتسع مجال الجريمة وأصبح هناك علم الاجتماع الإجرامي - ٢ - علم الانتروبولوجيا الإجرامي والقضاء الإجرامي .

العوامل النفسية المرتبطة بالجريمة :

لقد اعتمدت الدراسات النفسية في مجال الجريمة علىٰ آراء سيجمند فرويد Sigmund Freud ١٨٥٦ - ١٩٣٩ م وتقسيمه للشخصية إلى ثلاثة عناصر هي :

١ - الذات الدنيا **ID** وهي أساس السلوك الغريزي والشهواني والعدواني والبدائي ، وهي مستودع الدوافع الفطرية الفجة وتسير وفقاً لمبدأ اللذة.

٢ - الذات الوسطىٰ **Ego** وتسير وفقاً للمنطق العقلي ولمطالب المجتمع وتسعىٰ للتوفيق بين مطالب الذات الدنيا ومطالب الذات العليا ، وتتضمن جزءاً شعورياً وآخر لا شعورياً .

٣ - الذات العليا **Super ego** وهي مستودع القيم والمثل العليا والعادات والتقاليد والقيم الأخلاقية والروحية وتسعىٰ للسمو بسلوك الإنسان ، وتقوم مقام الضمير الخلقي حيث تؤدي وظيفته. الردع أو العقاب أو المحاسبة عن طريق لوم الذات وتأنيبها وتعنيفها والشعور بالذنب كلما ارتكب الإنسان معصية من المعاصي ولها وظيفة المنع أي منع إغراءات الشيطان ووقاية الإنسان ومنعه من ارتكاب الأخطاء والمعاصي والذنوب . وتعتبر الذات العليا بديلاً عن الوالدين وتحل السلطة الداخلية الرادعة في الإنسان فهي تقوم منه مقام رجل الشرطة أو القاضي أو الرقيب أو رجل الجمارك الذي يمنع دخول المواد الضارة إلىٰ المجتمع .

تكوين ضمير الطفل الخلقي :

ويتكون ضمير الطفل عن طريق ما يلقاه الطفل من الوالدين من الأوامر والنواهي والتعريف بالحلال والحرام . والمفروض ، في حالة السواء أن تقوم

علاقته من الوئام بين عناصر الشخصية الثلاث . ولكن يختل توازن الشخصية إذا سيطرت أو تغلبت واحدة من هذه القوىٰ ، وإذا ضعفت الذات العليا وفشلت في أداء وظيفتها أدىٰ ذلك إلى ارتكاب العديد من الجرائم .

أهمية الجنس في الفكر الفرويدي :

ومن المبادىء التي ترتكز عليها الدراسات النفسية في الجريمة والمستمدة أيضاً من أقوال فرويد من ذلك أهمية النشاط الجنسي وأثره في نمو الشخصية وما ينجم عن الكبت الجنسي من الاضطرابات في الذكر والأنثىٰ قد تؤدي إلى ارتكاب الجرائم .

وعقدة أوديب ومؤداها تعلق الطفل الذكر بأمه وحبه إياها ورغبته في التخلص من الأب باعتباره منافساً قوياً له في حبها . وإذا لم يتخلص الطفل من « الموقف الأوديب » هذا تعرض الطفل لبعض الاضطرابات النفسية . ويؤكد علماء النفس على ضرورة الاهتمام بالتنشئة الاجتماعية للطفل لأثرها علىٰ الصحة العقلية والنفسية للطفل . وينشب صراع بين دوافع الطفل النظرية وبين الحدود والموانع التي تضعها الثقافة التي يعيش في وسطها والتنشئة الاجتماعية هي تسهل مهمة تكييف الطفل للحياة . فتدليل الطفل والإستجابة لكل طلباته قد تؤدي إلى صعوبات في تكيفه في الكبر كذلك استخدام القسوة والصراحة والعنف مع الطفل له أثره السلبي . ومن أنماط التربية السيئة نبذ الطفل وعدم قبوله وإشعاره بأنه غير مرغوب فيه . ومن الأمور السلبية في تربية الطفل التذبذب في معاملته والانتقال من القسوة إلىٰ اللين . كذلك دل البحث على أن العقاب إذا فرض على الطفل يجب أن يفرض على سلوك معين مباشرة ، وأن يعي الطفل الصلة بين سلوكه الخاطىء وما يلقاه من عقاب . كذلك دل التراث السيكولوجي على أن فطام الطفل المبكر أو المصحوب بالقسوة وعدم التدرج ضار بصحة الطفل العقلية والنفسية .

ويمكن عن طريق عملية التساهل حل صراعات الطفل والقضاء على مشاعره بالقلق بين رغباته والنظم الاجتماعية المرعية .

ونتيجة للتربية الخاطئة قد يشب الطفل مريضاً ببعض الانحرافات

السلوكية كالسادية **Sadism** وهي الرغبة لشديدة في إنزال العذاب والألم بالغير ، والمازوخية **Masochism** وهي الشعور باللذة من وقوع الألم والعذاب على الذات . وقد يصاب الطفل بالأمراض النفسية مثل الفوبيا **Phobia** أي الخوف الشاذ المرضي ، الخوف من شيء لا يثير الخوف في الشخص العادي، الخوف من رؤية النار أو المياه الجارية. وإذا كان المرض النفسي وراء الجنوح سمي الجنوح بالجنوح العصابي Neurotic Delinquency أي الذي يرجع إلى العصاب أي المرض النفسي .

ومن مظاهر الشذوذ النفسي السلوكي نزعة الاستعراء أو الاستعراض وكشف العورة **Exhibitionism** والتلصص أو التجسس على الأفعال الجنسية والتمتع برؤيتها **Voyeurism** والسرقة القهرية **Kleptomania** والحرائق القهرية **Pyromania** من أبرز الاضطرابات السلوكية التي تتأثر بالحالة النفسية الانحراف السيكوباتي **Psychopathic Cases** .

الانحراف السيكوباتي :

الشخصية السيكوباتية تفتقر إلى التكيف الحسن وهي شخصية مضادة للمجتمع . ويدور البحث العلمي حول التعرف على أسباب نشأتها . ويعرفها البعض الآخر بأنها شخصية مصابة بالعته **أو الخبل أو الجنون الخلقي** **Moral Imbicility** وتبدو السيكوباتية في عدم قدرة الفرد على ضبط النفس لضعف الضمير الخلقي أو الذات العليا **Superego** وصاحبها شخص هجومي قاس ، حائر ، منطوي على نفسه ، يميل إلى الانتقام والعدوان والكذب والرياء والنفاق والنصب والاحتيال والاستغلال والابتزاز . وتنشأ من الحرمان ومن الرعاية ومن التربية ومن ضعف الضمير . ويضعب علاج السيكوباتية ويعاني من نقص شديد في الشعور بالذنب أو لوم الذات . وتمتاز كذلك بالأنانية المفرطة أو حب الذات والطمع والجشع . وقد تنشأ الشخصية السيكوباتية إما من التدليل أو من الحرمان . ويتساءل كثير من العلماء عما إذا كانت السيكوباتية ترجع إلى سبب عضوي فيزيقي ولذلك قاسوا الموجات الدماغية لدى أصحاب هذه الشخصية ووجدوها مختلفة عن الأسوياء .

والسيكوباتية لا تؤدي إلى انخفاض الذكاء ، بل إن بعض السيكوباتيين

أصحاب مستويات عليا من الذكاء وتنتشر السيكوباتية بين كثير من أفراد المجتمع بدرجات متفاوتة ، فهناك العامل والتاجر والصانع والمعلم والمهندس والمدير السيكوباتي . ومن الصعب اكتشاف السيكوباتيين في الأشخاص العاديين إلاّ بعد المعاشرة الدقيقة .

العوامل الحيوية المؤثرة في نشأة الجريمة :

اهتم علماء الجريمة بدراسة أثر العوامل الحيوية أو البيولوجية أو الفسيولوجية على السلوك الإجرامي وهو أثر لا يمكن إنكاره على السلوك الإنساني بوجه عام والسلوك الإجرامي بوجه خاص .

ومعروف أن للانفعالات أثاراً فسيولوجية تؤثر في جسم الإنسان وسلوكه ، فالعلاقة بين الجسم والنفس علاقة تفاعل . وهناك شبه إجماع بأن السلوك الإجرامي لا يورث . ولقد كان يعتقد في الماضي أن الإجرام ينتقل من الآباء والأجداد إلى الأبناء ومن الأبناء إلى الأحفاد وهكذا حتى نجد أسر بأكملها عرفت بإجرامها الذي كان يعتقد أنه ينتقل بيولوجياً من الجد إلى الأب إلى الحفيد وهكذا . ولقد كانت المدرسة الإيطالية في القرن التاسع عشر تعتقد بأن المجرمين ناقصون عقلياً وأن هذا النقص يتناقل من جيل لآخر . ومن الدراسات الشهيرة في هذا الصدد تلك الدراسة التي قام بها رتشارد دوجال ١٨٤١ - ١٨٨٣ Richard Dugale.

دراسة أسرة جوكس :

تلك الدراسة التي أجراها على أسرة جوكس Gukes وذلك في أثناء دراسته لنزلاء السجون في ولاية نيويورك بأمريكا وشيخ هذه الأسرة هو ماكس جوكس Max Gukes . وكان رجلاً جميل المنظر مدمناً ، وكان يشتغل بمهنة الصيد . ولقد تزوج ابنان من أبنائه من أختين ولقد كان جي جوكس وأولاده ينجبون الأولاد عن طريق الزواج أو الاتصال الحر أو الزواج غير الشرعي لدرجة أن عددهم وصل سنة ١٨٧٠ من مجموع الأولاد والأحفاد وأولاد الأحفاد ٧٠٩ أشخاص منهم ٥٤٠ بالعصب و١٦٩ من أصول أخرى . ولقد وجد دوج بيل ١٨٠ شخصاً من هذا العدد تضمهم الملاجىء ومنازل الإحسان و١٤٠ متهما

باعتداءات إجرامية خفيفة . كما وجد منهم ستين لصاً و٧ قتلة و٥٠ عاهراً وعاهرة و٤٠ مصاباً بأمراض سرية وانتقلت العدوى منهم إلى ٤٤٠ شخصاً ووجد ثلاثون شخصاً أقيم ضدهم دعاوي آباء وأبناء غير شرعيين ولقد انتهى دوج ديل إلى وجود عاملين أساسيين في السلوك الإجرامي أحدهما **الوراثة** والثاني **الوسط** الذي يعيش فيه الفرد .

وهناك من يؤكد وجود علاقة بين الوراثة والضعف العقلي . واعتبرت هذه الدراسات أن ضعيف العقل ليس إلَّا مجرماً محتملاً لا يحتاج إلَّا إلى الوسط الاجتماعي الذي يساعد على ارتكاب الجريمة . ولقد قرر جو دارد في وقت مبكر يرجع إلى عام ١٩١٢ Goddard أن ٢٥ ٪ من المجرمين البالغين من ضعاف العقول وبعد عامين من الدراسة أدت من أبحاثه إلى تعديل هذه النسبة لتصبح ٥٠ ٪ .

ومن الجدير بالملاحظة أن ضعيف العقل ليس مجرماً أو شريراً بالطبيعة ولكنه إنسان يسهل التأثير عليه من المؤثرات المحيطة به فينقاد للجريمة إذا كانت البيئة فاسدة . وعلى كل حال ففي الوقت الذي كان فيه العلماء يعتقدون في الماضي بأن الضعف العقلي يعتبر رافداً كبيراً من روافد الإجرام فإن البحوث الحالية لا ترى ذلك .

من العوامل البيولوجية المسئولة عن الجريمة عدم توازن إفرازات الغدد الصماء أو الغدد اللاقنوية **Ductless Glands** وهذه الافرازات تؤثر على فسيولوجيا الجسم وعلى المزاج والسلوك كالغدة الدرقية **Thyroid** والنخامية **Pituitary** فيقال إن هناك نوعان من المرض العقلي الذي يصيب الاطفال بالعبط أو العته ينتج من نقص الغدة الدرقية .

وفي حالة زيادة إفرازات الغدة الدرقية يزداد التوتر النفسي والقلق والاندفاع . وقد يؤدي ذلك بالمصاب إلى الإتيان ببعض الأعمال الإجرامية . ويرتبط اضطراب النص الأعلى للغدة النخامية بالسقوط والدعارة عند الإناث . وقد يؤدي العجز الجنسي إلى ارتكاب بعض الجرائم تعويض عن هذا النقص والظهور بمظهر البطولة . ولا يتفق العلماء حول تأثير الغدد في النشاط الإجرامي وبعضهم يعزو إليها قسطاً كبيراً من السلوك الإجرامي على حين

البعض الآخر يعتبرها عاملا بسيط في حدوث الجريمة .

أما بالنسبة للنقص الجسمي أو العجز الجسمي البنائي فلا شك أنه يؤثر في السلوك ، كذلك قصر القامة ، ولون البشرة والعرج والكساح وضعف الأبصار أو العمى والصمم . في حالات العجز هذه يلجأ المريض إلى التعويض ، والتعويض إما أن يكون إيجابياً أو سلبياً إجرامياً . ولقد وجد أن المصابين بعاهات نسبتهم أعلى بين المجرمين عنها عند الأسوياء .

ومرة أخرى لا يوجد اتفاق بين العلماء على تأثير هذا العامل ، ولكنه قد يوفر الاستعداد الذي يعمل عمله إذا توفرت الظروف الأخرى . ويستدل أصحاب الاتجاه الوراثي في تفسير الجريمة على وجود عامل وراثي في السلوك الإجرامي من الدراسات التي أجروها على التوائم العينية أي المكونة من أنشطار أو انقسام بويضة واحدة مخصبة في الرحم ويختلف هذا النوع من التوائم العينية **Monozygotic** عن نوع آخر من التوائم العادية أو الأخوية **Dizygotic** ومن الاضطرابات الحادة في الشخصية الذهانات العضوية **Organic Psychoses** وكذلك مرض الصرع **Epilepsy** (سعفان ص ١١٢) .

الاضطرابات السسيوباتية Sociapathic disorders :

خضعت السسيوباتية ، وهي نوع من الانحراف المضاد للمجتمع لدراسات كثيرة ومكثفة ، وظل الناس ينظرون إلى المصاب بهذا الاضطراب على أنه لا أمل في إصلاحه وذلك كما يقول شيلدون كاشدان **Sheldon Cashdan** في كتابه علم نفس الشواذ ١٩٧٢ **Abnormal Psychology** وكان يفسر هذا الاضطراب بوجود نوع دقيق من التلف في المخ ولكن قل قبول هذا التفسير واتجه النظر نحو البيئة والتعلم . وقالوا إن هذا العجز عن التعلم ينشأ عن قصور في النمو الخلقي ، وأن المريض يعجز عن هضم وتمثيل واستيعاب النمط الاجتماعي المطلوب مما أدى إلى عدم تكوين ضميره الخلقي ولذلك يظهر مرض هذا الاضطراب عدم الحساسية للقواعد الاجتماعية ويغيب عنهم الشعور بالندم أو بالذنب بعد ارتكاب الأعمال السيئة . والسسيوباتي لا يمكن التنبؤ بسلوكه فهو يكذب حين يكون من الأسهل عليه أن الرأي من وجاهة، إلاّ أنه لا يصدنا عن الحقيقة الواقعة وهي أن هناك نفراً من

الناس يكونون مناهضين للمجتمع بصفة مزمنة ، وأن علاقة هذا النفر مع الناس الآخرين تشذ على العلاقات السوية التي تمليها المعايير الاجتماعية. وأنماط السلوك المناهضة للمجتمع هذه تؤدي إلى الوقوع في مشكلات مستمرة مع الأصدقاء والأقرباء ، بل ومع القانون وتدفع بالأفراد السوسيوباتيين في آخر الأمر إلى انتباه المختصين النفسيين وأطباء الأمراض العقلية .

التغيرات في الجرائم الجنسية [من حيث العدد والنسبة المئوية] التي أبلغت إلى الشرطة في كوبنهاجن موزعة بحسب نوع المخالفة من سنة ١٩٥٨ : سنة ١٩٦٩ .

نوع المخالفة	١٩٥٨	١٩٦٩	النسبة المئوية للتغير
مخالفات الجنسية الغيرية			
- الاغتصاب (أو محاولات الاغتصاب).	٨٤٦	٣٣٠	٦١,٠
- الاتصال الجنسي تحت التهديد	٥٢	٢٧	٤٨,١
باستخدام العنف أو بالغش ، الخ .	١١	٨	٣٧,٥
- الاعتداء غير المشروع على النساء الراشدات والذي لم يصل إلى حد الاغتصاب .	١٠٠	٥٢	٤٨,٠
- الاعتداء غير المشروع على القاصرات من الفتيات والذي لم يصل إلى حد الاغتصاب	٢٤٩	٨٧	٦٥,١
- الاتصال الجنسي بالقاصرات .	٣٠	١٩	٥٧,٩
- الاستعراض .	٢٦٤	١٠٤	٦٠,٦
- استراق النظر .	٨٧	٢٠	٧٧,٠
- الافحاش في القول .	٥٣	١٣	٣٢,٥
- مخالفات الجنسية المثلية .	١٢٨٠	٢٨	٧٨,١

(١) شيلدون كاشدان ، ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة ، علم النفس الشواذ ، دار الشروق بالقاهرة ، ١٩٨٤ .

(٢) د. عبد الرحمن العيسوي ، قاموس علم النفس الحديث والتربية ، الدار الجامعية ، بيروت .

- السلوك السيكوباتي والشخصية السيكوباتية :

ليس هناك اتفاق في الطب النفسي الحديث على تحديد مفهوم الشخصية السيكوباتية إذ ليس لها أعراض خاصة محددة بل طائفة متعددة من الأعراض تشترك جميعها في عجز بالغ عن التوافق الاجتماعي يلازم المريض سنوات عدة أو طوال حياته . فالشخصية السيكوباتية شخصية مريضة شأنها في ذلك شأن الشخصية الهستيرية . والفرق بين الشخصيتين هو فرق في نوع الانحراف السلوكي ومدىٰ ما يحدثه هذا الانحراف من أضرار تتصل بأفراد المجتمع .

ذلك أن السلوك السيكوباتي يدفع صاحبه عادة إلىٰ الحاق الأذىٰ بالغير بينما السلوك الهستيري لا تتعدىٰ أضراره صاحبه، وبذا يمكن القول بأن أصحاب الشخصية السيكوباتية هم هؤلاء الذين تكون حالات الخلل في سلوكهم ومشاعرهم ظاهرة في تصرفاتهم وفي طريقتهم في التوفيق بين أنفسهم وبين البيئة ومعنىٰ هذا أن يدخل في هذه المجموعة هؤلاء الذين نصفهم بأنهم لا يحسنون التصرف ويعيشون عالة على غيرهم ، وهؤلاء الذين يكونون طبقة المجرمين في المجتمع ، والذين تتكرر أخطاؤهم ويكثر توقيع العقوبة عليهم دون أن يكتسبوا من كل ذلك خبرة تؤثر في تغيير سلوكهم .

وقد تستمر حالات الانحراف السيكوباتي مدىٰ الحياة وتبدأ عادة فيما لا يتعدىٰ فترة المراهقة . ويبدو أن الانحراف السيكوباتي يرجع إلى أسباب عضوية جسمانية أو وجدانية لم يعرف بالدقة أصولها .

- تقسيم أنواع الانحراف السيكوباتي :

يمكن تقسيم الانحراف السيكوباتي إلى الأقسام الآتية :

١ - النوع الناشز أو الخارج : وسلوكهم يتعدىٰ الحدود المعروفة للخبرات الانفعالية أو الخلقية .

٢ - المتجولون : وعندهم رغبة لا يمكن التحكم فيها في التجوال الدائم.

يصدق ، وهو يسرق دون وجود دافع ظاهر وبعض انحرافاته ترتكب سراً وقد يتباهىٰ في بعض الأحيان بتمرده وصلفه .

ويمتاز بعدم الاكتراث بالعرف السائد والعادات والتقاليد والقيم والمثل . فهذا المريض يمتاز بالجنوح المزمن وسوء استخدام العقاقير والانحرافات الجسمية . هذه الصفات الثلاثة تجتمع في حالة واحدة هي حالة السيوباتي . أما الجنوح المزمن **Chronic delinquency** فيتضمن مجموعة متباينة من المخالفات القانونية والخلقية . من ذلك سرقة السيارات وتزوير الشيكات والغش في أوراق اللعب . وقد لا يتضمن الجنوح خروجاً عن القانون . ويمتاز هذا النوع من الجنوح بالعودة إلى الجريمة **Recidivism** بمعنىٰ أن الواحد منهم يخرج من السجن لكي يعود إليه ويعول نفسه في الغالب من وراء عمل الآخرين ويستطيع بمهارة الإفلات من طائلة العقاب .

وتشمل هذه الطائفة رجال العصابات ومروجي المخدرات والقوادين ويمتازون بالامبالاة وعدم التعاطف مع الناس الآخرين والجفاف العاطفي كما تبدو في النزعة المادية لدىٰ ضحايا البغاء اللائي يتعامل معهن والبرود العاطفي من قبل مروج المخدرات نحو ضحاياه الذين دمرهم الإدمان . وقد لا توجد مثل هذه الصفات في المجرمين المحترفين ولكنها قد توجد في بعض رجال الأعمال المحترفين والمحامين والأطباء الذين تسود حياتهم الأنانية .

السمة الثانية هي الميل نحو سوء استخدام العقاقير إذا اعتاد المدمن على تعاطي العقاقير وإذا حرم منه شعر بأشتياق نفسي شديد له كما شعر بالتوتر أو الاكتئاب . أما الإدمان الجسمي فيعني أن الجسم يعتاد على تناول العقار بعد الاستعمال المستمر له وعندما يتعود الجسم عليه يصبح على المريض أن يتناول جرعات متزايدة منه ليحدث نفس الأمر الذي كانت تحدثه الجرعة الصغيرة . ويعاني المريض من مجموعة من الآلام إذا حرم من العقار تعرف باسم مجموعة أعراض الامتناع أو الانسحاب كما يحدث في حالة تعاطي المورفين والهيروين والكحول . وقد يؤدي استخدام هذه العقاقير إلى سوء التوافق المهني أو الأسري وإلى إيذاء الضحة . ويؤدي الإدمان إلى الطرد من العمل ، وهدم الأسرة ، وإلى ارتكاب جرائم السرقة . وقد يدفع المدمن

بروحته إلى البغء لتغطية الانفاق على عاداته السيئة ، وقد يحدث الإدمان الجسمي وحده أو النفسي وحده وقد يحدث الإثنان معا . ومن العقاقير التي قد تسبب الإدمان المهدئات والمنبهات والمغيبات .

أما الانحراف الجنسي : Sexual Deviation . الذي يعتري الحياة الجنسية عند السسيوباتي فالنشاط الجنسي السوي هو الذي يقود إلى الاتصال الجنسي بين الراشدين عن رضا وطواعية وأي خلاف لهذا يعد شذوذاً على أن يمارس بتكرار معتدل . فهناك الهوس الجنسي عند الإناث أي الولع الشديد للجنس Nymphomania . والإفراط أو الولع الجنسي الشديد عند الذكور والمعروف باسم الغلمة Satyriasis ولم تكن الجنسية المثلية انحرافاً عند الإغريق ولكنها كذلك اليوم . والشذوذ قد يعتري النشاط الجنسي في اختيار الموضوع أو في وسائل الإشباع أو الإستمتاع من ذلك الاتصال بالمحارم والاتصال بالحيوانات والاتصال بصغار الأطفال والاتصال بجثث الموتى ، والجنسية المثلية ومن وجوه الشذوذ الميل إلى كشف العورة أو الميل إلى النظر لعورات الناس أو استراق السمع لسماع النشاط الجنسي ، وينتهي شيلدون كاشدان من استعراض الانحراف السيسيوباتي بالقول : وعلى الرغم من أن الاتجاهات نحو الانحراف الجنسي في أمريكا آخذة في التغير إلّا أننا لا نزال نجد قدراً كبيراً من الشعور المتناقض والخلط . وأن الأمل لكبير في أن بعض الخرافات التي تتصل بالانحراف الجنسي سوف يقضي عليها كلما تيسرت لنا المعلومات عن السلوك المنحرف وعن جماعات المنحرفين . ولعله يجيء اليوم الذي لا نركز فيه على السلوك الجنسي المنحرف في ذاته ، وإنما نركز فيه على الأساليب المنحرفة التي يتعامل بها الناس بعضهم مع بعض .

وعلى الجملة نقول إن الاختلالات السوسيوباتية تتألف من طائفة متنوعة من الاضطرابات المدهشة المحيّرة وهي ليست صعبة في علاجها فقط وإنما هي صعبة في تشخيصها كذلك . ومن العاملين في الميدان فريق يذهب إلى أن السوسيوباتية بوصفها مقولة أو طائفة اكلينيكية لا وجود لها وإن تشخيص الحالة على أنها سوسيوباتية أشبه بإلقاء الحالة في سلة من المهملات بعد أن يستعصي علينا تشخيصها على أنها من قبيل العصاب أو الذهان . ومهما يكن لهذا

٣ ـ المتعصبون ومن هؤلاء المصلحون وأصحاب النشاط الديني العنيف

٤ ـ المتعبون القلقون وهم لا يستطيعون أن يظهروا ما يدل على اهتمامهم للآخرين ومن ليس عندهم إدراك لمشاعر الغير أو رحمة بهم

٥ ـ المجرمون عديمو الشعور وهؤلاء يقترفون أعمال العنف وأعمالاً عدوانية دون القدرة على التحكم في اندفاعهم رغم إدراكهم ما يفعلون .

٦ ـ السيكوباتيون الانفجاريون : ويشمل هذا الصنف عديمي الشعور من المجرمين عدا أن هذا النوع يرتبط انفجاره بمحاولات الغضب الانفجاري وقد يتجه سلوكه العدواني نحو نفسه فينتحر

٧ ـ السيكوباتيون المكتئبون : ذو النظرة التشاؤمية نحو المستقبل .

٨ ـ أصحاب النقص الخلقي : غير المتلائمين مع مطالب المجتمع وتسعى أفعالهم جميعاً إلى تحقيق حاجات مباشرة قريبة المنال وإشباع الدوافع والأهداف الوقتية .

٩ ـ المرضى بالكذب : ويسردون قصصاً تخرج عن حدود المعقول ولا يفيدون من ذلك سوى الارتياح من بعض التوتر الداخلي .

سمات الشخصية السيكوباتية :

من أبرز سمات السيكوباتي :

١ ـ عدم النضج الانفعالي وعدم الاستقرار الانفعالي والفحالة الإنفعالية ويظهر ذلك في الاندفاع والتهور والعجز عن ضبط النفس واحتمال الحرمان والإحباط .

٢ ـ عدم الإفادة من التجارب السابقة رغم ما قد ينعم به الشخص السيكوباتي من ذكاء مرتفع .

٣ ـ عدم ردع العقاب للشخص السيكوباتي عن معاودة أخطائه وإجرامه .

٤ ـ عدم إكتراث السيكوباتي بمشاعر الغير وعدم شعوره بوخز الضمير .

٥ ـ قدرة السيكوباتي على احتمال الحرمان والإحباط دون قدرة العصابي بكثير(١) .

---

(١) د / سامية لطفي الانصاري الإرشاد والتوجيه العلاج النفسي ، نشر المؤلفة ـ ج١ ـ ١٩٨٧ ص ٢٠٦ .

الفصل الثاني

سيكولوجية التحقيق الجنائي وصفات المحقق

* سمات المحقق الجنائي.
* أهمية المعاينة.
* العوامل المؤثرة في الإدراك
* صحة شهادة المرأة.
* قوة الذاكرة وضعفها.
* تعريف الإدراك الحسي.
* الإحساس والمحسوسات.
* العلاقة بين الإدراك والإحساس.
* خطوات عملية الإدراك .
* تعريف الصيغة..
* العوامل الداخلية الذاتية التي تؤثر في عملية الإدراك .
* طبيعة الجريمة وآثارها .
* الجريمة والجنون.
* العلم الحديث والتحقيق الجنائي .
* مدرسة لامبروزو الجنائية.
* علم النفس في قاعة المحكمة
* مدى صدق شهادة الشهود وشهادة العيان .
* مصادر أو منابع الخطأ في الشهادة والإدراك والتذكر.
* تخفيض الخطأ في شهادة الشهود.
* صفات المتهم وأثرها في البراءة أو الإدانة.
* الجاذبية الفيزيقية للمتهم .
* العوامل المؤثرة في قرارات المحلفين .

* تعليمات القضاة للمحلفين
* سيكولوجية شخصية المحلف .

الفصل الثاني

سيكولوجية التحقيق الجنائي وصفات المحقق

في هذا الفصل نتحدث عن العوامل النفسية المرتبطة بعملية التحقيق بوجه عام والتحقيق الجنائي بوجه خاص سواء كانت هذه العوامل تتصل بالمحقق نفسه أو بالمجني عليه أو المتهم أو الشهود ، ذلك لأن التحقيق فيه من الفنون الرفيعة التي تحتاج إلى المران والتدريب والممارسة لإكتساب الخبرة ولتطبيق الأساس والقواعد المستمدة من العلم .

والمعروف تبعاً للتقاليد القضائية أن القاضي وخاصة القاضي الجنائي يحكم لما يستقر في وجدانه وضميره . وللتحقيق عدة مبادىء يستعرضها الاستاذ الدكتور حسن صادق المرصفاوي في مؤلفه القيم [المرصفاوي في المحقق الجنائي] حيث يتحدث باستفاضة وعمق عن أهداف التحقيق وعن دور المحقق وعن مشروعية الإجراءات وضمانات التحقيق وإجراءاته وشهادة الشهود .

وفي هذا الفصل نركز على شخصية المحقق وما ينبغي أن يتسم به من سمات كالموضوعية والدقة والحياد والصبر وسعة الأفق وكثرة المعلومات . والمحقق الجيد هو الذي يصون الحرية الذاتية . ويفترض في المتهم البراءة حتى تثبت إدانته ولا شك أن الجريمة تعتبر أمراً عارضاً في حياة الإنسان ، وأن الأصل في الإنسان هو السلم والمسالمة . وللتحقيق أهمية كبرى في مسار الدعوة الجنائية أما في القضايا المدنية فهناك مساواة بين طرفي الخصومة في عبء الإثبات. فعبء الإثبات في المسائل المدنية يقع على طرفي النزاع . أما في الأمور الجنائية فإن للتحقيق أهمية كبرى في إثبات الإدانة . وكذلك لموقف القاضي من الدليل أهمية في إثبات الإدانة أو البراءة . ولذلك فهو

يبحث عن الحقيقة قبل أن يصدر الحكم الذي يرتاح إليه ضميره . ويقتضي الأمر من المحقق معرفة الواقعة وما دارت في فلكه من الظروف والعوامل والملابسات ، وعليه أن يتحقق عما إذا كانت هذه الواقعة المدعىٰ بها قد وقعت أصالة أم لا .

ثم البحث في إسناد هذه الواقعة إلى شخص معين هو مرتكب الجريمة فهو مركز الثقل في الواقعة الإجرامية والمتهم هو الذي اتجهت إليه مدارس البحث في علم الإجرام وفي علم النفس الجنائي والقضائي ، واهتمت به المدرسة الإيطالية أو المدرسة الوضعية في تفسير الجريمة على اعتبار أن الجريمة وقعت في وسط المجتمع وانتهت ولم يبق منها غير آثارها ، أما الفاعل فما يزال حياً باقياً تتعين دراسة وراثته وسمات شخصيته وما يمتلك من ذكاء وما به من شذوذ وما لديه من دوافع وقوة محركة ، وذلك بقصد وضع البرامج اللازمة لعلاجه وللوقاية من أخطار الجريمة .

وكما يقول د . / المرصفاوي : والمراد بالعناية بالفاعل هنا تحقيق الغاية من العقاب ؟ فما عادت العقوبة تمثل انتقاماً من الجاني ، وإنما هي وإن تمثل فيها عنصر الإيلام وعامل الردع سواء الخاص، حتى لا يعود الجاني إلىٰ مقارفة الجريمة من جديد، أو العام حتى لا يقتدى الغير بالجاني لمقارفة الجريمة . نقول إنها تهدف في ذات الوقت إلى إصلاح الجاني وإعادته عضواً نافعاً في المجتمع ، وهو ما يؤدي بالضرورة إلى مكافحة الجريمة والإقلال من أخطارها على الجماعة[1].

وهناك رأي ينادي بفصل سلطة الإتهام عن سلطة التحقيق بجعل الإتهام في سلطة النيابة والتحقيق في سلطة قاضي التحقيق . والوضع الراهن هو جمع هاتين السلطتين أي الإتهام والتحقيق في النيابة العامة. ومن خصائص المحقق الناجح الميل نحو هذا العمل والرغبة فيه والإيمان برسالته كمحقق وعدم تحيزه أو تعصبه أو تأثره بالمعلومات السابقة أو بآرائه واتجاهاته الشخصية مستهدفاً الوصول إلى إظهار الحقيقة . ويتعين أن يتسم بالاتزان الانفعالي والنضج الانفعالي كما يظهر ذلك في هدوء أعصابه بحيث لا يخلق جواً من الخوف والرهبة في نفس من يحقق معه . وأن يبتعد عن التوتر والقلق وشرود

---

(١) (د. حسن المرصفاوي ص ٢٢).

الذهن وتسرحه في أثناء عملية التحقيق ، وأن يتابع أحداث من يحقق معه حتى يسبر غور الحقيقة ومن خصائصه سرعة التصرف والتعرف على أمر الجريمة فور وقوعها قبل اختلاف معالمها والإسراع في ردع المتهم لمنع معاودته ارتكاب الجريمة وردع غيره

سمات المحقق الجنائي :

يجب أن يمتاز بقوة الإرادة وقوة الملاحظة والقدرة على الربط بين الحقائق المتناثرة ، وعليه أن يتسم بالمرونة الذهنية وعدم التشبث بما يستقر في ذهنه منذ الوهلة الأولى ، ولذلك يحتاج عمل التحقيق إلى تركيز الانتباه بما في ذلك ملاحظته الأشخاص والوقائع ولا سيما في أثناء المعاينة والتأكد من صحة كل دليل . ولذلك يلزم أن يتمتع المحقق الماهر بقوة الذاكرة وخاصة عندما تطول صفحات التحقيق . والمحقق الجنائي ، شأنه في ذلك شأن الطبيب النفسي ، يجب أن يحفظ ما يفضي به إليه من الأسرار ، وعدم إفشائها وعدم الإفصاح عن الحقائق المتعلقة بالوقائع وتحقيقاتها حتى لا تتسرب هذه الأسرار وتصل إلى من يستفيد بها .

ومن الناحية الفنية يلزم للمحقق الجنائي الجيد الإلمام بقانون العقوبات وقانون الإجراءات الجنائية ونضيف إلى ذلك ضرورة الإلمام بالمعلومات المنبثقة عن علم النفس الجنائي وغير ذلك من العلوم المساندة للقانون الجنائي كعلم العقاب وكما يقول الدكتور المرصفاوي : ومن أهم العلوم المستحدثة التي ينبغي على المحقق أن يكون على دراية بها علم الإجرام وعلم العقاب . فعلم الإجرام يهدف إلى تقصي أسباب الجريمة ابتغاء مكافحتها سواء تعلقت تلك الأسباب بطبيعة تكوين الجاني أو نفسيته أو المجتمع الذي يعيش فيه . ومن ثم يدخل فيه علم الطبائع الجنائية ويتناول دراسة الفرد من ناحية تكوينه الجسماني لمعرفة أثر هذا التكوين في قيام أسباب الجريمة . ويدرس علم النفس الجنائي تلك الأسباب من ناحية نفسية المجرم وعواطفه وإنفعالاته . وعلم الاجتماع الجنائي يتناول أسباب الجريمة من حيث تعلقها بالمجتمع الذي يوجد فيه الفرد . ويبحث علم العقاب في أنواع العقوبات وما يحقق غايتها بأقل قدر ممكن منها . وهو يشمل أيضا

وسائل الأمن والتدابير الاحترازية التي تتخذ حيال من ثبتت خطورتهم على المجتمع ولا تطبق عليهم العقوبة أو من يبدو خطرهم عملاً على منع الجريمة قبل وقوعها كذلك المحقق الجيد يتعين عليه أن يلم بعناصر الثقافة السائدة في المجتمع . ومن الأمور الغير مشروعة في التحقيق استخدام التعذيب النفسي أو الجسدي مثلما يحدث مع أسرى الحروب الذين تنزع منهم الاعترافات بالقوة المادية أو المعنوية. وهناك من يستخدم بعض الأجهزة كجهاز كشف الكذب والتحليل النفسي التخديري وتسجيل المحادثات التليفونية والشفوية . وهناك إجماع على استخدام الإجراءات المعملية كتحليل الدم والبول والبراز والشعر والأتربة والسموم ورفع البصمات . ومن هذه الإجراءات تسجيل الأصوات وإثبات الحالة أو الواقعة وإجراءات التفتيش ولكن لا يلزم استخدام التسجيل مع أي متهم لعدم انتهاك الحرية والسرية الخاصة التي يحميها الدستور . ويتعين أن يسبق التسجيل أمر من السلطة القضائية ، ولا يتم إلاّ في الجرائم الخطيرة التي تمس أمن الدولة . ومن شروط التحقيق الجيد العلانية ونقصد بذلك التحقيق في المحاكم ويجب أن نوفر للتحقيق مكاناً وزماناً قبل الشروع فيه وإعلان الخصوم بهذا الموعد وذلك المكان مع ضرورة تدوين التحقيق كتابة ويحدد في محضر التحقيق تاريخ افتتاحه ووقته مع إثبات اسم المحقق وصفته مع بيان ملخص الإجراءات السابقة كتلقي البلاغ والانتقال للمعاينة ومضمون محضر الاستدلالات إن وجد . على أن يدون كل ما يحدث في أثناء عملية التحقيق بحيث يعبر المحضر عن تسجيل واقعي لكل ما يتم .

أهمية المعاينة :

وللمعاينة أهمية كبيرة في أدلة الدعوة ، وذلك لأن الشهود يتأثرون بعوامل الذاكرة والنسيان والحياد أو التحير ، أما المعاينة فتعرض الماديات . وينبغي أن يباشر التحقيق مع المجني عليه فور وقوع الحادث على أن تعطى المعاينة صورة حقيقة وواقعية لما شاهده المعاين .

وقد يستعين المحقق بالخبراء في المسائل الفنية التي لا تتوفر لديه خبرة عنها . ومن ذلك الاستعانة بالطبيب الشرعي في تحديد سبب الوفاة مثلاً وقد يتم انتداب خبير آخر .

ويبدأ التحقيق بسؤال المتهم عن اسمه ويفضل أن يكون ثلاثيا ولكن قد يرفض المتهم الإدلاء باسمه وقد ينتحل اسماً لشخص آخر وفي هذه الحالة قد يتعرض لجريمة أخرى هي جريمة التزوير . فإذا كان اسماً وهمياً سار المحقق في التحقيق وإذا كان اسماً لشخص آخر حرر له محضراً بواقعة التزوير . ويتعين إثبات اسمه وسنه وصناعته ومحل ميلاده وعنوان سكنه وقد يتطلب الأمر تفتيش المتهم وإثبات ما قد يوجد معه في محضر التحقيق ، وعلى المحقق أن يحيطه علماً بالتهمة المسندة إليه وسماع دفاعه بصورة مجملة ثم مناقشة المتهم تفصيلاً وسماع الشهود . وقد تكون الأسئلة في الأستجواب مباشرة أو غير مباشرة ولا يستخدم فيها وسائل غير مشروعة كالوعد بتخفيف العقوبة أو الوعيد والتهديد بالحبس ولا تصلح الأسئلة الإيحائية بأن يزعم له كذباً أن أحد المتهمين قد اعترف بارتكاب الجريمة أو أن شاهداً معينا قد شهد بارتكاب الجريمة ، ولا ينبغي استخدام أساليب التعذيب النفسي كطول فترة الاستجواب . وإن لاحظ المحقق حالة من القلق أو الاضطراب أو الاعياء أو التعب والإرهاق أو الخلط أوقف الاستجواب .

ويوضح قانون الإجراءات الجنائية أنه يجوز حضور محام مع المتهم أثناء الاستجواب ومن حق المحامي الاطلاع على أوراق التحقيق قبل الاستجواب ويحدد القانون حقوق الخصوم في الاستجواب وهي كما يحددها الدكتور المرصفاوي : يجوز في الاستجواب من الناحية القانونية أن يشترك الخصوم في مناقشة المتهم فيجوز أن توجه الأسئلة من متهم آخر في الدعوى أو من المسئول عن الحقوق المدنية أو من المدعي بالحقوق المدنية . وكما يجوز لهؤلاء التدخل في المناقشة يجوز ذلك لمن كان وكيلاً عن أي متهم[1].

وإذا اعترف المتهم بارتكابه الجريمة فإن الاعتراف لم يعد سيد الأدلة كما كان يعتقد في الماضي ، وإنما لم يزد عن كونه دليلاً من الأدلة فإذا اعترف المتهم واصل المحقق استجوابه في تفاصيل الدعوى ليتحقق من صحة الاعتراف ومن تسلسل وترابط الوقائع لأن المتهم قد يعترف تحقيقاً لأغراض خاصة . ولذلك يستجوبه المحقق في الإرشاد عن المسروقات أو الأسلحة المستخدمة في الحادث وعن الدوافع التي تكمن وراء

---

(١) المرصفاوي ص ١٤٠ .

الجريمة ثم سؤال الشهود وسبب وجودهم في مكان الحادث والتحقق عما إذا كان المتهم قد اقترف جرمه دفاعاً شرعيا عن الذات ، الأمر الذي ينفي المسؤولية الجنائية وقد ينكر المتهم بعد اعتراف أو اعتراف بعد إنكار . وقد يحاول أن يشرك غيره في اقترافها وفي كل مرة على المحقق أن يتحقق من أسباب العدول عن الاعتراف وقد يكون الاعتراف وليد إكراه وتعذيب وعلى المحقق أن يتحقق من وجود آثار بجسمه ويوقع المتهم في نهاية التحقيق سواء اعترف أم أنكر . والأدلة التي يطمئن إليها ضمير القاضي الجنائي ينبغي أن يكون الإسناد فيها قائماً على أساس الجزم واليقين لا الظن والتخمين أو الاحتمال هذه الأدلة متساندة بكل بعضها بعضاً والشهادة التي تتم فور وقوع الحادث يطمئن إليها أكثر لأنه لم تمتد إليها بعد يد العبث والتحوير والتزيف .

سلامة الشهادة :

ومن خواص الشهادة الصحيحة إنها تعتمد على سلامة الحواس للشاهد ويجب أن تكون المعلومات منقولة إليه عن طريق حواسه وليس من طريق النقل عن الغير فيلاحظ أن الشاهد حين يشهد لا ينقل معلومات حسية بصرية أو سمعية أو ذوقية آنية وإنما ينقل صوراً ذهنية فقط ولا تؤخذ أقوال الشاهد حرفياً وإنما يبني القاضي عقيدته من مجموع أقوال الشهود على أن يأخذ في الحسبان ظروف الشاهد الشخصية . وعلى المحقق أن يلم بشخصية الشاهد وبواعثه ودوافعه ويدخل في ذلك سن الشاهد وجنسه وسلالته وحالته الصحية الجسمية وذكائه وقوة ذاكرته فمن حيث السن لا تجوز الشهادة قبل بلوغ الطفل سن السابعة .

العوامل المؤثرة في الإدراك :

والمعروف وفقاً للتراث السيكولوجي أن عملية الإدراك الحسي أي إدراك الإنسان للعالم المحيط به من أناس وأحداث يتأثر بمجموعة من العوامل الذاتية التي تتصل بالإنسان المدرك نفسه ومن ذلك هالته الإنفعالية وتوقعاته ومستواه الاقتصادي والاجتماعي وما يتعرض له من إيحاء . ثم يتأثر الإدراك

أيضاً بمجموعة من العوامل الموضوعية المتعلقة بالشيء المدرك ، ومن ذلك قانون الإغلاق وقانون التماثل والشكل والأرضية .

الشهادة التي يعتد بها هي المقولة عن حواس الشاهد مع العلم بأن هذه الحواس نفسها قد تخطىء كما هو الحال في خداع الحواس . الإدراك كذلك يتأثر بالخيال وباكتمال الصورة وباختلاق أحداث كاملة غير حقيقية .

ويتعين على الشاهد حلف اليمين إذا بلغ سناً معيناً حددها القانون المصري بأربعة عشر عاماً من العمر . وكذلك فإن الشيخ العجوز يرتد إلى الوراء إلى عقلية الطفل في التذكر والإدراك حيث يلاحظ انخفاض معدلات النشاط الجسمي بعد سن الأربعين .

صحة شهارة المرأة :

وفيما يتعلق بجنس الشاهد فلقد ثبت أن المرأة تميل في شهادتها إلى المبالغة في تصوير الأمور إلى حد البعد عن الحقيقة واختلاق وقائع من أساسها . وهي تتحكم في ذلك لدرجة ، نراها فيها تروي الوقائع الكاذبة في هدوء تام . ولذلك تجلت حكمة الإسلام في اعتبار شهادة امرأة واحدة مساوية لنصف شهادة الرجل كذلك يلاحظ على شهادة المرأة أنها أكثر تأثراً بالعواطف والانفعالات وتصوغ شهادتها تبعاً لذلك الهوى وقد تخضع المرأة في شهادتها لمن يعولها وقد تتأثر بإيحاءات الرجل إليها وتبدو المرأة أمام المحقق أكثر ثباتاً وصبراً ، ولكن ليس ذلك دليلاً على صدقها . ومن طبيعة المرأة أن تهتم بالجزئيات في وصف الواقعة . وفيما يتعلق بالحالة الصعبة ينبغي أن يكون الشاهد ، حين مشاهدته الواقعة ، سليم الحواس ولذلك لا تسمع شهادة المخمور وينبغي لمن يدعي تمييز صوت المتهم إجراء تجربة يسمع فيها عدداً من الناس يتكلمون معاً وينبغي أن يتحقق المحقق من قوة ملاحظة الشاهد ومناقشته في ضوء المعاينات والأدلة الأخرى مع التعرف على ظروف الإضاءة والظلام وقت وقوع الحادث .

وإنما كما قرأها لأنه يصدق ما ينشر أكثر مما يصدق مدركاته الشخصية . ويمكن للمحقق في حالة التحقيقات الكبيرة أن يعمل فهرساً لأقوال الشهود ،

والتأكد من معرفة الشاهد للون والوقت والمسافات وموقف المتهم من المجني عليه كأن يسأله متى شاهدت المتهم ؟ بعد كم من سماع الاستغاثة ؟ كما يسأله كم كانت المسافة ؟ وقدره بالمتر بينك وبين المتهم أو بين المتهم والمجني عليه ؟ وللتحقق من أن الشاهد يعرف تقدير المسافات والأطوال يطلب منه المحقق قائلاً [وريني كده خمس متر تبقى قد أيه ؟] وكذلك قد يتأثر الشاهد في شهادته بالأمراض العقلية والنفسية التي قد يعاني منها .

ولذلك يتطلب الأمر من المحقق الإلمام بقدر معقول من علم النفس والأمراض النفسية والعقلية . أما عن الذكاء فيتعين أن يلم المحقق بمستوى ذكاء الشاهد وأن يسأله عن رأيه في الواقعة .

قوة الذاكرة وضعفها :

ومعروف أن الذاكرة تضعف في سن الشيخوخة كذلك تتأثر الذاكرة بمرور الزمن على الواقعة ، وتتوقف على سلامة عملية الإدراك وتتأثر شهادة الشاهد بمستواه التعليمي فكلما ارتفع هذا المستوى كلما كان أميل إلى الصدق وإلى الدقة ومعرفة أثر شهادة الزور باعتبارها جريمة .

ومعروف أن الإجرام ينتشر أكثر بين الأميين كذلك لوحظ على الشهود الجهال أنهم لا يفهمون معنى الأسئلة . وقد لوحظ أن الشخص الجاهل يستحي أن يقول لا أعرف حتى لا يظهر أنه جاهل أمام المحقق .

إلى جانب ذلك هناك عوامل خاصة ذاتية لاشعورية تجعل الشاهد يصدق أو يكذب أو يخطىء من ذلك اتجاهاته ومشاعره وتحيزه وتعصبه إزاء موضوع الشهادة .

فالشخص الذي يكره سائقي الأجرة يشهد صدهم والعامل الذي يكره الموظفين يشهد ضدهم . والشخص المكروه في القرية توجه له الاتهامات عن كل الجرائم . وكذلك الشخص الذي تتردد حوله الشائعات بالسرقة يتهمه الناس إذا فقد شيء ما . ويستطيع أن يكشف المحقق عن تزوير الشهادة بمواجهة الشاهد بأقوال غيره من الشهود . والأصل في الشاهد أن يكون محايداً بالنسبة لأطراف الدعوى وأن تكون الشهادة خدمة للعدالة .

لإعطاء فكرة عن مستوى الشاهد ودقة شهادته وصدقها بحيث تطمئن إليها المحكمة من عدمه لابد أن يشير إلى مهنته وإلى مستواه التعليمي والاقتصادي . ومن مهام المحقق أن يقارن بين الشهادات، ويؤثر المستوى الاجتماعي والاقتصادي لسكان الحي الذي تقع فيه الجريمة على شهادة الشهود فقد يشعروا بالعار إذا لم يؤازروا جارهم ولو بالشهادة الزور ومن ذلك ينظر بعض البيئات أن الأخذ بالثأر أو الدفاع عن العرض واجب اجتماعي بل إن الاعتداء على الغرباء عن الحي قد يكون محل فخر واعتزاز فسكان المناطق الواحدة تجمعهم آراء واحدة وفي بعض المجتمعات المحلية تعتبر السرقة عملاً من أعمال البطولة . يجب أن يدلي الشاهد بشهادته طواعية واختياراً دون أن يكون مدفوعاً من أحد ، وأن يكون وجوده في مكان الحادث بمحض الظروف الطبيعية .

ومعروف أن حالة الاضطراب والخوف تفسد الشهادة سواء كان هذا الخوف صادراً من شخص المحقق أو من الخصوم والمعروف أن حاله الخوف الشديد تؤثر في الإدراك والتفكير والتذكر والتخيل . ويجب أن ينظر المحقق إلى التحقيق على أنه وحده واحدة وأن يأخذ في الاعتبار المكان الذي أجرى فيه التحقيق فهو في السجن غيره في قسم الشرطة غيره في سراي النيابة غيره في المستشفى أو في منزل المتهم أو في منزل المجني عليه ، على أن السؤال في السجن لا يجوز إلاّ بعد أخذ أذن من النيابة . كذلك فإن نشر الأحداث في الصحف قد يؤثر في نفسية الشاهد وفي اتجاهه فيروي الواقعة لا كما شاهدها ويجب أن يستمع المحقق إلى شهود النفي كسماعه لشهود الإثبات مع ضرورة أبعاد الشهود عن الوقوع تحت طائلة المؤثرات أياً كان نوعها . وقد تسمع الشهادة على سبيل الاستدلال وذلك إذا جاءت من المدعي بالحق المدني أو من الأطفال في الرابعة عشر من العمر على أن حلف اليمين ليس دليلاً على صدق الشاهد .

نوعية الأسئلة :

ويجب أن تتسم الأسئلة بالتلقائية والفجائية وأن تشمل الجوانب الفنية من ذلك الأسئلة الآتية .

١ - متى صعدت ؟
٢ - متى شاهدت المتهم؟
٣ - كيف شاهدته؟
٤ - كيف شاهدت المجني عليه؟
٥ - ما هي الحالة التي كان عليها المجني عليه عندما شاهدته ؟
٦ - ما الذي فعلته بعد ذلك ؟
٧ - ما سبب صعودك إلى فوق ؟
٨ - ما الذي شاهدته حال صعودك ؟
٩ - ما الذي قابلك أثناء صعودك ؟
١٠ - ما الذي وجدت هناك؟

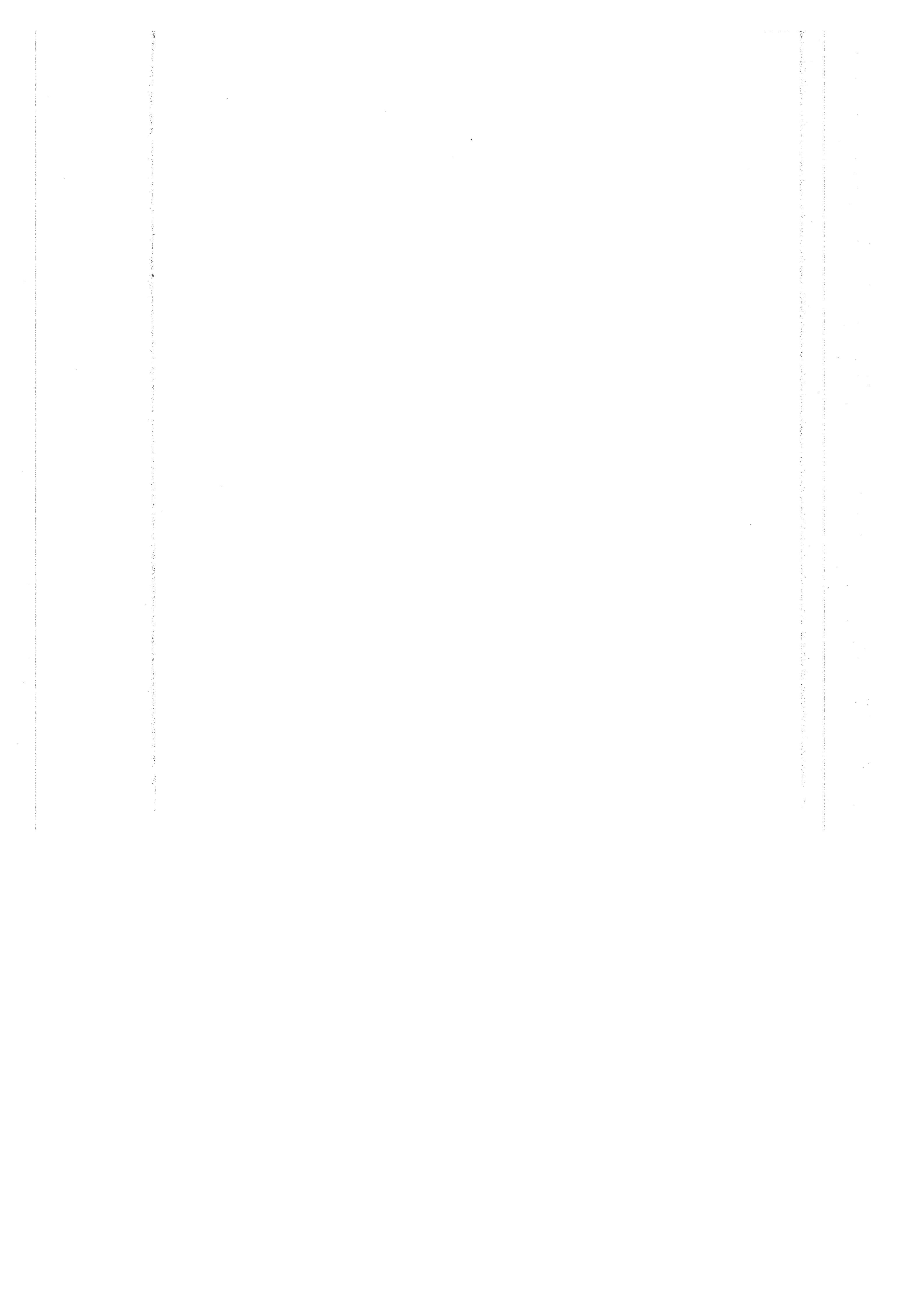
ومن الممكن أن تكون الأسئلة غير مباشرة وقد تتضمن الأسئلة الآتية.

١ - كيف علمت بالحادث ؟
٢ - كيف تفسر إصابة المجني عليها ؟
٣ - ولا ينبغي أن يسأل السؤال الآتي .

ألم يكن فلان بصحبة فلان ؟ وإنما يسأل

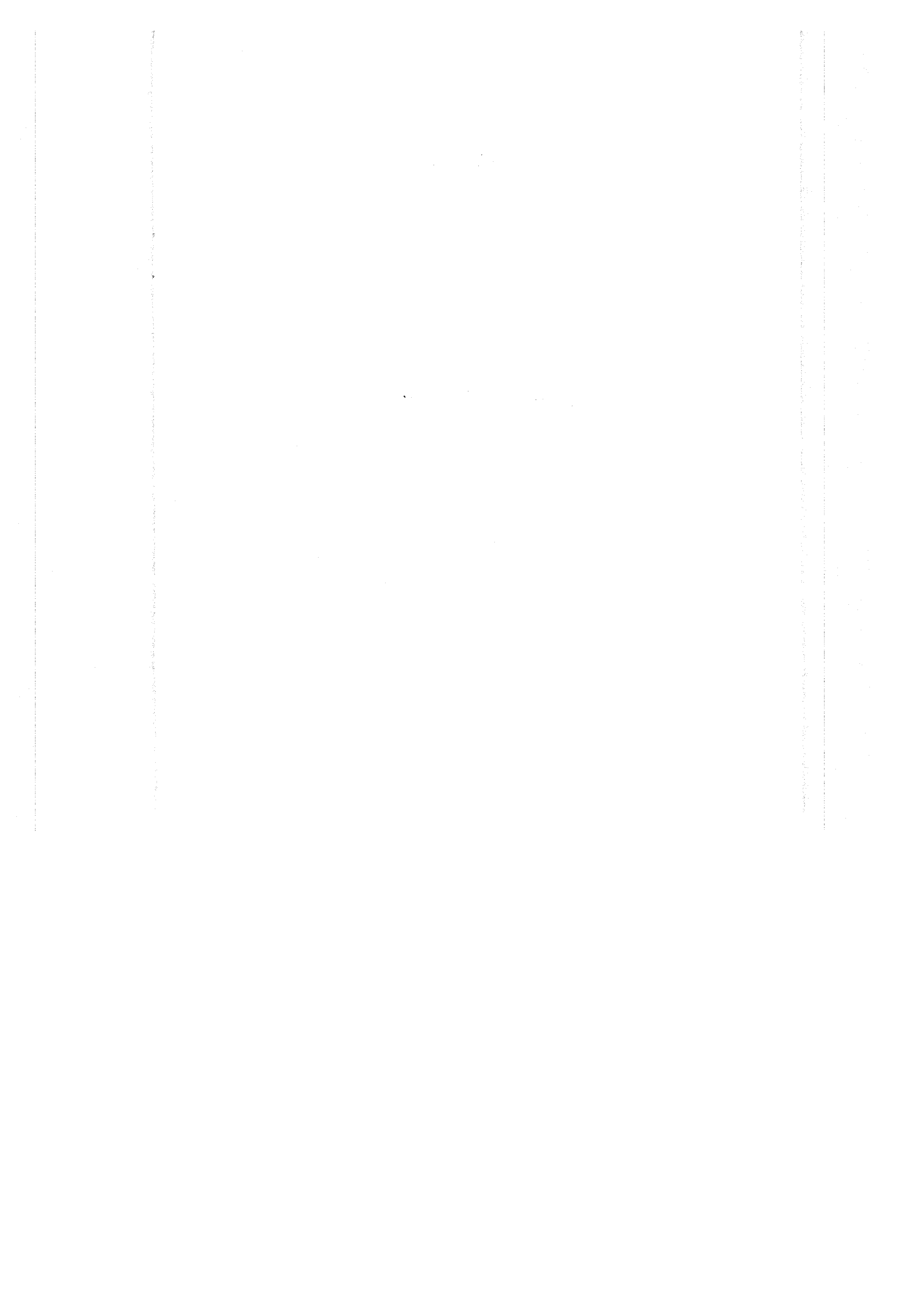
هل كان فلان بمفرده . على أن تخضع الأسئلة للتسلسل الذي وقعت به الحادثة على أن تتضمن الأسئلة جميع الوقائع وحالة الإضاءة والأدوات المستخدمة وموقف الضارب من المضروب والكيفية التي كان عليها المتهم مع مواجهة الشهود بما قد يوجد بينهم من تناقض . ولا يمكن للمحقق أن يذكر أشياء على أنها حقائق وهي ليست حقائق مع مناقشة الشاهد عن سبب عدوله عن الأقوال السابقة مع ملاحظة أن سؤال الشهود حق للمتهم وليس حقاً للمجني عليه . ولا شك أن التناقض يكشف عن كذب أقوال الشاهد كذلك فإن التطابق التام قد يثير الشك والريبة . وعلى المحقق أن يتعرف على كيفية تعرف الشاهد على الشخص المتهم هل من هيئته أم من صوته أم مشيته أم من شكله أو طريقة سيره وقد يطلب المحقق إعادة تمثيل الواقعة . ومن الأمور التي يكتشف المحقق بطلانها أن يقرر الشاهد أن الجاني أطلق عياراً نارياً

على فلاح عائد إلى منزله ولكنه جرى وراء الجني لملاحقته على أنه ينبغي أن يتذكر المحقق أنه في الإمكان أن ينتهز شخص ما الفرصة لارتكاب الجريمة حتى تسند إلى شخص آخر كذلك عليه إعادة الواقعة في نفس الظروف الجوية التي تمت فيها الواقعة الأولى .



الفصل الثالث

طبيعة عملية الإدراك الحسي



الفصل الثالث

طبيعة عملية الإدراك الحسي Perception والعوامل المؤثرة فيها

يطلق إصطلاح « الإدراك » أو الإدراك الحسي في علم النفس على العملية العقلية التي نعرف بواسطتها العالم الخارجي ، وذلك عن طريق المثيرات الحسية المختلفة التي تسقط على حواسنا المختلفة من العالم الخارجي الذي يحيط بنا ، فأنا أدرك أن هذا الشيء ، الموضوع أمامي أنه كتاب ، وأن له مميزات خاصة كاللون والطول والعرض والسمك . ولكن لا يقتصر هذا الإدراك على مجرد إدراك الخصائص الحسية لهذا الكتاب ، بل إنني أدرك ما يحتويه من كتابة هي رموز لها دلالتها ومعناها ، كما إنني أعرف أنه كتاب في علم النفس ، وأعرف كيفية إستخدامه كما أعرف فوائده المتعددة .

فالإدراك في جوهره عبارة عن إستجابة لمثيرات حسية معينة ، لا من حيث كون هذه المثيرات أشكال حسية وحسب ولكن من حيث معناها أيضاً أو من حيث هي رموز لها دلالتها بالنسبة لي Preeption = A Process Whereby the organism selects., organizes and interpretate sonsory data available to it. (1).

وحين تقع على حواس السمع والبصر والشم والذوق واللمس مؤثرات العالم الخارجي فإننا لا نحس بها فقط كمجرد إحساسات عمياء ، ولكننا ندرك أيضاً معنى هذه الإحساسات ومصدرها فأنا أسمع صوتاً معيناً مثلاً وأدرك في

---

(١) المرجع السابق Stanford

نفس نعرف أنه صوت سيارة قديمة . أو أنه صوت صديقي سامي . فنحن في عملية الإدراك نقوم بتفسير الإحساسات ، وبتحديد الشيء الذي يصدر عنه الإحساس ونعطيه معنا ونطلق عليه أسما معينا أيضا وعلى الرغم من أن الإدراك يبدأ بإثارة حواسنا إلاّ أنها عملية عقلية في جوهرها

والإدراك هو الوسيلة التي يتصل بها الإنسان بالعالم الخارجي ، وحواسنا هي النوافذ التي نطل منها على هذا العالم الزاخر بالأشياء والموضوعات ، والناس والموقف .

إن الإدراك الحسي ما هو إلا إستجابة كلية لمجموعة التنبيهت الحسية الصادرة عن موضوعات العالم الخارجي ، وهو في نفس الوقت إستجابة تصدر عن الكائن الحي بكل ما له من ذكريات وخبرات وإتجاهات وميول . ومعنى ذلك أن الإدراك الحسي تتدخل فيه عوامل متعددة داخلية وخارجية أو موضوعية وذاتية .

يحدث الإدراك الحسي نتيجة لاستثارة أعضاء الحس المختلفة ولكنه يتأثر أيضاً بعوامل أخرى في الكائن الحي ، تتكون تلك العوامل نتيجة مرور الكائن بخبرات معينة طوال حياته ، فعملية الإدراك عملية عقلية وانفعالية وحسية معقدة ، حيث يدخل فيها الشعور والتخيل والتذكر ، كما أنها تتأثر بعادات الفرد ودوافعه واتجاهاته وخبراته . فهي العملية التي بواسطتها يصبح الكائن عالماً بالموضوعات الخارجية بما فيها من علاقات أو بما تمتاز به من صفات فالإدراك إذن عبارة عن الإحساس مضافاً إليه معاني المحسوسات .

في عملية الإدراك نحن لا نستقبل إحساسات سمعية وبصرية وشمية وحسية وحسب ولكننا نسمع صوتاً مثلاً ونعرف أنه صوت رجل أو صوت سيارة ، كذلك فإننا نبصر ونرى أن هذا الشيء الذي أمامنا الآن هو كتاب أو مصباح ، ومعنى ذلك إننا في الإدراك نقوم بعملية تفسير الإحساسات ، كما إننا نحدد الإحساس ونعطيه اسماً معيناً . وبناء على هذا التفسير فإننا نسلك إزائه سلوكاً معيناً . فسلوكك عندما يقابلك صديقك في الطريق يختلف عنه عندما يقابلك نمر مثلاً .

الإحساس والمحسوسات :

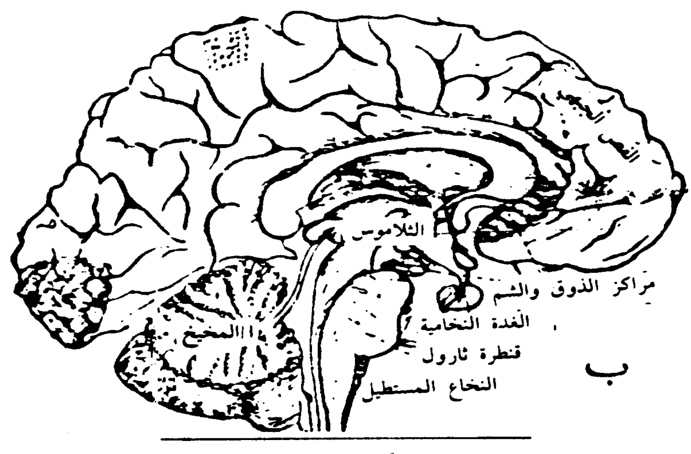
إذا كنت تجلس على مكتبك منهمكاً في الكتابة وفجأة وخزك طفل يلعب تحت أقدامك بدبوس في قدمك فإنك بسرعة سوف ترفع قدمك بعيدا عن مصدر الخطر بطريقة لا إرادية وآلية دون تفكير طويل . هذا هو الإحساس Sensation المباشر والمسئول عنه في جسم الإنسان هو الجهاز العصبي . والكائنات الحية تتميز بامتلاكها مثل هذا الجهاز العصبي الذي يقوم بتلقي المؤثرات من العالم الخارجي ثم بنقلها إلى الجسم ويختلف الجهاز العصبي باختلاف السلسلة الحيوانية التي ينتمي إليها الكائن الحي وعلى كل فإنه يزداد تعقيداً كلما إرتقينا في سلم التطور الحيوي . ويمتاز الإنسان بوجود أعداد هائلة من الألياف العصبية التي تنتشر في جميع أجزاء جسمه وتصل إلى مخه .

ويتألف الجهاز العصبي من عدد كبير جداً من الخلايا العصبية التي تعمل على توصيل التيارات العصبية من سطح الجسم إلى المخ والمخيخ والنخاع المستطيل . وتتكون كل خلية عصبية من ثلاثة أجزاء هي : جسم الخلية والزوائد الشجيرية والزوائد المحورية . وتتصل الخلية العصبية بالخلايا العصبية الأخرى بواسطة فروع الزائدة المحورية وتسمى الوصلات العصبية .

وينقسم الجهاز العصبي كله إلى قسمين رئيسيين يطلق على القسم الأول الجهاز العصبي المستقل وعلى الآخر الجهاز العصبي المركزي . ويحتوي الأول على جميع الأعصاب المنتشرة في الجسم والتي تنتهي أخيراً في جبلين ملتصقين بالعمود الفقري .

أما القسم الثاني فيشتمل على المخ والمخيخ والنخاع المستطيل . وتوجد بهذا الجزء مراكز الإحساسات المختلفة التي تستقبل المؤثرات الحسية من شتى أنحاء الجسم ثم تردها في شكل إستجابات تلائم الموقف (شكل ١) .

ويلاحظ أن للخلايا العصبية تؤدي وظيفتها بطريقة تخصصية حيث تختص بعض الخلايا باستقبال مجموعة المؤثرات الحسية وتحملها إلى



(شكل ١)
المخ والمخيخ ومراكز الذوق والشم والبصر وغيرها من الإحساسات

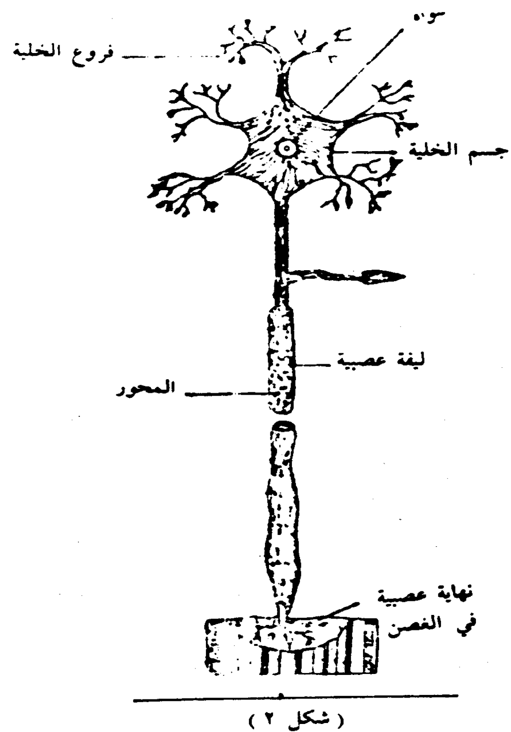
المراكز الخاصة بها في المخ ، وتسمى هذه الخلايا باسم الخلايا الموردة ، أما الخلايا التي تحمل الأوامر إلى الأعضاء الجسمية بالإستجابات المعينة فإنها تسمى بالأعصاب المصدرة (انظر شكل ٢).

فالجهاز العصبي هو الذي يشرف على جميع الوظائف العضوية وهو الذي يؤلف بينها ويعمل على تحقيق تكامل الكائن الحي Integration[(١)].

والواقع أن الكائن الحي يستقبل مؤثرات حسية من مصادر مختلفة فهو يستقبلها من خارج جسمه أي من البيئة الخارجية المحيطة به ، كذلك يستقبلها من داخل جسمه أي من أعضائه وأحشائه الداخلية ، كما يستقبلها من عضلاته ومفاصله نتيجة لقيام هذه العضلات بالحركات المختلفة .

---

(١) د. يوسف مراد - مبادىء علم النفس - دار المعارف ١٩٨٢ .



(شكل ٢)

خلية عصبية مكونة من النواة وفروع الخلية وجسم الخلية والألياف العصبية

ومن الإحساسات الداخلية الإحساس بالجوع والإحساس بامتلاء المثانة بالبول وما إلى ذلك ، أما إحساسات المفاصل والعضلات فتأتي من تقلص هذه العضلات ومن قيامها بالحركات .

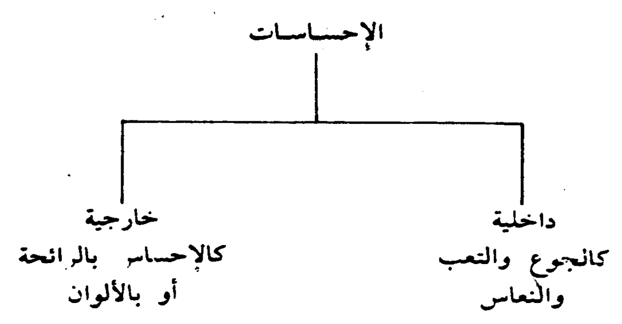
يطلق اصطلاح « الإحساس » على الإدراك الأولى للموضوعات التي نحس بها عندما يثار عضو من أعضاء الجسم المختلفة ، ولكن ليس لهذا الإدراك تفسير كما أنه ليس محللاً تحليلاً دقيقاً . ومن أمثلة الإحساسات

الألوان والأصوات والمشمومات والمذاقات والدفء والبرودة والضغط والخشونة والنعومة.

Sensation = is a psychological event occurring when receptors are stimulated.

ومن المعروف أن الكائن الحي يمتاز عن الجمادات في أنه يمتلك جهازاً عصبياً يساعده على استقبال المؤثرات التي تنبعث من موضوعات العالم الخارجي. يقوم هذا الجهاز بنقل الإحساسات المختلفة إلى المخ حيث يترجمها المخ إلى معاني محددة. وتنقسم الإحساسات المختلفة إلى إحساسات داخلية وأخرى خارجية، ومن أمثلة الإحساسات الداخلية إحساس الفرد بالجوع أو العطش أو التعب أو النعاس والإحساس بالتوازن وبالإتجاه الذي يأخذه الجسم في أثناء المشي أو الجري مثلاً.

أما الإحساسات الخارجية فهي التي تنقلها إلينا الحواس الخمسة المعروفة (السمع، البصر، الشم، الذوق، اللمس) كالإحساسات بالخشونة أو بالنعومة وبالألوان والروائح.



وتنقل إلينا هذه الحواس الإحساسات إما بطريق التلامس المباشر بين عضو الإحساس، وموضوع الإحساس كما هو الحال في حاستي اللمس والذوق أو بطريق غير مباشر كما هو الحال في حواس السمع والبصر والشم حيث يوجد فراغ من الهواء بين عضو الإحساس ومصدر الإحساس.

تنقل الاحساسات للجسم بطريق

عير مباشر
مثل الإحساس
البصري والسمعي

مباشر
مثل الإحساس
الذوقي واللمسي

وتختلف الحواس في درجة أهميتها بالنسبة للإنسان . فحاسة البصر تعد ذات أهمية كبيرة بالنسبة له(١) ولتأكيد من ذلك ما عليك إلا أن تعصب عينيك بحيث تحجب عنها الضوء تماما ثم تأخذ في القيام بأي عمل من الأعمال التي سبق لك التمرن عليه واتقان ممارسته كأن تقوم بارتداء ملابسك أو غسل وجهك . لا شك أنك سوف تحس بالتوتر والتردد . بسبب عدم إمكانك الرؤية وفي الأعمال الصناعية وجد أن العين تقوم بمعظم الجهد في أثناء العمل فلا شك أن حاسة البصر من الحواس الهامة في الإنسان . وإن كان هذا لا يعني أن بقية الحواس لا قيمة لها . وإنما المسألة مسألة الأهمية النسبية

فالجهاز العصبي في الإنسان يشرف على النشاط الحسي والحركي أي يشرف على عملية اتصال الكائن الحي ببيئته . والجهاز العصبي الذي يقوم بالإشراف على هذه العملية مكون من المخ والمخيخ وقنطرة فارول والنخاع المستطيل والنخاع الشوكي ويقوم بتوصيل التنبيه الحسي إلى المخ ألياف عصبية تسمى « الأعصاب الموردة » وبعد ترجمة هذه التنبيهات في المخ تصدر تنبيهات أخرى تنقلها ألياف عصبية يطلق عليها « الأعصاب المصدرة للتنبيه الحركي » حيث تتحرك العضلات بناء على هذه التنبيهات

يصدر العالم الخارجي المحيط بنا كثيراً من الموجات والذبذبات . وتقوم حواس - الإنسان بالتقاط هذه الموجات والذبذبات ولكن حواسنا من سمع وبصر وشم وذوق ولمس لا تلتقط كل ما يصدر من موضوعات العالم الخارجي من ذبذبات وموجات وإنما تلتقط بعضها فقط . فنحن لا ندرك كل

(١) د. أحمد زكي صالح ، علم النفس التربوي - مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩

موضوعات العالم الخارجي ذلك لأن قدراتنا الطبيعية محدودة فنحن لا نستطيع أن ندرك مثلا الذرات الصغيرة أو الموجات الإذاعية ولكن حتى الموضوعات العادية لا نستطيع أن ندركها جميعها

ويصف Sanford نزعة الإنسان نحو انتقاء موضوعات إدراكه بقوله :

« Because we are sensitive to only a limited range of physical energies in the world, we are by nature selective in our orientation to nature ».

فمثلاً تستطيع أن تدع القراءة جانبا الآن وتتأمل في المؤثرات التي تقع عليك دون أن تدركها وأنت منهمك في القراءة .

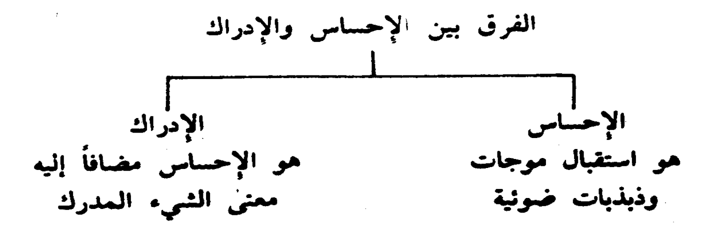
هل يوجد ضغط على قدميك من حذائك ؟ هل تقاوم رجلك ضغطاً من استنادها إلى المقعد ؟ هل هناك إحساس بموضع ألم في مكان ما من جسمك ؟ هل تشعر بإرهاق عينك ؟ وإذا ما انتقلت إلى حاسة السمع فهل تسمع ضوضاء الجيران ؟ من المطبخ ، من المروحة ، من جهاز التكييف من الثلاجة ؟ من السيارات المارة في الشارع أو من الطائرات في الجو ؟ كل هذه المثيرات كانت تسقط فوق حواسك دون أن تشعر بها لأنك تنتقي من بينها الأشياء التي تهمك وهي في هذه الحالة المثيرات البصرية الخاصة بالكتابة التي كنت تقرأها .

فالإحساس هو العملية التي تسقط فيها موضوعات العالم الخارجي على حواسنا المختلفة موجات أو مثيرات معينة . أما الإدراك فهو إعطاء هذه الإحساسات معناها ومدلولها . •

العلاقة بين الإدراك والإحساس :

وهنا ينبغي أن نوضح العلاقة بين الإدراك والإحساس فالصلة في الواقع مباشرة بين الإدراك والإحساس لأن انعدام حاسة من الحواس يؤدي إلى انعدام موضوعاتها ، فالإدراك إذن يستمد مقوماته من الإحساسات التي ينقلها الجهاز العصبي إلى المخ حيث تتم عملية الإدراك ، فنحن نرى الكثير من الموضوعات التي ندرك معناها ونعرف وظائفها وخصائصها مع أن ما يسقط

على (في حالة الإحساس البصري) لا يزيد عن مجرد موجات ضوئية ليس لها معنى في حد ذاتها . ففي عملية الإدراك يكون الإنسان إيجابياً فعالا وليس سلبياً قابلا يترك المنبهات الحسية طبع عليه ما تشاء ، كما تطبع الصورة على اللوح الفوتوغرافي ، ولكن الإنسان يستقبل الموضوعات الخارجية ثم يفهمها ويؤولها أو يفسرها ويفرغ عليها ما عنده من خبرات وثقافات وميول واتجاهات .



ومن أجل ذلك يقال أنه لا يوجد إدراك بلا إحساس ولكن يمكن أن يوجد إحساس دون إدراك .

ولذلك يختلف الإدراك باختلاف الأفراد ، فأنت لا ترى في السماء ما يراه الفلكي ولا ترى تحت المجهر ما يراه عالم الأحياء كما أنك لا تسمع في اللحن الموسيقي ما يسمعه الموسيقي الفنان وكذلك فإن الفنان يرى في اللوحة الزيتية معاني كثيرة لا نراها نحن ، فالإدراك الحسي يتوقف على شخصية الفرد وسنه وثقافته وميوله واتجاهاته . ويعني ذلك أن عملية الإدراك ليست عملية سهلة بسيطة ولكنها معقدة تتدخل فيها قوى مختلفة تبدأ بالإحساس ثم يتدخل فيها ذكاء الفرد وخياله وذاكرته[١].

والإدراك أساس لكثير من العمليات العقلية العليا كالتفكير والتذكر والتخيل والتعلم . فالتعلم يقوم على أساس إدراك عناصر الموقف الذي يوجد فيه الكائن الحي . . وللإدراك أهمية خاصة في توجيه سلوك الفرد وتعديله ، فرؤية قائد السيارة للضوء الأحمر تجعله يتوقف ، وإلاَّ اصطدم بسيارته ،

(١) د. أحمد عزت راجح - راجع أصول علم النفس - دار القلم - بيروت - بدون تاريخ .

وسماعك صفارة الإنذار تجعلك تأتي بسلوك خاص لكي تحتمي من خطر الغارة ، فالإدراك يوجه السلوك ويعدله ويساعد الفرد على التكيف للظروف البيئية التي يعيش فيها .

خطوات عملية الإدراك :

العالم الخارجي المحيط بنا مملوء بالأشياء والموضوعات الكثيرة ولكننا لا نرى كل هذه الموضوعات بدرجة واحدة من الوضوح في وقت واحد ولكن هناك موضوعات تبرز وتتضح في مجال إدراكنا بينما تخبو أخرى ، وتكون أقل وضوحاً وأقل أهمية بالنسبة لنا ، فنحن نرى البيوت والأشجار في القرى ، ولكننا لا نرى ما بينها من فراغ ، كذلك إذا نظرنا إلى قطعة من القماش ذات الرسوم والأشكال رأينا النقوش ولم نر ما بينها من مساحات خالية ، كذلك فإننا نسمع صوت الرجل الذي يتكلم وسط الضوضاء التي تحيط به ، فنحن ندرك من بين موضوعات العالم الخارجي أشياء معينة تتميز وتبرز في مجال إدراكنا ، دون غيرها من الأشياء المصاحبة ، فهناك أشياء تفرض وجودها علينا فرضاً فتجذب انتباهنا دون غيرها من الأشياء المصاحبة ، وتسمى هذه الأشياء الواضحة صيغاً Gestalts وتتكون الصيغة من شكل Figure وأرضية Background . الشكل يكون أكثر وضوحاً من الأرضية. فالوردة المرسومة على القماش شكل واضح على أرضية أقل منه وضوحاً ، هي القماش والبقعة السوداء المرسومة على ورقة بيضاء تعد شكلاً والورقة أرضية ، والشكل والأرضية معاً يكونان صيغة متكاملة .

وأول مرحلة من مراحل الإدراك هي بروز الصيغ في مجال إدراكنا ، هذا مع العلم بأن الصيغ ليست قاصرة على الإدراك البصري وحده ، بل هناك الصيغ السمعية والشمية والذوقية واللمسية ، فاللحن الموسيقي صيغة سمعية وتعبير الوجه صيغة ورائحة العطر صيغة ومذاق البرتقالة صيغة وإحساسك ببرودة قطعة الثلج في يدك صيغة وهكذا .

نقول إن أول مرحلة من مراحل الإدراك هي بروز الصيغ ووضوحها وتمايزها في مجال إدراكنا . فلو تأملنا لوحة زيتية معينة لخرجنا في أول وهلة

بانطباع عام وإجمالي وخالي من المعنى والدلالة الدقيقة ، وإذا أخذنا في التأمل وإطالة النظر في هذه اللوحة فإن أجزاؤها تأخذ في الظهور والوضوح والتمايز ، ثم تأخذ العلاقات القائمة بين أجزاءها تظهر وتتضح فنعرف أنها تحكي قصة أو تعبر عن عاطفة ما وأن هذه القصة قد تثير فينا ذكريات وخبرات ماضية أو راهنة ، إلى غير ذلك .

في أول مرحلة من مراحل الإدراك نخرج بنوع من الانطباع الإجمالي المبهم الذي لا تبدو فيه التفاصيل أو الدقائق والجزئيات منفردة متمايزة مستقل بعضها عن البعض ، ويبدو هذا النوع من الإدراك البدائي المبهم في الحالات التي لا يوجد لدينا ما يدعو إلى التحليل كما أنه يوجد بنوع خاص لدى الحيوانات والأطفال ، فالطفل في بداية حياته يدرك شكل أمه إدراكاً كلياً مبهماً ولا يميز أنفها وأنف غيرها من النساء . وأنت حين تشاهد منظراً طبيعياً تأخذ انطباعاً عاماً إجمالياً عنه ثم تأخذ تفاصيله في الظهور تدريجياً بعد ذلك ، وعلى ذلك فالإدراك الإجمالي سابق على الإدراك التحليلي التفصيلي .

يمر الإدراك الحسي بأطوار مختلفة حيث يبدأ بالنظرة الكلية الإجمالية وبعد ذلك يبدأ المرء في تحليل الموقف وإدراك العناصر المكونة له والعلاقات القائمة بين أجزائه المختلفة . أما الطور الثالث والأخير فهو إعادة تأليف الأجزاء في كل موحد والعودة إلى النظرة الكلية مرة ثانية .

فالنظرة الإجمالية تسبق النظرة التفصيلية التحليلية ، كذلك لا يمكن أن يدرك المرء العلاقات بين العناصر قبل أن يدرك الشيء بأكمله . ويندر أن يكون للأجزاء معنى مستقل بل إنها تستمد معناها من الكل الذي يحتويها .

« فالحديد والطوب والمونة » وحدها لا تعطي معنى البيت الذي نعيش فيه كذلك فإن الكلمة يتغير معناها بتغير الجملة التي ترد فيها ، وما عليك إلا أن تتأمل كلمات مثل « قدر - رجل - قدم » لكي تدرك أن الجزء ليس له معنى مستقل بذاته وإنما هو يستمد معناه من الكل الذي يحتويه ، كذلك الكل هو الذي يعطي الأجزاء خصائصها ووظائفها ومعناها . فالنقطة في الرقم ١٠ عشرة تختلف عنها في الحرف غ ، كذلك فإن صفة المربعية التي تميز المربع لا توجد في أي من الخطوط التي تكون المربع الهندسي .

فنحن في عملية الإدراك لا ندرك جزئيات مستقلة منفردة بعضها عن بعض وإنما ندرك كليات أو صيغاً يتكون كل منها من شكل وأرضية .

وهناك تقسيم لعملية الإدراك بالرجوع إلى منبعها وأصلها حيث تقسم إلى خطوات تبدأ بما يسمى بالمستوى الطبيعي وقوام هذا المستوى من العملية هو العالم الخارجي وما ينبعث عنه من مؤثرات تسقط على حواس الإنسان . وبحدوث الإدراك على هذا المستوى لابد من وجود المثير الخارجي ولابد من ملامسته لعضو الحس، إما ملامسة مباشرة كما هو الحال في حاستي الذوق واللمس أو عن طريق غير مباشر كما هو الحال في حواس الشم والبصر حيث يوجد وسط هوائي بين مصدر الإحساس وعضو الإحساس . ولكن إذا وجد حائل بينهما فلا يحدث الإدراك ويغلب على هذه المرحلة طابع الإحساس أكثر من الإدراك .. وفي هذه الخطوة أيضاً توزع الإحساسات على الحواس المختلفة كل حسب تخصصه .

وهناك الخطوة الفسيولوجية أو العصبية وتبدأ عند إستقبال عضو الإحساس للمؤثر الخارجي ثم نقله إلى مراكز الإحساس بالمخ بواسطة الجهاز العصبي . ومن المعروف أن الإدراك لا يتم إلاّ إذا وجدت تلك المراكز العصبية بحالة جيدة إما في حالة فساد بعضها فإن الإحساسات الخاصة بها لا تعمل عملها .

وآخر مرحلة من مراحل الإدراك هي ما يمكن أن يسمى بالخطوة الذهنية والنفسية التي تتحول فيها الإحساسات إلى معاني ورموز لها دلالتها حيث تتحول الإحساسات من أمور مادية حسية إلى معاني وأفكار عضوية .

ويلاحظ أنه لا يوجد إحساس صرف، خاصة لدى الإنسان إلاّ في الحالات النادرة جداً إذ دائماً يترجم الإحساس إلى معنى معين . أما في بعض الحالات القليلة يكون الإحساس مجرد إحساس ، ففي حالة الطفل حديث الولادة نجده لا يستطيع أن يحدد معنى الأصوات التي يسمعها ويقتصر الأمر عنده عند مجرد الإحساس .

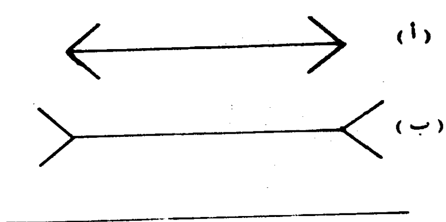
تعريف الصيغة :

تعرف الصيغة بأنها وحدة منظمة متماسكة من مجموعة من الأجزاء المتفاعلة ومن أبرز خصائص الصيغة أنها ليست عبارة عن مجموع الأجزاء مرصوصة رصاً أو مجموعة تجميعاً آلياً ، بل أن هذه الأجزاء متفاعلة ، يؤثر بعضها في بعض ، وبينهاعلاقات، وتجمعها وحدة معينة وعلى هذا الأساس فليست الصيغة هي مجرد مجموعة الأجزاء بل أن للصيغة صفات غير صفات الأجزاء ، فالمربع الهندسي صيغة ولكن له خصائص لا توجد في كل خط من خطوطه الأربع على حدة Gestalt = a form or a totality that has properties which cannot be derived by summation from the parts.

إن الصيغة هي التي تعطي للأجزاء معناها وصفاتها ، فليس للأجزاء صفات أو وظائف مطلقة وإنما هي تشتق معناها من الكل الذي يحتويها أي من الصيغة فالجزء في صيغة معينة يختلف معناه في صيغة أخرى ، فكلمة « قدر » تعني مقدار في قولنا . إن فلاناً عنده قدر كبير من المال على حين أنها تعني قضاء وقدراً في قولنا : أن الله قدر مصائر العباد .

كذلك فإن طول الخط المستقيم يختلف باختلاف الصيغة التي يوجد بها بحسب اتجاه رأس السهم الذي يلصق بآخره .

فالخط المستقيم في الشكل (أ) يبدو أقصر منه في الشكل (ب) بينما هما في الواقع متساويان (شكل ٣).



(شكل ٣)
خداع الحواس حيث يبدو الشكل (أ) أقصر من (ب) وذلك لسبب اتجاه رأس السهم في كل منهما

وتعرف هذه الظاهرة باسم خداع الحواس البصرية Optical illusion ومن الممكن أن يصبح الشكل أرضية والأرضية شكلاً. (وشكل ٤) يوضح نموذجاً آخر من نماذج الخداع البصري .

أ
ب
جـ
د

(شكل ٤)

خداع الحواس حيث لا تبدو هذه الخطوط على أنها متوازية وذلك بسبب الخطوط العرضية

وقد تطغي الصيغة الكلية على الأجزاء فتفقدها صفتها كما يحدث في حالة تمويه المنشآت والآلات العسكرية أثناء الحروب حيث تندمج في صيغ أكبر وذلك بتلوينها بحيث تأخذ شكل البيئة المحيطة من رمال أو جبال أو أشجار ونخيل ، وهنا تطغي الصيغة الكبيرة على الأجزاء وتبتلعها ويصعب بذلك إدراكها .

قلنا إن الأرضية تمتاز بالبساطة بينما يمتاز الشكل بالكثافة والتعقيد ، كذلك فإن للشكل حدوداً فاصلة بينما لا يوجد للأرضية حدود ، والشكل أكثر تماسكاً من الأرضية بينما الأرضية أكثر ميوعة وأقل وضوحاً ، والشكل أكثر غنى ومعنى عن الأرضية . فالكتابة التي تقرأها على هذه الصفحة هي الشكل الواضح وصفحات الكتاب هي الأرضية الأقل وضوحاً .

فقد ن عمليه الإدر ك عمليه معقده تندخل فيه عوامل متعددة د حيه وخارجية

العوامل الداخلية الذاتية التي تؤثر في عملية الإدراك :

قلنا إن الإدراك الحسي عملية معقدة تتدخل فيها عوامل متعددة داخلية وخارجية ويقصد بالعوامل الذاتية العوامل التي ترجع إلى الشخص المدرك نفسه ومن بين هذه العوامل ما يلي :

١ ـ **عامل الذاكرة أو الألفة** فالإنسان يدرك الأشياء التي سبق أن خبرها بشكل أسهل من الأشياء التي لم يسبق أن مرت بخبرته. فأنت ترى على مائدتك هذا الشيء المستدير وتعرف أنه برتقالة لها لون وطعم وملمس معين دون أن تلمسها أو تذوقها وذلك لسابق خبرتك بها كذلك فأنت تقرأ الكلمات الانجليزية التي سبق أن حفظتها بطريقة أسهل من الكلمات الجديدة عليك .

٢ ـ **عامل التوقع** : فنحن ندرك الأشياء كما نتوقع أن تكون عليه ، لا كما هي في ذاتها ، فأنت عندما تقف تنتظر صديقك في الطريق وتنظر إلى المارة تراه قادماً في عشرات منهم . ويتأثر الإدراك بالتوقع العقلي للفرد فقد أجريت تجربة مؤداها أن الباحث (Sipola) عرض مجموعة من الكلمات عديمة المعنى على الشاشة على مجموعتين من الناس ولكنه أخبر المجموعة الأولى أن الكلمات التي ستعرض عليهم تدور حول وسائل المواصلات والسفر وقال للمجموعة الثانية أن الكلمات تدور حول الحيوانات والطيور ، فكانت إجابات المجموعة الأولى ٧٤ ٪ تدور حول وسائل المواصلات ، بينما كانت إجابات المجموعة الثانية ٦٣ ٪ عبارة عن أسماء طيور وحيوانات . وعلى ذلك يتأثر إدراك الفرد بالتهيؤ أو الاستعداد العقلي للشخص المدرك .

٣ ـ **الحالة الجسمية والنفسية للشخص المدرك** : يتأثر إدراكنا للعالم الخارجي بحالتنا النفسية والجسمية وقت الإدراك . ولقد أجرى مور في تجربة بأن حرم جماعة من الأطفال من الطعام وعرض عليهم عدة صور من خلال لوح زجاج مصنفر وطلب منهم تفسير هذه الأشياء فقالوا إنها مأكولات وكانت نسبة إدراكهم للمأكولات تزداد كلما زادت حدة الجوع .

وأنت إذا جلست في حديقة عامة وكنت في حالة نفسية طيبة ورأيت لفيفاً من الأطفال يلعبون ويمرحون ويصيحون ، رأيت في لعبهم هذا نشاطا ترويحياً محبباً ، أما إذا كنت في حالة نفسية سيئة فسرت نشاطهم هذا بأنه عبث وإستهتار وإزعاج للغير .

٤ - ومن العوامل التي تؤثر في عملية الإدراك عقائد الفرد واتجاهاته، ومن التجارب المأثورة التي أثبتت ذلك تجربة قام بها برونر وجودمان Brunar، Goodman حيث طلبا من مجموعة من الأطفال الأغنياء وأخرى من الفقراء تقدير حجم قطع من العملة عن طريق سقط ضوء مستدير يمكن التحكم فيه وفي مساحته فكان تقدير الفقراء لقطع العملة أكبر من تقدير الأطفال الأغنياء ولقد فسر هذا الفرق بالقول بأن قيمة النقود عند المحرومين أكبر ويؤدي ذلك إلى رؤيتهم لأحجامها بشكل أكبر مما هي عليه في الواقع .

إن ثقافة الشخص ومعتقداته تؤثر فيما يدركه من موضوعات العالم الخارجي وفي تأويله لها فالرومان القدماء كانوا يستمتعون برؤية الدماء وهي تنزف من أجساد العبيد الذين كانوا يلقون بهم إلى الأسود ، كذلك فإن الأسبان يستمتعون بمشاهدة مصارعة الثيران وبرؤية السهام وهي تخترق جسم الحيوان ويرون فيها براعة المصارع وخفته ، ولكن كثير من الناس لا يرون فيها إلاَّ تعذيباً للحيوان . كذلك فإن كثيراً من أبناء المجتمعات البدائية يعتقدون في وجود الأرواح والشياطين على حين لا يرى ذلك الشخص الذي يؤمن بالعلم الحديث .

والطفل الصغير يدرك الشيء حسب اعتقاده هو لا كما هو في ذاته . ولذلك فإنك إذا طلبت منه أن يرسم قطة « حامل » رسمها ورسم قططاً في بطنها ، على الرغم من أنه لا يرى ما يوجد في بطن القطة وإذا رسم سمكا يسبح في الماء رسمه كما لو كان من خارج الماء . فرسم الأطفال يمتاز بالشفافية لأن الطفل يرسم الشيء كما يعرفه لا كما هو في الواقع .

وبالمثل فإن كثيراً من الأعمال الفنية لكبار الفنانين تتأثر بشخصية الفنان وميوله واتجاهاته وعقائده وتعبر تعبيراً صادقا عن ذاته أكثر عما تعبر عن الواقع

...للأشياء التي يرسمها ، وبذلك يمكن بحق أن نعتبره وسيلة ناجحة من
وسائل التعبير عن الذات Self - expression

٥ ـ كذلك يتأثر الإدراك بالاتجاهات والميول والنزعات الشخصية للفرد فقد أجريت تجربة على مجموعة من الأشخاص المعروفين بتعصبهم وجمودهم ومجموعة أخرى من غير المتعصبين لآرائهم ، وذلك بأن عرضت عليهم صورة كلب على شاشة ثم أخذت هذه الصورة تتغير تدريجياً حتى تتحول إلى صورة قطة ، واسفرت النتيجة عن أن المجموعة غير المتعصبة كانت أكثر قابلية لإدراك التحول بينما أخذت المجموعة المتعصبة وقتاً أكثر في تغيير رأيهم وإدراك الصورة على أنها صورة قط .

٦ ـ **الاضطراب النفسي** : من العوامل التي تؤثر في إدراك الفرد ، ومن التجارب الطريفة في هذا الصدد ما يلي : اتفق أحد أساتذة إحدى الجامعات الأمريكية مع أحد الأفراد لكي يلقي محاضرة بلهجة المانية على طلابه وأن تتصف محاضرته بالهجوم والعدوان ، ولما تم ذلك أثارت المحاضرة ضجة كبرى بين صفوف الطلبة . وبعدها طلب الأستاذ من طلابه إعطاء أوصاف هذا المحاضر فجاءت أوصافهم مؤكدة أن له شعراً أصفر وعيون زرقاء وهي الصفات المعروفة للألمان ، بينما في الواقع لم يكن المحاضر المانيا ولم يكن له شعر أصفر . فحالة الاضطراب النفسي أثرت على أحكام الطلاب وعلى دقة إدراكهم . ومن التجارب التي أجريت في هذا الصدد أيضاً ما يلي : في أحد مؤتمرات علماء النفس دخل فجأة رجل يطارده رجل أسود وبيد الرجل الأسود مسدساً ، وفي وسط قاعة المؤتمر تشاجر الإثنان فأطلق الرجل الأسود الرصاص من مسدسه وأمسك الرجل الآخر وأوقعه أرضاً ، ثم فر الإثنان هاربين وبعدها طلب من الحاضرين كتابة وصف الحادث كطلب البوليس فجاءت الأوصاف معظمها خاطئة حيث وصله ٤٠ تقريراً كانت نسبة الخطأ في الوقائع نحو ٣٠ ٪[1].

٧ ـ الإيحاء من العوامل التي تؤثر في الإدراك ، ومن التجارب التي

---

(١) د. سعد جلال : المرجع في علم النفس ، دار المعارف ، ١٩٦٢ .

أجريت في هذا الصدد تجربة مؤداها أن أحضر أحد الأساتذة زجاجة معقمة وأخبر طلابه بأن بها عطرا قويا وأن على من يبدأ في شم هذه الرائحة أن يرفع أصبعه ، وبعد برهة رفع كثير من الطلبة أصابعهم بينما كانت الزجاجة في الواقع خالية تماماً من العطر .

٨ - وقد يرجع الخطأ في الإدراك إلى مرض الحواس نفسها ، فضعف الأبصار وعمى الألوان وقصر النظر وغير ذلك من الأمراض التي تؤثر في عملية الإدراك ويمكن علاج هذه الحالات بعلاج أعضاء الحس أو استخدام النظارات الطبية أو السماعات .

وإلى جانب هذه العوامل الذاتية هناك مجموعة من العوامل الخارجية الأخرى التي تؤثر في الإدراك .

العوامل الخارجية التي تؤثر في الإدراك :

يقصد بالعوامل الخارجية التي تؤثر في الإدراك تلك العوامل التي تتميز بها موضوعات العالم الخارجي نفسه أي الشكل أو اللون الذي تتخذه هذه الموضوعات ومعنى ذلك أنها عوامل مستقلة عن تفكير الإنسان المدرك وعن اتجاهاته وميوله وذكائه . ولقد اطلقت مدرسة الجشطالت (مدرسة الصيغ) School of Gestalt psychology على هذه العوامل اسم « عوامل تنظيم المجال الإدراكي » لأنها تتصل بعناصر الموقف الإدراكي .

(١) ومن بين هذه العوامل عامل التقارب Nearness ومؤداه أن الأشياء المتقاربة في المكان أو الزمان يسهل إدراكها كصيغة متكاملة مكونة من شكل وأرضية ، فالنقط المرسومة كل زوج على حدة ندرك كل زوج منها كوحدة ولا ندركها نقطة نقطة . وأسنان المشط ندركها ككل واحد وليس سنة سنة ، وذلك بسبب التقارب القائم بين كل منها ، كذلك فأنت تدرك كراسي حجرة الجلوس كوحدة متكاملة بعكس الحال لو كان كل كرسي منها في حجرة مستقلة (شكل ٥) .

(٢) عامل التشابه Similarity فنحن ندرك الأشياء المتشابهة في الشكل أو الحجم أو اللون ندركها كصيغ مستقلة فنحن ندرك في هذا

Nearness

Patterning

شكل (٥)

Similarity

شكل (٦)

الشكل صفوفاً من النقط الدوائر المظلمة وصفوفاً أخرى من الدوائر البيضاء (شكل ٦).

(٣) عامل الاتصال : فالأشياء المتصلة التي تربط بينها خطوط تدرك كصيغة متكاملة .

(٤) عامل الإغلاق : فنحن نميل إلى سد الثغرات أو التغاضي عنها وندرك الأشياء الناقصة كما لو كانت كاملة . فالدائرة الناقصة في بعض أجزائها ندركها كاملة . كذلك نحن ندرك وجه الإنسان في صورة ما كما لو كان كاملاً حتى وإن كان ينقص الأنف أو الأذن .

إن رجل الشارع يعتقد أن إدراكه لموضوعات العالم الخارجي يطابق تماماً الواقع ولكن دلت التجارب على أن هذا الإدراك يتأثر بالعوامل الذاتية للفرد وكذلك بعوامل تنظيم المجال الإدراكي ، وليست عمليات تمويه المنشآت والآلات الحربية إلاّ دليلاً قوياً على تأثير عوامل تنظيم المجال الإدراكي على الإدراك الحسي . فإدراك الشيء يتأثر بالمسافة التي تفصلنا عنه كما أنه يتأثر بلونه ودرجة لمعانه وحركته ، كما أن ظاهرة رؤية السراب تعد

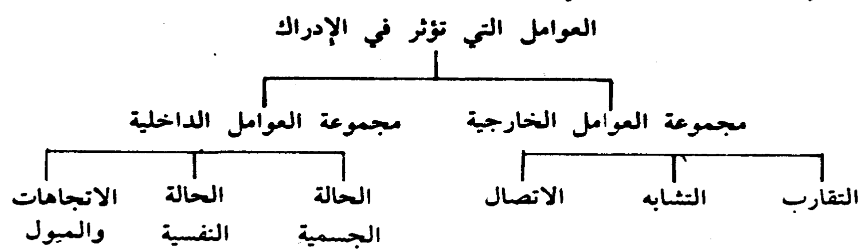
دليلاً آخر على شيوع خداع الحواس ، وكذلك التقاء المتوازيين كما هو الحال في رؤية قضبان السكك الحديد .

فقد دل البحث على أن الأشياء اللامعة تبدو أقرب من الأشياء الباهتة والأشياء الأكبر حجماً تبدو أكثر قرباً .

ولقد أجرى عالم النفس ايمس Ames تجربة بأن وضع بالونة في جهاز يسمح له بتغير حجمها بواسطة مفتاح معين وطلب من مجموعة من الناس تقدير المسافة بينهم وبين البالونة ووجد أن الشيء الذي يزداد حجمه يبدو أنه يقترب والشيء الذي ينقص حجمه يبدو أنه يبتعد . كذلك وجد أن الشيء الذي يزداد لمعاناً يبدو كأنه يقترب ، أما الشيء الذي يزداد ظلمة فيبدو أنه يبتعد[1] .

وظاهرة الانكسار من الأدلة على حدوث الخداع البصري فإذا وضعت ملعقة في وسط كوب به ماء فإنك ترى الملعقة كما لو كانت مكسورة . والإدراك التحليلي الجزئي يساعدنا على التخلص من الوقوع في خطأ الحواس . وبعد ذلك يمكن العودة إلى الإدراك الكلي الإجمالي وبذلك نستطيع فصل العوامل الموجودة في الصيغة والتي تؤدي إلى عدم صحة إدراكها .

وأخيراً يمكن تلخيص أهم العوامل الذاتية والخارجية التي تؤثر في الإدراك على النحو الآتي :



(١) د. يوسف مراد، الكتاب السنوي في علم النفس، المجلد الأول سنة ١٩٥٤ .

الفصل الرابع

طبيعة الجريمة وآثارها

طبيعة الجريمة وآثارها :

الجريمة بحكم طبيعتها العدوانية تشكل تحدياً لكل ما هو عادي ومألوف وهي كما يقول د. عدنان الدوري ثورة على أسباب العيش الهادىء الشريف ومن هنا تصبح الجريمة مصدراً لمجموعة كبيرة من الانفعالات أو ردود الفعل فهي تثير الخوف والحيطة والحذر . وقد تحرك في النفس مشاعر الزهو والإعجاب وتؤكد الذات وهي تجسيد لمواقف العنف والتمرد والعدوان . وقد تثير مشاعر الجرأة والشجاعة ولو عن طريق التقمص أي تقمص الأفراد لشخصيات الجريمة سواء أكان المجني عليه أو الجاني . ونفس شعور التقمص أو التوحد هذا هو ما نشعر به عند مشاهدة المبارزات أو ألعاب القوى حين يتخيل المرء نفسه في موضع اللاعب . ولقد حاول بعض العلماء رد شغف الإنسان بالجريمة إلى العصور القديمة التي كانت فيها الجريمة والقتل والسلب أحد أساليب المعيشة . ومن ذلك المبارزة حتى الموت . حيث كان يعامل القاتل معاملة المنتصر . أما في ذهن الإنسان المعاصر فإن الجريمة تثير الخوف والرعب والفزع وترتبط بالوحشية والبربرية والفوضى والعدوان والعنف والقلق وعدم الأمان أو الإطمئنان وذلك حتى يتخيل الإنسان نفسه ضحية لواحدة من هذه الجرائم . ولذلك نغضب على الجاني ونطلب القصاص منه وقد نتعاطف مع الجاني ونطلب تخفيف العقوبة عليه .

وهناك من يعتقد مثل أميل دوركايم - بأن الجريمة ظاهرة طبيعية سوية في المجتمع ، ولكن هذا لا يعني ، بأية حال من الأحوال ، أن الشخص المجرم نفسه إنسان سوي وطبيعي أو إنه لا يعاني من شذوذ بيولوجي أو نفسي أو عقلي .

ويقول أصحاب هذا الرأي أن للجريمة فائدة كبيرة ويضربون لذلك مثلاً بجريمة مقتل سقراط ، وأنها كانت ثورة من أجل التحرير والديمقراطية، ثورة على آراء الأغلبية . ولكن الحقيقة أن تضحية سقراط هي التي تعد نبراساً يضيء الفكر وليس قتله .

إن الجريمة ظاهرة قانونية تنشأ بالقانون وتزول بزوال القانون ، وإذا كان هناك من تشابه بين جريمة وأخرى فهو في أن كليهما مخالف لنص قانوني معين من قانون العقوبات . فالقانون ينشيء جرائم جديدة ويلغي أخرى . وقد يصبح العمل البطولي في وقت من الأوقات عملاً إجرامياً في وقت آخر . فالثورات السياسية تعد إجراماً إذا فشلت الثورة وتعد بطولة ووطنية إذا نجحت . ولذلك من الصعب إيجاد سمات ثابتة توجد لدى كل المجرمين ولا توجد دون سواهم .

وكما يقول د. الدري (ص ١٩) فقد يكون المجرم شخصاً مجنوناً ، أو ناقص العقل ، وقد يكون سوياً أو عبقرياً أو متوسط الذكاء . وقد يكون المجرم وغداً شريراً يكره المجتمع ولا يحترم قوانينه . وقد يكون مواطناً صالحاً نبيلاً يحترم المجتمع وقوانينه . وقد يرتكب جريمته عن قصد وقد يرتكبها خطأً أو تحت ظروف عسيرة أو لحاجة قاهرة .

والمحاولات التي استهدفت ربط الجريمة بخصائص جسمية أو عقلية أو نفسية معينة فشلت في تحقيق أهدافها . وهناك تعدد من المجرمين أو من الطوائف الإجرامية ، فهناك جماعات مجرمة وعصابات إجرامية وهناك المجرم المعتاد أو المحترف . ويرد البحث في علة الجريمة وطبيعتها إلى فكرة الخير والشر في الإنسان وإلى فكرة الجبر والاختيار في الفلسفة . ولقد جاء الطبيب الإيطالي سيزار لومبروزو في النصف الثاني من القرن ١٩ ليضع جهود من سبقوه من الأطباء في إطار نظرية علمية تعتمد على فرضيات علمية معينة . لقد أعلن أنه وجد « المجرم المطبوع » الذي يشكل نموذجية إجرامية وراثية . ويمكن تشخيص هذا المجرم بسمات أو صفات تشريحية وعقلية ونفسية ومزاجية معينة ولقد اعتقد لومبروزو أن وصمات الانحلال Degenerative Stigmata ليست في الواقع سبب الجريمة وإنما هي عوامل مساعدة تسهم في

مضاعفة قابلية الفرد على ارتكاب الجريمة . ولقد استعان بفرضين في وضع نظرية عن « المجرم المطبوع » الفرض الأول من علم الأجناس البشرية الطبيعي وهو عبارة عن افتراض وجود نكسة وراثية Atavism أو أن إجرام المجرم يرجع إلى مرض الصراع Epileptic illness وهي حتمية بيولوجية لا يستطيع المجرم مقاومتها رغم اختلاف الظروف الاجتماعية والاقتصادية . ولذلك فإن الجريمة حتمية لا مفر منها ولا يمكن القضاء عليها بالوقاية أو العلاج وكان هذا نواة لما عرف باسم مدرسة لومبروزو أو المدرسة الوضعية أو المدرسة الإيطالية في تفسير الجريمة . ولقد أكد أنصاره أن الانحطاط العضوي الذي يميز المجرم هو شذوذ نفسي أو عقلي مورث يدفع الإنسان إلى ارتكاب الجريمة . وأبرز آخرون الاستعداد التكويني في ارتكاب الجريمة وأن كل ما يرثه المجرم هو استعداد نحو الفشل في تحقيق التوافق الاجتماعي . ومعنى ذلك أن الوراثة مجرد خلفية أو أرضية لحدوث الاضطراب المحتمل . هذا الاضطراب الذي قد يتخذ شكلاً عقلياً أو نفسياً أو عصابياً أو عصبياً أو شكل إدمان خمور ومخدرات أو شكل جريمة وانحراف . وبذلك خفف الاتجاه الوراثي من حدته وحل محل الوراثة اصطلاح النقص البيولوجي أو الانحطاط البيولوجي .

الجريمة والجنون :

ولقد سارت فكرة مؤداها الربط بين الجريمة والجنون فترة طويلة من الزمن . فالمجرم المجنون قانوناً شخص غير مسئول أمام القانون لأنه عاجز عن التمييز بين الخطأ والصواب وبالتالي لا يدرك طبيعة العمل الإجرامي فالمجرم المجنون مريض بعقله حيث لا يستطيع أن يعيش دون حماية نفسه من استغلال الآخرين له .

ويقول الدكتور الدوري لم يظهر لهذا العلم - علم النفس الجنائي Criminal psychology نطاق محدود أو كيان ثابت حتى يومنا هذا فذلك لاختلاط موضوعاته بمباحث علم النفس العام وفروع علم النفس المختلفة كعلم نفس الطفل وعلم النفس المرضي وعلم النفس التجريبي وطب الأمراض العقلية والتحليل النفسي وطب الأعصاب وعلم النفس التربوي .

وكان سيرل بيرت عالم النفس الانجليزي يرى أن سلوك الجانح هو سلوك سوي لا يخرج عن كونه استجابات طبيعية لمحركات غريزية طبيعية في الإنسان .

ويرى الاتجاه النفسي في تفسير الجريمة أن السلوك الإجرامي سلوك مكتسب ومتعلم ولكنه خاطيء وغير مقبول . كما أنه لم يضع أية أهمية للضعف العقلي في سلوك الحدث الجانح . وكان بيرت يرى أن السلوك الجانح محصلة تفاعل بعض العوامل النظرية وبعض العوامل البيئة كظروف الأسرة والرفقة والحي وجماعات اللعب .

ولقد استخدم بعض علماء النفس نظريات التعلم في تفسير السلوك الإجرامي بالاعتماد على عاملين هما الإدراك والتكيف . وينشأ السلوك الإجرامي من فشل الإنسان في عملية الإدراك أو في عملية التكيف السليم أو الإثنين معاً .

وهناك اتجاه آخر في تفسير الجريمة في علم النفس يعتمد على الطب العقلي أو الأمراض العقلية والتحليل النفسي من ذلك الاتجاه الذي يذهب إليه ديفيد أبراهامسن Abrahamsen من أن الجريمة تعتمد على عنصرين هما :

(أ) تركيب شخصية المجرم .
(ب) الظروف البيئة أو الموقفية .

ولذلك فإن الجريمة تأتي من تفاعل حالة الفرد الانفعالية والسنوط الآتية التي يعاني منها . والفرق بين المجرم وغير المجرم هو افتقار المجرم إلى القيم الخلقية أما مريض الذهان والعصاب فإنهما يوجهان عدوانهما نحو الذات أي ذاتهما . فالأطباء العقليون يفسرون السلوك الإجرامي على أنه محصلة اضطرابات ذهنية أو عصابية أو اضطرابات الشخصية . ولقد صنف ديفيد أبراهامسن المجرمين إلى صنفين هما :

(أ) المجرمون الخطرون أو المزمنون كالمجرم العصابي والذهاني ومتخلف العقل والسيكوباتي .

(ب) المجرمون غير الخطرين مثل مجرمي الصدفة أو الموقف ومجرمي المخالطة .

وهناك مجموعة كبيرة من الهوس أو الولع الزائد ببعض الأنشطة التي قد ترتبط بالجريمة من ذلك ما يلي :

هوس، جنون، مس	Mania
هوس الرقص	Dancing mania
هوس هذياني	Delirious mania
هوس اكتئابي	Depressive mania
هوس الشك	Doubting Mania
هوس هلاسي	Mania Hallucinatory
هوس هستيري	Hysterical mania
هوس ديني - هوس التدين الزائد	Religious mania
هوس الشيخوخة	Senilis mania
خواف الهوس	Maniaphobia
كاتوتونيا هوسية	Mania catatonia[1]
هوس الحنجرة	Laryngograph Mania
هوس الأثير	Etheromania
هوس الأحتجاب والانكساف	Folie a eclipse
هوس اعتلال الصحة والإصابة بالمرض	Nosomania
هوس الاغتسال	Ablutomania
هوس الأفيون	Opiomania
هوس الأكل	Sitiomania
هوس الألفاظ والكلمات	Verbomania
هوس الألفاظ والأسماء	Onomatomania
هوس الأنانية	Egomania
هوس التأله	Theomania
هوس التجوال	Poriomania
هوس التحقيق والتثبت	Manie de Verification
هوس التعويض	Manie de la Compensation
هوس التقلقل	Dromomania
هوس الجاذبية الجنسية	Callomania
هوس الجنس والشبقية	Erotomania
هوس الجنس عند الرجل	Satyriasis mania
هوس الحساب والعد	Arithmomania
هوس الحشيشة	Haschischomania
هوس الخمر	Dipsomania
هوس الرحم	Ureromania
هوس الزواج	Gamomania
هوس الشبقي عند المرأة	Nymphomania
هوس الشرب والسوائل	Potomania
هوس الشعر	Trichokryptomania
هوس الشياطين أو الجنة	Demonomania
هوس الطرب	Melomania
هوس العظمة أو الاستعلاء (جنون العظمة)	Megalomania

(١) حامد زهران ، قاموس علم النفس ، ص ٢٩٥ ، ص ٢٩٦

هوس العقاقير المخدرة	Narcomania	هوس اللغة المخيلة	Glossomania
هوس الغبطة أو الاستطارة فرحاً	Euphomania	هوس الماء	Hydromania
		هوس المحاكاة والتقليد	Mimetomania
هوس الغذاء والطعام	Orexomania	هوس المشتريات	Oniomania
هوس الفصام	Schizomania	هوس المورفين	Morphionomania
هوس الفكرة الثابتة والمسيطرة	Monomania	هوس النار أو الحريق	Pyromania
هوس القتل والانتحار	Thanatomania	هوس النساء	Gynecomania
هوس الكتابة	Graphomania	هوس النوم	Hypnomania
هوس الكذب	Mythomania	هوس الهيروين	Heroinomania[1]

ومن أظهر جرائم العصابيين هوس السرقة **Kleptomania** وهوس الحريق **Pyromania** وهوس الكحول **Dipsomania** وهوس القتل **Homicidal mania** وهوس المقامرة وهوس التشرد والتسكع .

أما الذهاني فقد يرتكب الجرم لعدم معرفته الفرق بين الخطأ والصواب . وقد ترجع أسباب الذهان إلى عوامل وراثية أو كيميائية أو عوامل نفسية واجتماعية .

أما المجرم السيكوباتي فإنه لا يبدي أعراضاً عصابية أو ذهانية ، وإنما يكون سلوك الإجرامي بدلاً عن العصاب ويمتاز بالعدوان والعشور بالنرجسية أو الأنانية المفرطة وعدم الاستقرار العاطفي وضعف الضمير أو الذات العليا . والسيكوباتي قد يرتكب كل أنواع الجرائم وكان ديفيد هندرسون **Henderson** يعتقد أن السيكوباتي هو أحدثلاثة :

(أ) شخص عدواني .
(ب) شخص غير متلائم.
(جـ) شخص موهوب قادر على الخلق والإبداع .

ويصفه نوروود إيست **East** بأنه شخص غير عاقل وهو في نفس الوقت

(١) أسعد رزوق ، موسوعة علم النفس، ص ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦.

غير مجنون ، لأنه لا يعاني من الأعصبة أو الذهانات أو التخلف العقلي . ومع ذلك يعجز عن تحقيق التكيف مع مطالب الحياة الاجتماعية . ومن التفاسير الفرويدية للسلوك الإجرامي أنه يأتي استجابة بديلة لرغبات لا شعورية مكبوتة . فالفرد يلجأ للجريمة لينال عقابها ولذا يترك المجرم بعض الدلائل على ارتكابه الجريمة . وكان فرويد يفترض أن البشر سواء حين يدخلون إلى الحياة بغرائز حيوانية لا أخلاقية وبنزعات غير اجتماعية بل عدوانية . ولذلك كان يرى أن **الطفل مجرم** بالولادة إذا ما قيس سلوكه بمعايير الكبار .

أما لومبروزو فيميز بين مجرم بالولادة له صفات معينة نموذجية ولجأ وغيره إلى افتراض النكسة الوراثية . ويقف موقفاً وسطاً مارتن بوبر Buber حين قال الإنسان ليس خيراً كله وليس شراً كله ولكنه جمع بين الخير والشر . فالانحراف قد يتخذ شكل جريمة أو شكل عصاب للتخفيف من شدة القلق الذي يعاني منه المريض .

ولكننا نتساءل هل تختلف شخصية المجرم عن شخصية السوي؟ ليس هناك اتفاق بين نتائج الدراسات في هذا المضمار فهناك دراسات لاحظت فرقاً وأخرى فشلت في ذلك . من السمات التي لوحظت العدوان وعدم النضج والحاجة إلى إشباع الحاجات والرغبات .

إذا كان هناك ربط بين الجريمة والضعف العقلي ، فهل هناك علاقة بين الجريمة والعبقرية أو النبوغ ؟ هناك من يربط بين العبقرية والجنون وهناك بعض الدراسات التي تربط بين الجريمة والعبقرية ولكنها لم توضح عما إذا كانت هذه الجرائم سياسية أم عادية[1].

العلم الحديث والتحقيق الجنائي :

يوفر العلم الحديث كثيراً من الأساليب والتقنيات التي تساعد المحقق

---

(١) د. عدنان الدوري ، الجريمة والمجرم مشكلة الإنسان ومعضلة الحياة ، مجلة عالم الفكر العدد الثالث المجلد الخامس ١٩٧٤ ص ١٣- ٥٢.

- راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية - د. العيسوي - الدار الجامعية - بيروت .

الجنائي في الوصول إلى غايته . ففي مجال الإثبات يمد العلم المحقق الجنائي بما يساعده في الإثبات والحصول على الاعتراف ، إذا لم يأت عفوياً . من هذه الوسائل النفخ في كأس لمعرفة مدى وجود الكحول من عدمه ونسبة وجوده في الدم في حالة ضبط قائد السيارة مخموراً أو أخذ عينة من بوله أو من دمه لتحليله لهذه الغاية . وهي وسائل لا تهدر كرامة الإنسان .

ومن ذلك أيضاً كشاف الكذب ويكشف محاولات المتهم إخفاء الحقيقة ويقول أنصار هذا الجهاز إن « لسان» الأعضاء الجسدية أصدق من لسان الفم . وأن نسبة الخطأ فيه قليلة إذا استخدمه خبير متمرس. ولكن لا يعطي أدلة قاطعة . ولذلك يستخدم فقط كقرائن تضاف إلى الأدلة الأخرىٰ إن وجدت . ومن هذه الأساليب كذلك استجواب المتهم وهو تحت تأثير المخدر حيث لا يستطيع أن يتحكم في إرادته ، ولكنه يظل محتفظاً بذاكرته . وابتكروا لذلك مصلاً أطلق عليه « مصل الحقيقة » ومن ذلك إجراء الجراحات الصغيرة في دماغ المتهم فيدلي بأقواله صريحة والجراحة تعمل عمل التخدير في الإرادة . ولكن لهذه الأساليب خصوماً كباراً وخاصة في حالة استعمالها بواسطة سلطات حاكمة دكتاتورية لأنها تنال من حقوق الإنسان حيث أنه من حق الإنسان **أن يسكت عن الكلام**[1].

مدرسة لامبروزو الجنائية :

وكان لومبروزو يرى أن طبيعة المجرم وليس طبيعة الجريمة هي التي يتعين أن تؤخذ في الاعتبار . وكان يرى أن الجريمة ظاهرة طبيعية ضرورية كالولادة والحمل والموت . كما كان يرىٰ أن المجرم بالولادة هو النوع السائد بين المجرمين . ويمكن التعرف عليه من بعض الخصائص الجسمية كالوجه غير المتناسق والآذان الكبيرة أو الصغيرة جداً والجبهة المنخفضة والحواجب البارزة والذقن العريضة وعظام الفك البارزة . وبالجملة الصورة التي يصفها

---

(١) د. عبد الوهاب صومر ، المجرم والقانون ، مجلة عالم الفكر ، المجلد الخامس العدد الثالث ١٩٧٤ الكويت ص ٥٢ - ٩٠.
- راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية - د. العيسوي - الدار الجامعية - بيروت.

لومبروزو أشبه بالحيوان . وحيث أن لامبروزو قد تأثر بنظرية التطور والنشوء ، فلقد اعتقد أن هذه السمات وراثية . ولم يعتبر السمات الجسمية وراثية وحسب ، ولكن اعتبر أيضاً السمات العقلية والسيكولوجية وراثية كذلك ، ومن ذلك القدرة على مقاومة الألم وحدة الأبصار والشفاء السريع من الجروح والتشابه الكبير بين الجنسين من كسل وعدم الشعور بالعار أو الشرف أو الندم أو الشفقة والاستهتار وسرعة الاستثارة والميل للمقامرة وشرب الخمر والغرور . ولقد اعتبر الصرع سبباً هاماً من أسباب الجريمة . ومعظم أسبابه كانت فسيولوجية . وكانت معظم نظريات القرن التاسع عشر وراثية في جوهرها .

ويعتبر دوج بيل (١٨٧٧) من أشهر أنصار نظرية الوراثة كسبب للجريمة . فلقد درس عائلة الجوكس لسبعة أجيال سابقة فوجد في هذه العائلة ٢٠٠ لصاً ، ٢٨٠ شحاذاً ، و٩٠ عاهرة . ولقد درس جودارد (١٩١٤) عائلة الكاليكال واعتقد أن الجريمة ترجع إلى الضعف العقلي الوراثي[١].

ولقد أرجع البعض الجريمة إلى الجهاز العصبي المركزي والجهاز العصبي المستقل والجهاز الغدي ومن أمثال هؤلاء فريمان (١٩٤٨) والاتجاه الحالي في دراسة الجريمة وتفسيرها يقوم على أساس تعدد العوامل المسئولة عن الجريمة وتداخلها وتشابكها وتفاعلها . ولقد بلغ عدد هذه العوامل في بعض الدراسات ١٧٠ عاملاً ولذلك لزم دراسة التفاعل بين الفرد وبين عناصر الموقف الذي يوجد في وسطه .

إن وجود معامل ارتباط بين الجريمة وغيرها من العوامل لا تعدو أن يكون معادلة رياضية ولكن لا يعني بأي حال من الأحوال وجود عامل سببي أو عملي . فهناك فرق كبير بين الارتباط والعقلية وفيما يتعلق بسمات الشخصية السيكوباتية فهي كما يلي :

---

(١) د. سعد حلال ، في الصحة العقلية ، الأمراض النفسية والعقلية والانحرافات السلوكية ، دار المطبوعات ١٩٧٠ القاهرة ص ٣٣٥.

- راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية - د. العيسوي - الدار الجامعية - بيروت .

١ ـ ضعف الضمير أو فقدانه .
٢ ـ عدم النضج الانفعالي .
٣ ـ عدم وجود خطة طويلة للمستقبل .
٤ ـ العجز عن الحب والارتباط العاطفي .

وتفسر السيكوباتية بالقول بالوراثة أو بفرض المخ الشاذ أو الدماغ الشاذ أو الاضطراب النفسي .

علم النفس في قاعة المحكمة :

في أحد جلسات محكمة الجنايات جلس الناس منذ بزوغ الفجر على مقاعد قاعة المحكمة ينتظرون نظر قضية شهيرة ومثيرة كان المتهم فيها نجمة لامعة من نجوم الأوبرا وكانت تعمل سابقاً ناظرة لمدرسة شهيرة من مدارس البنات في ولاية فيرجينيا Virginia بالولايات المتحدة الأميركية، متهمة بقتل طبيب مؤلف ثري شهير قتلته في ثورة من ثورات الغيرة Jealous rage لحبه لفتاة أصغر منها ووقفت أمام المحلفين الذين تكونوا من ٨ نساء و٤ رجال Jury. وقفت النجمة الشهيرة اللامعة أمام المحلفين تقول إنها ذهبت لمنزل صديقها وهي تنوي قتل نفسها وأن الرصاصة القاتلة انطلقت من المسدس خطأ في أثناء صراعها مع المجني عليه في محاولة منه لأخذ المسدس منها .

هنا نتساءل هل سوف يقبل المحلفون إدعاء النجمة في أن الرصاصة القاتلة صدرت عفواً ودون إرادتها ؟ لقد فعلوا ذلك . وهل كانوا متحيزين إيجابياً أم سلبياً بتأثير جاذبيتها ومكانتها الاجتماعية Social status ؟ وهل انتبه المحلفون إلى تعليمات القاضي لإهمال أو إغفال الشهادة Testimony التي تبدو غير مقبولة ؟ وهل تأثر اتجاه المحلفين الشخصي والتعصبي في حكمهم ؟

وبعد بدء الحوار كيف أثر المحلفون في بعضهم البعض ؟ مثل هذه الأسئلة ذات أهمية كبيرة للمحامي Lawyers والقضاة Judges والمتهمون Defendants ويستطيع علم النفس الجنائي أن يدلي بدلوه في الإجابة على مثل هذه التساؤلات . كيف يكوّن الناس أحكامهم **Judgements** حول الناس

الآخرين ؟ وغير ذلك من الأمور القانونية **Legal** وهكذا يختلط علم النفس مع القانون في كثير من المهام . فعلم النفس يوضح مبادىء التفكير الاجتماعي والتأثير الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية . ففي الحالات الإجرامية تؤثر العوامل النفسية في عملية القبض على الناس **Arrest of criminal cases** وعمليات الاستجواب **Interrogation** وتوجيه الاتهام **Prosecution** والعقوبات أو الاتفاقات القضائية أي إجابة المتهم على التهمة الموجهة إليه **Plea bargaining**. فمن جملة القضايا المعروضة على القضاء في أمريكا في ١٩٧٩ لم يحضر للمحاكمة ٨٣ ٪ من مجموع الحالات ، وذلك وفقاً لتقارير وزارة العدل الأمريكية U.S. Department of Justice عام ١٩٨٠ . وعلىٰ ذلك لم يكن عمل المحامين عملية الإقناع **Persuasion** في قاعة المحكمة في Courtroom ولكن مساومة في مؤتمر المساومة Conference room وحتى في مؤتمر المساومة فإن القرار يتخذ علىٰ أساس توقع ماذا سيفعل القاضي أو المحلفون . ولذلك من الموضوعات الهامة التي يدرسها علم النفس سمات الدراما التي تدور في قاعة المحكمة التي تؤثر في حكم المحلفين **Jurors' judgements** وكذلك سمات المحلفين ومداولتهم أو تفكيرهم ونقاشهم وحوارهم **Deliberations** وعندما تبدأ المحاكمة ، فإن المحلفين **Jurors** يستمعون إلىٰ شهادات الشهود **Testimony** ويكونون انطباعات عن المتهم ويستمعون إلىٰ تعليات القاضي ثم يقدمون حكمهم أو رأيهم Verdict كيف يؤثر تحيزات Biases المحلفين في هدفهم نحو العدالة **Judicialgoal of fairness** . وما هي الإصلاحات المطلوبة التي تقلل من قدر هذا التعصب ؟ ولاشك أن نظام المحلفين يستهدف تحقيق أو إيجاد الأحكام النزيهة أو المجردة البعيدة عن التعصب والتحيز . **Impartial Judgements** من هذه المحاولات حلف اليمين أو القسم **Oaths** ومواجهة التوكيلات Attorneys المتعارضة والفحوص المتقابلة كل هذه الأمور من أجل تحقيق العدالة والانصاف **Fairness** ولكن الناس الذين يشتركون في العملية القضائية ليسوا آلات صماء ميكانيكية خالية من التعاطف والانفعال وليسوا آلات حاسبة أو عديمي الإحساس العاطفي **Dispassionate** هناك عوامل سيكولوجية تؤثر فيهم ولا شك .

مدى صدق شهادة الشهود : شهود العيان :

لقد تبين أن الشهادة الشخصية والحكايات النادرة **Anecdotes and personal testimonies** من حيث كونها حية ومشخصة أو مجسدة من الممكن أن تكون مقنعة بشدة أي قابلة لإقناع الناس بها ، وذلك أكثر المعلومات المؤثرة منطقياً ولكنها مجردة **Abstract** . وخاصة عندما ينطق بها الشاهد في ثقة وثبات وبلا تردد وبطريقة مباشرة ومستقيمة بطريقة « حديث الرجال ». كذلك فإن الإحصاءات الحية من الصعب إنكارها وكذلك التفاسير أو التأويل الحية **Vivid accounts** . فالحديث في ثقة وجرأة وقوة وطلاقة يؤثر في السامع . وليس هناك طريقة أفضل من إنهاء جدال ما عن القول « **لقد رأيتها بعيني** » **I saw it with my own eyes** فالرؤية عبارة عن اعتقاد **Seeing is Believing** ففي بحث في جامعة واشنطون وجدت اليزابيث لوفتس **E. Loftus** ١٩٧٤ ، ١٩٧٩ ، أن أولئك الذين قرروا أنهم قد رأوا، صدقهم الناس حتى وإن كانت شهاداتهم عديمة الفائدة . وعندما تمت مواجهة الطلاب بحالة سرقة وقتل افتراضية مصحوبة بأدلة ظرفية Circumstantial evidence ولكن لا يوجد شاهد عيان **Eye - wittness** فقط في حالة القتل والسرقة هذه **Robbery - murder** فقط ١٨ ٪ من مجموع الطلاب صوتوا بالإدانة **Conviction** ومجموعة أخرى تلقت نفس المعلومات مضاف إليها شهادة شاهد عيان واحد، صوت بالإدانة ٧٢ ٪ ، لأن هناك شخصاً ما قد أعلن أن هذا هو القاتل . وكان هناك مجموعة ثالثة تلقت نفس المعلومات التي تلقتها المجموعة الثانية فيما عدا أن محامي الدفاع **Defense attorney** قد كذبها ورفضها **Discredited** وأخذ الشاهد ٢٠/٤٠٠ رؤية ولم يكن يرتدي نظارة في لحظة رؤيته ارتكاب الجريمة. يظهر إلى أي مدى هذا العجز خفض تأثير الشهادة؟ ولكن ما زال هناك ٦٨٪ صوتوا لصالح الإدانة **Conviction**. فشهود العيان يمكن رفض شهاداتهم في بعض الحالات ، ذلك لأن التجارب اللاحقة لم تؤيد كلها هذه النتيجة . ولكن ما أن تنطبع الشهادة الحية القوية في أذهان المحلفين حتى يصعب إزالتها . ففي تجربة علمية تم عرض سرقة آلة حاسبة **The theft** مئات المرات أمام الشهود . وبعد ذلك طلب من كل شاهد أن يتعرف على السارق أي المتهم

بجريمة السرقة **Culprit** من صورة فوتوغرافية تضم صفاً أو عدداً من الأشخاص الذين يقفون ليفتشهم رجال الشرطة أو لمعرفة هوياتهم . وكان هناك أشخاص آخرون يقومون بدور المحلفين وشاهدوا الشهود في أثناء استجوابهم ثم قوموا شهاداتهم .

والسؤال هنا هو هل الشهود الذين أخطأوا في عملية التعرف أو الذين عملوا تعرفات غير صائبة هل هؤلاء لا يصدقهم الناس عن أولئك الشهود المدققين أو الصائبين ؟ على العكس من ذلك . لقد وجد أن الشهود الذين أصابوا والذين أخطأوا تم تصديقهم بنسبة ٨٠٪ من المرات . ليس لدى الملاحظ قدرة لرفض شهود العيان الذين أخطأوا في التعرف على الشخص الصحيح .

وفي دراسة تتبعية تم وضع الشيء المسروق في ظروف يمكن مشاهدة والتعرف جيداً على الحرامي **Thief** وفي حالات أخرى تم وضع المسروق بصورة يصعب عليهم مشاهدة السارق جيداً في هذه الحالة صدق المحلفون الشهود العيان أكثر وهم في حالة جيدة من الرؤية والتعرف عن حالة صعوبة التعرف . ولكن حتماً في حالة الرؤية الرديئة لدرجة أن ثلثي الشهود تعرفوا على إنسان بريء **Innocent person** ظل هناك ٦٢٪ من المحلفين يصدقون الشهود .

وفي تجربة أخرى تم قياس قوة ذاكرة الشاهد على تذكر التفاصيل والجزئيات ، وانتهت التجربة ببيان أن المحلفين يصدِّقون أكثر شهود العيان الذين يستطيعون إدراك التفاصيل والجزئيات أكثر من غيرهم لأنهم كانوا يولون الموقف اهتماماً وانتباهاً أكبر . فالشاهد الذي يقول رأيت ثلاث صور معلقة في حائط الغرفة التي تمت فيها الجريمة يصدقه المحلفون أكثر من غيره . ولكن الحقيقة أن الذين وجهوا انتباههم إلى هذه التفاصيل كانوا لا ينظرون جيداً إلى وجه المتهم **Culprit's face**

مصادر أو منابع الخطأ في الشهادة والإدراك والتذكر :

لا شك أن الخطأ يتسرب إلى إدراكنا وإلى ذكرياتنا أو تذكرنا **Perceptions and our memories** لأن عقولنا ليست أجهزة تسجيل أو آلات

تسجيل بالصوت والصورة **Video tape machines** وإنما الأحرىٰ أننا نبني أو نكون ذكرياتنا مؤسسة جزئياً علىٰ ما أدركناه **Perceived** في وقت حصول الإدراك وجزئياً علىٰ توقعاتنا **Expectations**. وعلىٰ عقائدنا **Beliefs** وعلى أساس من معرفتنا الراهنة ولا شك أن التوقعات الثقافية تؤثر في عملية الإدراك والتذكر وإعطاء التقارير .

في عام ١٩٤٧ أجريت تجربة علىٰ انتقال الشائعات **Rumour transmission**. أجراها جوردن البورت Gordon Allport وزميلاً له حيث عرضا صورة لرجل أبيض يمسك بيده موساً حاداً ويتناقش مع شخص زنجي أسود وطلب من كل واحد منهم أن يروي هذه القصة لشخص آخر، ليقوم هذا الأخير بروايتها إلىٰ شخص ثالث ويقوم الثالث بروايتها لشخص رابع وهكذا حتى الشخص السادس، حتى تحرك الموس من يد الشخص الأبيض إلى يد الشخص الأسود . وفي كثير من الرسوم والأشكال يختلط الأمر على المدرك عما إذا كان يراه هو صورة لوجه أم أنه شكل من الأشكال وخداع الحواس في الإدراك أمر معروف ومقرر . وتتوقف دقة الشهادة على صياغة السؤال وعما إذا كان سؤالاً إيحائياً أو سؤالاً مضللاً فقد يترتب على ذلك أن يقرر الشهود أنهم رأوا أشياء هم في الحقيقة لم يروها وقد تتغير وتتبدد الألوان التي يقررون رؤيتها وقد يقرر الشهود وجود أشياء غير موجودة. فهناك الأسئلة التي توحي بالإجابة المطلوبة والتي يريدها السائل **Leading questions** عن طريق تركيبها أو محتواها توحي للشاهد بالشهادة المطلوب سماعها منه أي الإجابة المطلوبة . يميل الناس إلى إرضاء من يستمعون إليهم ولذلك يغيرون ويعدلون من رسائلهم ولتتخيل أنك شاهدت حواراً دار بين شخصين واحتدم النقاش حتى تحول إلى عراك أصاب أحدهما فيه زميله وإن الشخص المصاب أقام دعوة ضد الآخر Case وأن محامي أحد الطرفين أخذ في استجوابك . في إحدىٰ التجارب قام طلاب الجامعة بدور الشهود والبعض الآخر قام بدور المحامين ، وآخرون قاموا بدور القضاة ومال الشهود لإعطاء شهادات في صالح المتهم أكثر منها في صالح المجني عليه وذلك إذا سألهم محامي المجني عليه. وهنا نتساءل عن كيفية التخفيف من حدة هذا الخطأ أو تخفيض قدره وجعل الشهادة صادقة إلى أقصىٰ حد مستطاع ؟

تخفيض الخطأ Reducing Error في شهادة الشهود :.

حيث أننا قررنا أن هناك نزعة لاستهداف الخطأ في الشهادة فما هي الخطوات الإيجابية التي يمكن اتباعها لزيادة دقة شهود العيان . من هذه الاقتراحات أن رجال الشرطة عند استجواب شهود العيان يجب أن يسمح لهم برواية القصة بعباراتهم أو بألفاظهم هم أنفسهم دون جس النبض أو التدخل . وبعد ذلك يوجهون لهم الأسئلة النوعية المحددة مع معاملة الإجابات بشيء من الشك ويجب أن تكون هذه الأسئلة بعيدةً عن الافتراضات الخفية أو المستترة . من ذلك هل رأيت الضوء الأمامي المكسور ؟ مثل هذا السؤال يتضمن فرضاً مستتراً هو وجود ضوء أمامي مكسور، ولذلك يختلف هذا السؤال عن السؤال الآتي : هل رأيت ضوءً أمامياً مكسوراً ؟ كذلك دلت البحوث على زيادة دقة الشهادة عندما يتم سؤال الشاهد مباشرةً بعد وقوع الحادثة . قبل أن تمتد يد العبث أو التعديل والتحوير إلى ذكرياتهم . وقد تتأثر شهادة الشهود والقضاة بمظهر وهندام وأناقة المتهم وحينئذٍ ينظر إليه المحامي ويقول انظروا يا حضرات المستشارين هل يشبه موكلي الرجل الحرامي أم النصاب؟ ففي سرقة أحد المحلات الكبرى Department store robbery لم يستطع أن يتذكر الصراف سوى أن الحرامي لم يكن يرتدي ربطة عنق وكان شديد الهندمة والأناقة ، وكان أميل إلى أن يكون جميل المظهر . وعندما وقف رجل جميل المظهر في وسط إحدى عشر رجلاً جميعهم يرتدون رباط العنق استطاع الصراف أن يتعرف على هذا الرجل باعتباره اللص وبعد أن انقضى ١٥ شهراً وهذا الرجل في السجن لقضاء عقوبة طويلة اعترف شخص آخر بارتكاب الجريمة وثبتت عدم إدانة الشخص الأول .

وعلى ذلك يلزم مساعدة القضاة والمحلفين للنظر للشهادات نظرة نقدية سواء أكانوا شهود اتهام أو شهود دفاع **Prosecution and defense witnesses.** فالإنسان أو الشاهد يدرك الأشياء بطريقة انتقائية لدرجة أن المناقشات التي تلي ذلك والتي تدور حول هذه الأحداث تستطيع أن تغير أو تضيف لذكرياتهم . ولقد تبين أن الشهود يختارون شخصاً خطأً من الصف الذي يعرض عليهم وأنهم أميل إلى الخطأ في التعرف على شخص معين وخاصة

إذا كان هذا الشخص من جنس أو سلالة أخرى . وعلى القضاة ألا يهتموا بالثقة التي يبديها شهود العيان حين وحال الإدلاء بأقوالهم. تحتاج هذه الشهادات إلى مزيد من التحليل والمناقشة .

من الأمور الهامة في هذا الصدد سمات المتهم وخصائصه . **The Defendant's characteristies** .

صفات المتهم وأثرها في البراءة أو الإدانة :

من النادر أن يدين المحلفون شخصاً يحبونه أو يبرئون شخصاً يكرهونه ، ولذلك فمهمة المحامي الأولى أن يجعل المحلفين يحبون موكله Client ، أو على القليل يشعرون بالتعاطف والشفقة نحوه وهذه هي مهمة محامي المحاكمة Trial lawyer فالمهم هو حب المحلفين أو كراهيتم للمتهم أكثر من الحقائق المتعلقة بالجريمة نفسها . وإن كانت هذه العبارة لا تخلو من المبالغة وإنما في دراسة تناولت ٣٥٠٠ قضية جنائية **Criminal cases** وأربعة آلاف قضية مدنية **Civil cases**. وجد أن هناك أربعة قضايا في كل خمس قضايا أتفق فيها القاضي مع قرار المحلفين . وقد يرجع ذلك إلى أن كل من المحلفين Jurors والقضاة يعتمدون على تحيزات مشتركة Common Biases ولكن هناك حالات يستطيع فيها المحلفون أن يتركوا تعاطفهم الشخصي ويوافقون على إصدار حكم معين **Verdict**. ويواجه المحلفون عدداً من الأسئلة الهامة من بينها هل ارتكب المتهم المخالفة **Offense** ؟ وإذا كان الأمر كذلك فهل كانت الجريمة عن قصد **Intended** وفي حالة الأحكام الصعبة فإن الحقائق لا تمثل كل شيء . ولاشك أن المحلفون يحملون معهم إلى قاعة المحكمة بعض الأنماط الفكرية الجامدة التي تؤثر في انطباعاتهم الآنية أو الحالية حول المتهم . ولكن هل في الإمكان أن يتركوا جانباً أو أن يتخلصوا من هذه الأحكام المسبقة Preconceived . ويتخذوا قرارهم Judgments في القضية على أساس من الحقائق وحدها ؟ لاشك أن هذا أمر ممكن ولكن فحص القضايا الفعلية يوضح أن هناك بعض التحيز أو التعصب **Bias** حيث وجد أن المتهمين الذين

يتمتعون بالمكانة الاجتماعية والاقتصادية العالية يلقون معاملة رقيقة أو لينة أو متساهلة . والحقيقة أن القضايا الفعلية يختلف الحكم اختلافاً بيناً من حيث :

١ - المكانة الاجتماعية .
٢ - السن .
٣ - السلالة .
٤ - نوع الجريمة .

وما إلى ذلك لدرجة أنه يصعب تحديد العامل المسئول عن تخفيف الحكم أو صعوبته . ولذلك عمد الباحثون إلى ضبط مثل هذه العوامل والتحكم فيها وذلك بإعطاء نفس الحقائق الأساسية عن القضية بينما يتركون للتغير عاملاً واحداً هو صفات المتهم مثل الجاذبية الفيزيقية أو الشبه مع المحلفين .

الجاذبية الفيزيقية للمتهم :

هل تؤثر الجاذبية الفيزيقية للمتهم **Physical Attractiveness**؟ هناك اعتقاد أن الشخص الجميل شخص جيد . لقد أراد أحد الباحثين أن يتأكد عما إذا كانت هذه النمطية الفكرية سوف تؤثر في أحكام الطلاب حول طالب آخر كان متهماً بالغش Accused of cheating . لقد سأل هذا الباحث طلابه عما إذا كانوا يعتقدون أن الجاذبية سوف تؤثر في الحكم بالإدانة **Guilt** وكانت إجابتهم بالطبع هي كلا لا ينبغي أن تؤثر . ولكن هل أثرت في الواقع ؟ الجواب نعم لقد أثرت .

فالمحلفون يجدون أن شهادة الشهود مقنعة حتى شهادة أولئك الذين يخطئون في الشهادة .

والحقيقة أن مثل هذه الدراسات تلقي بظلال من الشك على نظام العدل الجنائي لأن إجراءاته لا تخضع للأمن التجريبي . ويساعد علم النفس المسئولين عن العدالة الجنائية لتوضيح وتنقية افتراضاتهم حول السلوك الإنساني وحول المعرفة . والحقيقة أن نظام العدالة الجنائية يرتكز على مجموعة من الفروض أو المسلمات حول السلوك الإنساني بما في ذلك

معرفة تلك الفروض التي ما زالت في حاجة إلى البحث والتقصي . هل شهادة شهود العيان دائماً غير دقيقة أو غير صحيحة ؟ هناك عشرات القصص التي تروى حول أناس أبرياء قضوا سنوات طويلة في السجن من جراء الشهادات الخاطئة من شهود العيان . هؤلاء الشهود الذين كانوا مخلصين ، ولكنهم أخطأوا بإخلاص أيضاً . ناهيك عن مئات الألوف من الشهادات المزيفة والمغرضة والناتجة عن الحقد أو الانتقام أو الغيرة أو الثأر . ولذلك يتعين على النظام العقابي أن يعتمد أكثر على الأدلة المادية لا الأدلة القولية . ولا شك أن شهود العيان يختلفون اختلافاً كلياً حول ما شاهدوه . ففي تجربة شاهد فيها ١٤١ طالباً إهانة وقعت على أحد الأساتذة . **Assault** أو وقوع هجوم أو انقضاض أو تهجم أو محاولة إعتداء . وبعد سبعة أسابيع من وقوع محاولة الاعتداء تم سؤال الطلاب للتعرف على المعتدي من بين مجموعة مكونة من ستة صور فوتوغرافية . وكانت النتيجة أن هناك ٦٠ ٪ من هؤلاء اختاروا شخصاً بريئاً **Innocent person**.

وبطبيعة الحال يختلف الشهود في مقدار ما يمتلكون من الثقة ويصدق المحلفون أكثر الواثقين في أنفسهم وعلى ذلك فإن تأكيدات الشهود أو ثقتهم لا ترتبط بدقة الشهادة . فلقد وجد أن الشهود أصحاب الشهادات الخاطئة يظهرون ثقة كبيرة في أحكامهم ، ثقة تعادل ثقة الشهود أصحاب الشهادات الصائبة وهناك أناس لديهم قدرة كبيرة على الكذب والتلفيق وتأليف شهادات محكمة ومنذ أكثر من خمسين عاماً وعلى وجه التحديد ١٩٣٢ وجد ٦٥ حالة إدانة لأناس ثبتت براءتهم **Innocence**. ومعظم هذه الحالات نتجت من الخطأ في التعرف أو من التعرف الخاطىء **Mistaken identifications** بواسطة شهود العيان. بل إن هناك حالات كثيرة أنقذت من الشنق **Hanging** أو الإعدام بالكهرباء **Electrocution** ولم يتم انقاذهم إلا بالصدفة وبشق الأنفس وتحولت العقوبة إلى سجن مدى الحياة **Life imprisonment** ولا نستطيع أن نحدد عدد الأبرياء الذين تم إعدامهم **Executed** بعد أن صدر عليهم الحكم **Sentence** وهنا تجدر بنا الإشارة إلى التساؤل عن مصادر أو منابع هذا الخطأ **Sources of error** . وعندما عرض عليهم قضايا وصور المتهمين فيها وكانت هذه الصور لأشخاص جذابين وأشخاص غير جذابين . فمالت أحكام الطلاب إلى

تخفيف الذنب وتقليل العقوبة **Punishment** عن المتهم الجذاب ولذلك قرر بعض العلماء وأكدوا أن العدالة **Justice** ليست عمياء عن الجاذبية الفيزيقية للمتهم ، ولا عن جاذبيته الاجتماعية .

كذلك فإن المتهمين الذين عرف عنهم الدفء وعدم الأنانية يقل احتمال الحكم عليهم بالإدانة أو بالذنب وإذا حكم عليهم تكون أحكامهم خفيفة عن أولئك الذين عرفوا بالبرود والأنانية .

ولكن لهذه الجاذبية الفيزيقية حدوداً ففي تجربة على طلاب إحدى الجامعات الأمريكية عرض الباحثون صورة لامرأة جذابة وأخرى لامرأة غير جذابة بدعوى إتهامهما، إما بسرقة أحد المنازل **Burglary** أو إغراء رجل غني أعزب في منتصف العمر، إغرائه لكي يعطيها ٢٢٠٠ دولاراً أمريكياً لاستثمارها في شركة وهمية غير موجودة .

وطلب منهم أن يحكموا على المرأة بالنسبة للذين أسندوا جريمة السرقة للمرأة الجذابة أعطوها حكماً مخففاً وأحكاماً أكثر بساطة للمرأة غير الجذابة بالنسبة لقضية السب أو الاحتيال **Swindle case** كانت الجاذبية من عوامل تسهيل الجريمة وعلى ذلك نستطيع أن نقول إذا كانت الجاذبية تدرك على أنها عامل مساعد في ارتكاب الجريمة **Committing crime**. فإنها لا تؤثر باستفادة المتهم من جماله أو من جاذبيته .

عندما يقدم الباحث للمفحوصين أدلة **Evidence** ثابتة ولكنها ضعيفة أو قليلة فإن مظهر أو منظر المتهمين يؤثر على الأحكام التي تصدر ضدهم .

ولكن هذه المواقف المعملية تبتعد عن الحقيقة الواقعية والتعامل مع محلفين وقضاة ومتهمين وقضايا حقيقيين . ولذلك كلف أحد الباحثين الأمريكان مجموعة من طلاب الجامعة للذهاب إلى سراي المحكمة وحضور الجلسات الفعلية وإعطاء درجات لتقدير الجاذبية الفيزيقية للمتهمين . وعندما صدرت الأحكام لم يلاحظ الطلاب أن الأشخاص الجذابين حكم عليهم بالبراءة أكثر من غيرهم ، ولكن عندما حكم عليهم بالإدانة تلقوا أحكاماً أقل ولمدد أقصر .

العوامل المؤثرة في قرارات المحلفين :

يلاحظ على مثل هذه الدراسات التي تعتمد على إيجاد معاملات الارتباط بين متغيرات الدراسة أن هناك احتمال وجود عوامل أخرى مرتبطة بالجمال الفيزيقي ، من ذلك الوظيفة الثابتة أو المرموقة . ويلاحظ أنه في نظام القضاء الذي يعتمد على المحلفين لا يصدر المحلفون الحكم ، ولكنهم يقررون فقط عما إذا كان المتهم مذنباً أم لا وفي بعض الأحيان قد يطلب منهم القاضي أن يقترحوا حكماً معيناً . ونحن إذا سلمنا بالرأي القائل بأن حب المحلفين للمتهم يلون أو يشكل أحكامهم ، فإننا نفترض أن شوامل أخرى تؤثر في حب الإنسان ، لها تأثير أيضاً في قاعة المحكمة من بين هذه العوامل مبدأ التشابه والجاذبية ، فالتشابه يقود إلى المحبة وعلى ذلك فمن المحتمل أن يتعاطف المحلفون مع المتهم الذي يشاركهم في الاتجاهات العقلية أو في المذهب الديني أو في السلالة كما هو الحال في جرائم الاعتداء الجنسي . وبصفة عامة الشخص الذي يتسبب في وقوع حادثة خطيرة يحكم عليه بقليل من المسئولية إذا كان شكله يشبه شكل القاضي . وقد يميل الناس إلى تفسير ما يقوم به البعض على أساس ما يوجد في داخل هذا البعض من انفعالاته لدرجة إقصاء أو استبعاد العوامل الموقفية عندما نحكم على سلوكنا نكون حساسين إلى الضغوط الموقفية . ولذلك لا نسرع في لوم أنفسنا عن الأخطاء والسلوك السلبي .

ربما أن الناس الذين يستطيعون أن يتوحدوا مع المتهم لا يميلون إلى لوم المتهم أو يميلون إلى الاعتقاد بأن المتهم لن يكرر الجريمة ثانية . فنحن نخفف اللوم عن ذواتنا بتخفيف اللوم عن أولئك الذين يشبهوننا . ويعبر عن ذلك بصفة عامة عن ميل الإنسان إلى « حب المشابه وكره المختلف » وإن كان من الناحية المثالية توصف العدالة بأنها عمياء . وهناك من يقول بأنه لا بأس من تحيز المحلفين لأن هذا التحيز يعكس ضمير مجتمعهم . **Conscience of their community** وعلى سبيل المثال فللمجتمع أهمية كبيرة في تحديد ما هو إباحي أو فاحش أو داعر **Pornography** . وفي تحديد عدالة الاتهام أو ادعاء النائب العام أو المدعي بالاتهام . **Prosecutor** . وفي تحديد

القوانين الغير محبوبة ، ولكن بصرف النظر عن قيم المجتمع وعن تمثيل النائب العام لهذه القيم ، فإن المتهم لابد أن يبقىٰ بريئاً حتى تثبت إدانته Innocent Until proven guilty ومع ذلك لابد أن ندعو أن المحلفين يجب أن يكونوا موضوعيين objctive يجب أن يتركوا تحيزاتهم الأخرىٰ خارج قاعة المحكمة أو خارج باب المحكمة ، وأن يبدأوا المحاكمة بعقول بيضاء Blank minds .

وينص على ذلك معظم الدساتير العالمية ومن بينها الدستور المصري والدستور الأمريكي Constitution إن المتهم The accused يجب أن يتمتع بحق المحاكمة السريعة والعلنية Speedy and Public trial بواسطة محلفين يتمتعون بالتجرد والنزاهة وعدم التحيز Impartial Jury ولكن كيف نستطيع أن نقلل من تأثير تعصب أو تحيز المحلفين . في إحدىٰ الدراسات التي أجريت في واحدة من الجامعات الأمريكية عام ١٩٨٠ أسفرت عن أن الحقائق المتعلقة بالقضية عندما تكون سلسة وواضحة وغير قابلة للنزاع Undisputed فإن تحيز المحلفين ينخفض إلى أقصىٰ درجة عما لو كانت الأدلة غامضة Evidence is ambiguous وعلاوة على ذلك فإن أي شيء يلفت انتباه المحلفين علىٰ الأدلة يقلل من تأثير تعصبهم . من ذلك مناقشة القضية والسماح للمحلفين بأخذ ملاحظات أو تدوين ملاحظات أو أخذ تسجيل بالفيديو للشهادة ربما يقلل من تعصب المحلفين . ولقد اقترح بعض العلماء إعطاء محاضرات في علم النفس الجنائي والاجتماعي للمحلفين الجدد وذلك لتحذيرهم من الوقوع في أخطاء التحيز وذلك حتى لا يتدخل مشاعر المحلفين وتعصب المجتمع ورغباته في تطبيق القانون Administration of the law وأسهل من ذلك هو تعليمات القضاة للمحلفين بإهمال المعلومات المتحيزة .

ولقد تبين ان المحلفين يهملون الملاحظات الأخيرة التي يبديها الشاهد . وعلىٰ كل حال يجب أن يقنع القاضي المحلف بأن القضية ليست في أن يحب أو يكره المتهم ، وإنما في مدىٰ ارتكابه المخالفة أم لا . ولكن هل يستمع المحلفون دائماً إلىٰ تعليمات القضاة ؟

تعليمات القضاة للمحلفين :

من السهل أن نتذكر وقائع الدراما التي تدور فصولها في قاعة المحكمة فيما نسمع المدعي أو المحامي يصيح قائلاً : إنني اعترض سيدي القاضي . والقاضي يؤيد الاعتراض ويأمر المحلفين لإهمال السؤال الإيحائي الصادر من المدعي الآخر أو إهمال الملاحظة التي عملها الشاهد . فقد يتدخل في جرائم الاغتصاب **Rape crime**. قيام المرأة بإغراء الرجل من جانبها . مثل هذه الشهادة تؤثر في المحلفين حتى وإن كانت تعليمات القاضي بعدم الالتفات إليها . كذلك تؤثر في المحلفين التهم السابقة ضد المتهم **Previous connictions**.

في إحدى الدراسات أعطيت لمجموعة من الطلاب وصف وقائع سرقة وقتل في محل خضروات مع ملخص عن أقوال وكيل النيابة ممثل الاتهام ومحامي المتهم وعندما كانت حجج وكيل النيابة ضعيفة لم يقض أحد بالإدانة أي بإدانة المتهم ، وعندما أضيف إلى هذه الأدلة الضعيفة مكالمة تليفونية مسجلة للمتهم حكم عليه نحو ثلث العينة بالإدانة . على الرغم من أن القاضي قد أعطى تعليمات للمحلفين بأن المكالمة التليفونية المسجلة هذه ليست دليلاً قانونياً **Not legal** ويتعين عدم الأخذ بها ولقد قرر أكثر من باحث أن تعليمات القاضي بإهمال شهادة الشهود لا يأخذ بها المحلفون . وقد يتأثر المحلفون بالشهادة غير المسموح بها دون إدراك منهم .

والحقيقة أن الناس لا يعرفون دائماً لماذا يسلكون ، فقد يتأثر المحلفون بشهادة غير قانونية ويقولون إنهم لم يتأثروا وقد لا يتأثرون ومع ذلك يقررون أنهم قد تأثروا . ولذلك لابد من قيام علماء النفس بإجراء التجارب بدلاً من الاعتماد على استبطان الناس **Introspections**. وعلى ذلك نستطيع أن نتصور قاعة المحكمة في الغد القريب مزودة بالأجهزة العلمية وبالعلم والعلماء . ولكن لا يعني ذلك أن تعليمات القضاة تهمل في جميع الأحوال ، فالناس ينظرون للقاضي في المسائل والقضايا القانونية على أنه مصدر ثقة وله مكانة عالية ، وأنه يتمتع بالتجرد والنزاهة والحياد والموضوعية . والحقيقة أن ظروف المحاكمة تختلف من قضية إلى أخرى . وعلى ذلك يجب أن نكون حذرين

من إطلاق التعميمات في ضوء حفنة قليلة من التجارب المتوفرة لدينا وعلى كل حال ، كل ما نستطيع أن نقرره في ضوء الأبحاث المتوفرة وكل ما نعرفه عن الناس وكيفية تكوينهم انطباعاتهم وتأثيرها بالآخرين أنه من الأفضل أن نمنع الشهادات الممنوعة من سجلات المحكمة لأن ذلك أسهل من انتزاعها من عقول المحلفين وكما يقول المحامون دائماً أنت لا تستطيع إلّا تدق الناقوس بمعنى أنك لا تستطيع الإمساك عن سماع دقات الناقوس الذي يدق أو لا تستطيع إسكات صوت الناقوس الذي يدق إلّا بعد سماعه وبالمثل فإن الشهادة الباطلة تؤثر في السامعين . ولذلك يجب منعها أصالة من الإدلاء في أرجاء المحكمة . You can't unring the Ball ماذا يستطيع أن يفعل القضاة للتقليل من تأثير الأدلة الغير مسموح بها ؟ على كل حال يتعين على القضاة أن يحذروا المحلفين عن الأنماط المختلفة من الأدلة التي يعتد بها وتلك التي لا يعتد بها . ذلك لأن الانطباعات الأولى ـ Initial impressions . ما أن تتكون حتى يصعب ازالتها وعلى ذلك من الممكن أن يكون تفسير الإنسان للمعلومات التي يتلقاها بعد ذلك . ففي تجربة على طلاب الجامعة في المجتمع الأمريكي عرض المجرب على مجموعة من الطلاب محاكمة مسجلة في الفيديو لمدة ساعة وفي نهاية التسجيل ظهر القاضي يحذر ويذكر بالقول الشهير بأن المتهم بريء حتى تثبت إدانته ومع ذلك فإن هناك ٥٩ ٪ حكموا على المتهم بالسرقة بالإدانة في مقابل ٦٣ ٪ حكموا عليه بالإدانة عندما لم يتكلم القاضي وعندما قال القاضي تحذيره هذا قبل المحاكمة صوت فقط ٣٧ ٪ لصالح الإدانة . كذلك فإن مجموعة من المحلفين كانوا أكثر استعداداً للحكم على متهم في قضية اغتصاب إذا سمعوا قبل وبعد المحاكمة تذكيراً لهم بأن المجني عليها أي المرأة التي تم اغتصابها لها تاريخ غير مشرف من الناحية الجنسية . ويمكن التخلص من هذا العيب عن طريق تسجيل الشهادات أولاً بالفيديو ثم حذف الأجزاء التي تثير الاعتراض وذلك قبل أن يسمع المحلفون ويشاهدوا الفيلم وإذا صحت نتائج هذه الدراسات كان لنا أن نقترح على محكمة الغد أن تحتوي أجهزة تليفزيون تعرض الناس بأحجامهم الطبيعية . ويطبق هذا النظام حالياً في بعض المحاكم الأمريكية ، ولكن يثار اعتراض مؤداه أن المحلفين يجب أن يشاهدوا كيف يستجيب الشهود وكيف

يتفاعلون ، ولكن يذهب المؤيدون لهذه الفكرة إلى القول بأن التسجيل يسرع في تسجيل الذاكرة قبل أن تخفت أو تنطفىء كما أنه في الإمكان إزالة الشهادات غير المسموح بها ويمكن الإسراع في عملية المحاكمة .

لقد عالجنا حتى الآن ، بالعرض والتحليل ، ثلاثة عوامل هي شهود العيان وشهادتهم وسمات المتهم وتعليمات القضاة ، ولكن هناك بحوثاً تجري الآن وتتناول موضوعات أخرىٰ من ذلك تأثير عقوبة الإعدام **Death penalty to Convict** تجعل المحلفين غير مستعدين بالحكم بالإدانة . كذلك هل تختلف أحكام المحلفين القدماء أصحاب ا لخبرة عن المحلفين الجدد ؟ وهل تكون العقوبة أشد قسوة عندما تكون الضحية جذابة أو عندما تعاني كثيراً ؟ تجيب بعض الدراسات المبدئية في هذا المجال بالإيجاب علىٰ هذه التساؤلات .

سيكولوجية شخصية المحلف :

بصرف النظر عن المحلف العادي أو المتوسط ، فإن هناك من يذهب من المحلفين إلىٰ سراي المحكمة **Court house** ومعه اتجاهاته وشخصيته وميوله الفردية . وعندما يتحاور المحلفون فإنهم يؤثرون في بعضهم البعض . والسؤال الذي يطرح نفسه كيف يتأثر حكمهم باستعداداتهم الفردية وبعملهم مع بعضهم البعض كجماعة محلفين ؟ وهذا يجعلنا نبحث في المحلف كفرد . ويقودنا هذا إلى التساؤل عن من هو الشخص الذي يتم اختياره محلفاً ؟ وعلىٰ سبيل المثال في القضايا الجنائية، الناس الذين يعارضون عقوبة الإعدام يمكن أن يتم اختيارهم للقضايا التي يحتمل صدور حكم الإعدام فيها وهناك احتمال أن المحلفين الذين يميلون إلىٰ الإدانة تميل شخصيتهم إلى الدكتاتورية أو التسلط أو السلطوية ، كما يمتازون بالجمود والرغبة في إنزال العقاب ويميلون إلىٰ إزدراء أو احتقار أو امتهان أرباب الطبقات الاجتماعية الدنيا . كذلك فإن القضاة يختلفون اختلافاً شاسعاً في اتجاهاتهم بحكم كونهم بشراً كما يختلفون في ممارستهم القضائية وطرق إصدارهم للحكم .

ومن الأمور المحرجة أن نرى المتهمين في قضايا متشابهة يأخذون أحكاماً مختلفة اختلافاً كبيراً أو يتلقون عقوبات متباينة . ولكن كل قضية ف

في سابه فاختلاف الأحكام يرجع إلى اختلاف الظروف في القضايا المختلفة ولقياس هذا الفرض وضع عدد من الباحثين نفس القضايا أمام عدد مختلف من القضاة وأصدروا أحكاماً مختلفة . وكذلك تختلف الأحكام باختلاف قسوة القاضي أو شدته أو صراحته أو العكس A harsh judge وعلى سبيل المثال عندما طلب من ٥٠ قاضياً فدرالياً لإصدار أحكامهم على شخص متهم بالسرقة وامتلاك السلع المسروقة **Stolen goods** تراوحت الأحكام التي أصدروها من المراقبة إلى سبع سنوات ونصف سجن . ولكن كيف يمكن التخفيف من حدة Probation هذه الفروق الشاسعة ؟ من الاقتراحات في هذا الصدد تكليف القضاة ملأ استمارات تتضمن الحكم المتوسط بجريمة معينة ونطلب منهم كم يرغب الواحد منهم في الاختلاف أو الانحراف عن هذا المعيار ولكن عمل مثل هذا المعيار يتطلب وجود إجماع أو اتفاق إجماعي بين القضاة Consensus فالمطلوب حماية الجمهور وفي نفس الوقت تقدير النوايا الحسنة لدى المدان[1].

---

(١) David G. Myers social psychology 1983 Mc Grau - Hill Book compagny .

راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية ـ د. العيسوي ـ الدار الجامعية ـ بيورت

الفصل الخامس

- شخصية المتهم وحقوقه وتعريفه .
- دور القاضي ورسالته .
- عيوب نظام المحلفين .

الفصل الخامس
شخصية المتهم وحقوقه وتعريفه

المتهم، وفقاً للتعريف القانوني هو كل شخص تقيم النيابة العمومية ضده دعوة جنائية ، ويعتبر خاضعاً للنيابة العمومية وفقاً لأحكام القانون بمعنىٰ أن خضوعه لا يعني أن يكون عبداً ذليلاً للنيابة تصنع به ما تشاء . وتنتفي صفة الاتهام عن المتهم بصدور قرار حفظ التحقيق أو قرار بلا وجه باقامة الدعوى ضده متى صار كل منهما نهائياً أو بصدور حكم بات بالبراءة . أما إذا صدر حكم بالإدانة تحولت صفة « المتهم » لتصبح صفة « المحكوم عليه » وإذا قضت محكمة النقض بقبول الطعن في النقض المقدم من المحكوم عليه وأعيد للمحكمة بواسطة دائرة أخرىٰ عادت إليه صفة « المتهم ».

والمفروض في المتهم أن تحدد صفاته الجسمية وأن تعرف جيداً ولا يهم أن يكون قد انتحل اسماً غير اسمه الحقيقي ، وإذا اتخذت الإجراءات الجنائية ضد شخص آخر غيره كان يحمل اسمه اعتبرت هذه الإجراءات منعدمة . وعلى ذلك على المحقق أن يتثبت من أن الشخص الماثل أمامه هو بعينه الشخص المتهم ، وإذا تبين وفاة المتهم الحقيقي حكم بانقضاء الدعوىٰ ، وإذا ظهر علىٰ قيد الحياة مرة ثانية أعيد السير في الدعوى ما لم تكن قد سقطت الدعوى الجنائية بالتقادم . وعلىٰ النيابة أن تتوصل إلى معرفة من تنسب إليه الجريمة وإلاّ انتهت القضايا إلىٰ الحفظ لعدم معرفة الفاعل .

ومن الأمور البديهية أن يكون المتهم شخصاً آدمياً ، وإن كان يجوز أن يكون الشخص المعنوي مدعياً عليه في دعوى مدنية لأن الشخص المعنوي لا ينفذ مادياً جريمة ما وليست له إرادة أو نفس تصدر عنها الجريمة . وتقام الدعوى في القانون المدني أو الإداري علىٰ الأشخاص المعنويين كالهيئات

والشركات والجامعات لأنها أشخاص معنوية مجردة عن أعضاءها وبمعزل عن أفرادها . ولابد أن يكون المتهم ممن تتوفر فيه أهلية الاتهام . وممكن أن يكون المجنون متهماً وفي هذه الحالة قد يصدر حكم بإيداعه مستشفى الأمراض العقلية . ويمكن أن يكون الطفل الصغير متهماً . ومن المبادىء الدستورية أن المتهم بريء حتى تثبت إدانته بمحاكمة قانونية يكفل له فيها ضمانات الدفاع عن نفسه . ومن الحقوق الممنوحة للمتهم أنه يجب على قاضي التحقيق أن يستجوب فوراً المتهم المقبوض عليه ، وإذا تعذر ذلك يودع في السجن لحين استجوابه ويجب ألا تزيد مدة إيداعه عن أربع وعشرين ساعة . فإذا مضت هذه المدة وجب على مأمور السجن تسليمه للنيابه العامة . وعليها أن تطلب في الحال من قاضي التحقيق استجوابه . وعند الاقتضاء تطلب ذلك إلى القاضي الجزائي أو رئيس المحكمة أو أي قاضي آخر يعينه رئيس المحكمة وإلا أمرت بإخلاء سبيله ، وذلك حتى لا يتحول القبض على المتهم إلى حبس . وإذا سمى المتهم نفسه في محضر رسمي باسم خيالي اعتبر ذلك من قبيل دفاعه المباح عن نفسه أو تنصله عن التهمة إنكاراً لها . أما عن نفسه أو إذا سمى نفسه باسم شخص حقيقي غيره اعتبر ذلك تزويراً في محرر رسمي . وللمتهم الحق في أن يعرف الأدلة القائمة ضده تحقيقاً لحقه في الدفاع عن نفسه وتفنيد هذه التهمة .

دور القاضي ورسالته :

يقول الدكتور رمسيس بهنام في وصف القاضي : القاضي طرف لابد منه ولا غنىً عنه في الرابطة الإجرائية لأنه هو الذي يتوقف عليه فض الخصومة موضوع هذه الرابطة . ومع كونه طرفاً لابد منه ، ليس مع ذلك خصماً ، وإنما هو فوق الخصوم ، ومهمته أن يحدد مدىٰ الرجحان ومدىٰ البهتان في مزاعمهم . وكل من النيابة العمومية والمتهم ، طرف وخصم في آن واحد وكل من عداهما ممن له دور في الرابطة الإجرائية يعتبر طرفاً فحسب دون أن يكون خصماً[1] .

(١) الإجراءات الجنائية تأصيلاً وتحليلاً، دار د. رمسيس بهنام، منشأة المصارف بالإسكندرية ١٩٧٧ ص ٢١٣، الفصل الرابع.

ويتميز القاضي عن سائر الأطراف لأنه المهيمن على الرابطة الإجرائية فهو الذي يمثل السلطة القضائية كواحدة من سلطات الدولة وعلى أساس من عدالة القاضي ينتفي شعور المواطن بالظلم ، لأن الشعور بالظلم شعور هدام لنفسية الفرد ، ويبدد طاقته في العمل والانتاج ولا يؤدي إلى رفع شأن المجتمع . وإذا استطال أمد الشعور بالظلم تحول إلى شعور مزمن بالاضطهاد يؤدي إلى إصابة المواطن بكثير من الأمراض النفسية والعقلية والجسمية وليس هناك أخطر على المجتمع من وجود قاضي ظالم .

وقد قبل الناس حتى المجرمين منهم لحاسة العدالة . وإرضاء هذه الحاسة فيه خير الخصمين المتصارعين كليهما ، المفتري منهما والمفتري عليه لأنه متى أحس المفتري بوطأة الحكم إذ يرد عليه سوء قصد ويثنيه عن غيه لابد من أن يتقبل هذا الإحساس بنفس راضية لأنه وإن صار خاسراً يدرك أن هذه الخسارة في موضعها . والمفروض في القضاء أن يكون ظهر المواطن وملاذه الأمين[1] .

فالقضاء يعني قول الحق ومهمة القانون إقامة العدالة ويوجد حاسة أو عاطفة في الإنسان تجعله ميالاً إلى أن يكف عن الأذى ، وأن يصنع الخير والبر . والقاضي لا يخضع إلا إلى سلطان ضميره وليس لأحد أن يتدخل في عمله ولا يتلقى توجيهات من أي سلطة رئاسية . ويتميز القضاء بالحيرة والاستقلال وهناك عوامل نفسية قد تؤثر في فساد حكم القاضي يختص بدراستها علم النفس القضائي . ومن هنا تظهر أهمية دراسة علم النفس بالنسبة للمشتغلين بالقضاء ومن أساليب الوقاية من الوقوع في الخطأ في الحكم ترشيد القاضي وتوعيته فقد احتاط القانون بأن جعل التقاضي في أكثر من درجة حتى تصلح الدرجة الثانية ما قد يكون قد وقع من أخطاء في الدرجة الأولى كذلك احتاط القانون بأن أجاز رد القاضي أو تنحيته من ذلك أن تكون للقاضي مصلحة في الرشوى أو أن تكون لزوجته أو لأحد أقاربه مصلحة فيها أو أن يكون قد أبدى رأيه في النزاع المطروح من قبل . وأعطى القانون القاضي حق التنحي تلقائياً عن نظر القضية إذا خشي من نفسه ميلاً مع هواه ،

(١) نفس المرجع السابق ص من ٢٤٣ إلى ٢٤٤ .

كأن توجد صلة قرابة بين القاضي وأحد أطراف الخصومة أو أن تكون الجريمة المنظورة قد وقعت عليه شخصياً أو أن يكون قد قام في الدعوى بعمل مأمور الضبط القضائي قبل تعينه قاضياً أو قام بعمل النيابة العامة . أو أن يكون قد قام بوظيفة المدافع عن أحد الخصوم ، أو أن يكون قد شهد فيها أو عمل خبيراً لها أو قام بالتحقيق فيها أو قد يكون قد حكم فيها في محكمة أول درجة . وينشأ عن وجود أسباب الرد البطلان المطلق في الحكم .

عيوب نظام المحلفين :

وخوفاً من تدخل العوامل النفسية والاجتماعية والأهواء الشخصية رؤي أن نظام المحلفين مشوب بعيوب كثيرة من ذلك أن المحلفين يعملون بمهن أخرى غير مهنة القضاء ، وعلى ذلك لا يخصصون كل وقتهم للفصل في مشاكل الناس . وقد يتغيبون عن حضور الجلسات . إن نظام المحلفين في البلاد التي نشأ فيها يرجع إلى الشك في نزاهة القاضي المتخصص ، والخوف من تحيزه بسبب تبعيته للملك . إن أسماء المحلفين في كل قضية تعلن ويعرفها الخصوم وبذلك يسهل الاتصال بهم والتأثير عليهم . من عيوب هذا النظام عدم اشتراط وجود ثقافة قانونية لدى المحلف من الصعوبة بمكان وضع معايير موضوعية لاختيارهم سنوياً كذلك يخشى أن يشكل المحلفون مراكز قوى تقوم على السطوة والنفوذ يمثل المحلفون عبئاً على الخزانة العامة وعلى العدالة ولذلك لا يؤخذ بهذا النظام في مجتمعنا .

الفصل السادس

الانحرافات والجرائم الجنسية

* انحراف حب الأثر .
* انحراف استراق الرؤية الجنسية أو الاستعراء .
* انحراف الاغتصاب والسادية .
* نظريات تفسير الانحراف الجنسي .
* تفسير النزعات السادية .
* البحوث العلمية في مجال الانحرافات الجنسية .
* البروفيل الشخصي للشخصية السيكوباتية .
* نظريات تفسير السلوك الإجرامي .
* البحوث العصبية .

الفصل السادس

الانحرافات والجرائم الجنسية

Sexual deviation and Sexual crimes

إن خير ما نستهل به هذا الفصل هو استجابات أحد مجرمي الاغتصاب بعد القبض عليه حين سأله المحقق : ماذا كان يجري في عقلك في وقت وقوع الحادث Incident؟ ماذا كنت تشعر ؟ أجاب قائلاً غضب شديد أو ثورة شديدة Intense rage . لقد كنت أعمى بالنسبة لكل ما يحيط بي غير ذلك ولم اهتم بنفسي أو أي شخص آخر .

متى عرفت أنك على وشك اغتصاب Rape شخص ما ؟ . عندما شرعت في انتزاعها أو أختطافها أو القبض عليها أو اغتصابها Grappeled وليس قبل ذلك . ولماذا كنت تحمل سلاحاً Weapon ؟ لأنني أعمل في بناء أو تشييد أو إنشاء وأحمل معدات أو أدوات العمل . إن السكين Knife كان مجرد أداة ولسوء الحظ تحولت إلى سلاح ، ولكنني لم أخطط لذلك Plan وهل كانت ضحيتك تستطيع بأي حال من الأحوال أن توقفك ؟ ربما لو أنها وضعت رصاصة **Bullet** في رأسي وليس عن طريق آخر .

هناك كثير من التنوعات الجنسية **Sexual variations**. معظمها غير عادية وبعضها شاذ **Bizarre**. وهناك من ينظر إلى الجنسية المثلية **Homosexuality** والتشبه بالجنس الآخر **Transvestism** على أنها غير خلقية والانحراف الأخير يعني استدرار اللذة **Gratification** من لبس ملابس الجنس الآخر والسلوك المشابه لسلوك الجنس المعاكس ، ولكن الأطباء يتخذون موقفاً محايداً تجاه هذه الانحرافات. وهناك من يزعم بأن الحياة الجنسية مسألة خاصة بصاحبها لا يتعين التدخل فيها من الخارج . ويرى أصحاب هذه الفكرة أن تنوعات جنسية مثل الجنسية المثلية أو التشبه بالجنس الآخر ليست ضارة في حد

ذاتها . وعلىٰ ذلك طالما لم يتعرض هؤلاء لغيرهم من الناس يجب أن نتركهم وشأنهم ويكفي الرفض الاجتماعي Disapproval . يكفي دون الحاجة إلىٰ فرض العقوبات القانونية Legal penalties .

ولكن مثل هذه المناشط الشاذه محرمة ومكروهة وينبغي تربية الأطفال بعيداً عنها ، ولا يمكن أن يسمح المجتمع ، باسم الحرية لبعض أفراده بممارسة الوان من الشذوذ . وعلىٰ كل حال هناك أنواع أخرىٰ من الشذوذ التي تتضمن إلحاق الأذىٰ أو الجرح بالآخرين . وهناك بعض الانحرافات التي تسبب جرح شعور الضحية وإحساسها بالخصوصية Sence of privacy عن ذلك التلصص الجنسي أو استراق الرؤية الجنسية أي استدرار اللذة الجنسية من مجرد التطلع أو النظر للناس وهم يمارسون النشاط الجنسي أي التلذذ الجنسي بالمشاهدة أو التطلع الجنسي **Vayeurism** ويطلق على هذا الشذوذ أحياناً **Scopophilia** . أو حب الاستعراض الجنسي أي استدرار اللذة الجنسية من كشف العورة أمام الناس . ولكن هناك انحرافات أخرى أكثر خطورة على حياة الضحية قد تلحق بها الأذى أو قد تسبب لها الوفاة . مثل هذه الانحرافات الجنسية تتضمن جانباً إجرامياً أو جنائياً ، ولذلك لا يصلح استخدام اصطلاح التنوع الجنسي ، وإنما الأصوب استخدام اصطلاح الشذوذ أو الانحراف الجنسي وبطبيعة الحال تختلف هذه الانحرافات في درجة خطورتها . ويشير التقسيم الحديث للانحرافات الجنسية باصطلاح **Paraphilias** . ولكن هذا التقسيم لا يعرف بين الانحرافات الجنسية عديمة الأذىٰ من ذلك التشبه بالجنس الآخر والانحرافات الجنسية المؤذية للغير مثل السادية . **Sadism** . ومن الملاحظ أن الآراء تختلف حول المسائل الجنسية من ثقافة إلىٰ أخرىٰ ، ومن مجتمع إلىٰ آخر . فهناك بعض صور الإعلانات التي تتضمن أعمالاً جنسية ، والتي تعد مقبولة في نطاق بعض المجتمعات ، ولكنها تعتبر جارحة في بعضها الآخر . من هذه الانحرافات الجنسية ما يلي :

١ ـ انحراف حب الأثر Fetishism :

في هذا الانحراف يحل أثر من آثار الجنس الآخر محل أفراد الجنس

الآخر في الإثارة الجنسية ، من ذلك حذاء المرأة أو ملابسها الداخلية أو جزء من فراء معطفها . وقد يعجز الرجل عن ممارسة الجنس ما لم يرتدي كرسيها Corset. وقد يغرم الرجل بالدنتله Lace، فيسرق الملابس التي تحتويها وخاصة سراويل النساء ، يسرقها من محلات بيع الملابس النسائية أو من فوق غسيل النساء . وقد يغرم الرجل بشعر المرأة فيشرع في قص شعور النساء . مثل هذا الانحراف ليس خطراً ولكنه يسبب كثيراً من المضايقة .

انحراف استراق الرؤية الجنسية والاستعراء Voyeurism and Exhibitionism :

هذه الانحرافات ليست خطيرة ، ولكنها مزعجة ، فالمتلصص يصبح مثاراً عندما يشاهد الناس الآخرين ينخرطون أو ينغمسون في النشاط الجنسي ، وخاصة إذا استطاع أن يتجسس أو يسترق السمع To peep or spy . أما محب الاستعراء فإنه يجد متعة في الكشف عن عورته أي أعضائه التناسلية His genitals وترى المرضى من هذا النوع في أثناء قيامهم بأي عمل ، حيث يجلسون جلسة غير ملائمة أو في أثناء سيرهم في الأنفاق المخصصة للمشاة ، أو سيرهم في المنتزهات وفي الحدائق العامة . وتتوقف الصدمة الناتجة عن هذه الانحرافات على العادات والتقاليد الاجتماعية . فقد لا تؤثر في بعض الثقافات أو في الأزمنة الغابرة فإن عادات الناس ومعاييرهم تتغير ، فهناك مجتمعات ينام فيها كل أفراد الأسرة في غرفة واحدة بل وربما في مخدع واحد ويخضع الخدم لنفس الظروف .

ويلاحظ أن معظم الانحرافات الجنسية تصدر عن الرجال . وهناك بعض المجتمعات التي يتبول فيها الناس علانية في الشوارع . وهناك بعض الأعمال الزراعية المرتبطة بالمياه والتي يعمل بها الفلاحون وهم شبه عراة وهناك مجتمعات عارية فالأمور الخصوصية في زمن من الأزمان ليس من الضروري أن تكون كذلك في زمن آخر ولذلك قد يندر أن يهتم الناس هناك بهذه الانحرافات . ومن العادات السيئة تبول الناس على ضفاف الأنهار في وضح النهار . وما يعتبره مجتمع من المجتمعات فضيلة قد يعتبره مجتمع آخر رذيلة فما يحدده المجتمع على أنه مخالفة يخضع للتحديد التعسفي نتيجة

لتنشأة الأفراد . وما زال يزعجنا أن نرى الناس الغرباء يتلصصون علينا أو يسترقون السمع من نوافذنا وقد يزعجنا أن يكشف شخص ما أمامنا عن عورته **Nudity**. **وهناك انحراف الولع بالأطفال أو الهيام بالأطفال ومعناها الرغبة الشاذة في إقامة علاقات جنسية مع الأطفال Pedophilia في هذا الجنوح أو ذلك** الانحراف لسنا أمام مجرد خصوصية ، لأننا أمام ضحية هي الأطفال .

وفي هذا الانحراف يثار الرجل جنسياً إذا ما اتصل أو احتك بالأطفال أو بصغار المراهقين . وقد يثار هؤلاء الشواذ من مجرد النظر إلى صور عارية للصغار والبعض الآخر يكتفي بمجرد ملاحظة الطفل أو تدليله أو التربيت عليه **Fondle** ولا ينغمس في نشاط جنسي أوسع وقد يستعين الشاذ من هؤلاء بالطفل في عملية الاستمناء سواء لهم أم للطفل وقد تصل الجريمة إلى حد ممارسة الجنس مع الصغير وتكمن الجريمة في أن الأطفال الصغار لا يمتلكون حق الموافقة على ممارسة الجنس مع الكبار .

من ضروب الشذوذ الجنسي ممارسة الجنس مع المحارم Incest كالأم أو العمة أو الخالة أو الأخت ، وذلك بخرق المحرمات الدينية ، فالشذوذ هنا معناه الاتصال الجنسي بالأقارب ، ويكاد يكون التحريم هنا عاماً وعالمياً بمعظم المجتمعات تحرم الزواج بين طبقات من الأقارب . ونظراً لأن هذه الممارسة المحرمة مجلبة للعار فإن الإحصاءات فيها قليلة . وفي المجتمعات الغربية لا تحدث هذه الممارسات إلا في الأسر المضطربة وبين الشخصيات المضطربة أيضاً ، وبين أناس يشعرون بفقدان الثقة في أنفسهم ، وقد يكون الأب من بين مدمني الخمور . وتعاني مثل هذه الأسر من الصراع ، وهم أناس يفتقدون العطف ، ولكنهم يبحثون عنه في مكان خاطيء وتصبح الضحية مضطربة مختلطة تشعر بالخوف وبالذنب. وتؤدي مثل هذه الجريمة إلى عواقب وخيمة بالضحية. وقد يلجأ الضحية للانتحار أو يصاب بالعصاب النفسي وقد تعجز الفتاة بعد ذلك عن تحقيق التكيف الجنسي وقد تفشل في إقامة علاقات زوجية سوية عندما تكبر . وقد تتضمن العملية مع الأطفال الصغار إلى جانب الصدمة النفسية ، حدوث إصابات فيزيقية وقد يتعرض الطفل للإصابة بالعدوى .

الأذى في هذين الانحرافين واضح . فالاغتصاب يترك آثاراً مدمرة على شخصية تاضحية فهناك بعض الحالات التي تظل تعاني لمدد طويلة بعد الهجوم عليها والبعض الآخر قد تضطرب شخصيته طوال حياته. وتقع غالبية جرائم الاغتصاب على النساء ، وإن كان هناك نسبة قليلة تقع على الرجال والاغتصاب يعني ممارسة الجنس أو الجماع دون موافقة الطرف الآخر وتنتشر جرائم الاغتصاب في مجتمع كالمجتمع الأمريكي حيث تدل الإحصاءات الصادرة عام ١٩٧٧ عن اعتقال أربعة وعشرون ألفاً بهذه التهمة .

ويذهب الخبراء في هذا الشأن إلى القول بأن العدد الحقيقي أكبر من هذا بكثير . فهناك واحد في كل عشرة حالات يتم تسجيله . ذلك لأن الشعور بالعار والخوف والذنب المرتبط بهذا الهجوم تجعل الضحية يكف عن الإبلاغ .

كذلك فإن الاغتصاب من الجرائم التي يصعب إثبات الاتهام فيها في المحكمة . فلكي تثبت المرأة أنها اغتصبت بقوة عليها أن توضح أنها قاومت وذلك حتى يقوم برهان على الإدانة **Convincing proof** مقنعاً ، فإذا لم تستطع المرأة إظهار العدد الضروري من الرضوض والكدمات والتمزقات ، فإن الإدعاء قد ينقلب عليها **Bruises and Lacerations** كذلك قد ينقلب الادعاء عليها إذا استطاع محامي المتهم أن يشكك في أخلاقها **Impeach** بسؤالها عن حياتها الجنسية ، وأن يوضح للمحلفين أنها « خبيرة » في هذا المضمار . لقد تغير الوضع القانوني والقضائي نسبياً بحيث لم يعد المجني عليه أو الضحية هو موضع المحاكمة ، ولكن إثبات الإدانة في قضايا الاغتصاب قليلة نسبياً حيث يتم سؤال الضحية . **Victim** والمعتدي عليها **Assailant**. وفي دراسة تتبعية أجريت عام ١٩٧٨ في أمريكا حيث تتبع الباحث جميع الضحايا اللائي أحلن إلى غرفة الطوارىء بمستشفىٰ المدينة في عام ١٩٧٤ ووجد أن هناك ١٠٩ مريضات في ٦٨ حالة من هذه الحالات كان هناك شك ولكن ٢٤ فقط ذهبت إلى المحكمة ولم يحكم بالإدانة إلاَّ في أربع حالات فقط . **Convictions** أما في الحالات الأخرىٰ فتمت المساومة بين

المجني عليه والضحية وحكم عليهم بأحكام أخف من أحكام الاغتصاب .

ويرجع جزء من هذه المشكلة إلى اتجاه المجتمع الحالي نحو الاغتصاب وما هو؟ وما أغراضه؟ تبدو الصورة أنها جنسية ، ولكن في الحقيقة ، كما يقرر كثير من الباحثين ، هو عمل من أعمال العدوان **Aggressive act** حيث يستخدم المعتدي الجنس كوسيلة للسيطرة والتحكم والحط من قدر الضحية **Demeaning** والإ اعتدى بالضرب مباشرةً على الضحية . ولا توجد عاطفة أو حب في هذا العمل بل وربما لا توجد أي لذة أو سعادة ولا أي متعة جنسية حقيقية . فهناك دراسة أجريت في المجتمع الأمريكي عام ١٩٧٧ حيث تمت دراسة ١٧٠ مداناً بجريمة الاغتصاب ، ولم يكن هناك سوى ٧٥ ٪ من هؤلاء ربما خبروا نوعاً أو آخر من الاختلاط الوظيفي أو من الخلط الوظيفي **Dysfunction**. وذلك خلال هجومهم أو اعتدائهم . بعضهم قرر أنه كان عاجزاً جنسياً . **Impotente** ولذلك مارسوا الجنس بالقوة مع الضحية من خلال الفم **Oral** وبعضهم كان مريضاً بالعجز عن القذف **Jaculate** هذا العجز أو الضعف وجد لدى ١٥ ٪ من أفراد عينة هذا البحث. وينتشر الاضطراب الجنسي لدى مرتكبي جرائم الاغتصاب ، فمنهم المصاب بالقذف المبكر ، وبعضهم لا يشعر بالإشباع إطلاقاً . وفي الغالب ما يصفوا أنفسهم بخيبة الأمل والاكتئاب والتقزز . كما يشعرون بالإحباط ويشعرون بالاضطراب والخلط وبالندم فبعضهم يقرر أنه لم يكن يعرف ماذا يريد قبل ارتكاب الجريمة .

وتدل معظم الدراسات على أن الاغتصاب عمل من أعمال العدوان أكثر من كونه عملاً جنسياً . فمنظر العنف يثير هؤلاء المنحرفين أكثر من الفعل الجنسي . وهناك بعض الساديين الذين يحدثون جروحاً بالغة في ضحاياهم . وقد يتضمن ذلك «العض والضرب بالسوط أو بالحزام وحرق الضحية بالسجائر وشدها من شعرها لممارسة الفعل الجنسي الشاذ معها أي الفعل الشرجي **Anal**. ولقد أجريت تجارب على عينات من للأسوياء وعينات من أرباب الشذوذ الجنسي والجرائم الجنسية ، وذلك عن طريق سماعهم تسجيلات تصف العنف والاغتصاب وفي نفس الوقت تصف العلاقات السوية ، وتم

التعرف على استجابات كل طائفة وقد يبلغ العنف أقصاه حين يقتل المجرم الضحية . وتوجد هذه النزعة لدى المغتصبين الساديين **Sadistic rapists**. حيث يشعر بالمتعة فقط من إنزال الأذى والمعاناة على الضحية وهناك بعض من أصحاب انحراف الهيام بالأطفال ممن تنطبق عليهم هذه الصفات حيث يعتدي المنحرف على الطفل ثم يسحله **Tortures**. ثم يقتله في النهاية بعد الاعتداء الجنسي عليه .

هذه بعض الأعراض والأفعال التي يقوم بها المصابون بالانحرافات الجنسية ، ولكن الذي يهم عالم النفس الجنائي هو تفسير هذه الظواهر الانحرافية أي معرفة عللها وأسبابها .

نظريات تفسير الانحراف الجنسي :

كيف يصبح الناس منحرفين جنسياً ؟ وحيث أن هذه الانحرافات متنوعة ومعقدة فإن نظريات تفسيرها معقدة أيضاً ، ولذلك نستعرض اتجاهاً تفسيرياً واضحاً يعتمد على النظريات السلوكية في علم النفس ومؤدى هذا التفسير أن الانحرافات الجنسية تحدث نتيجة عملية تشريط بسيط **Simple conditioning**. أي عن طريق التعلم الشرطي أي تكوين وتعلم الاستجابات الشرطية وهي التي تحدث من جراء وجود مثيرات صناعية أو شرطية ليس لها في الأصل علاقة بحدوث الإستجابة ، كأن يستجيب الكلب بإسالة لعابه لا عند رؤية أو شم الطعام ، ولكن عند قرع ناقوس معين . ومعناه ارتباط نشاط معين بالإثارة الجنسية **Sexual arausal** فقد تحدث الإصابة نتيجة لارتباط خبرات غير مؤاتية للمريض في مرحلة الطفولة الباكرة . ولقد تمت دراسة بعض حالات المصابين بانحراف الماشوسية . **Masochism**. ومعناها شعور المريض باللذة الجنسية من جراء وقوع الأذى عليه هو نفسه ، ومن الإهانة ومن التحقير ، فقد يشاهد الطفل الصغير شخصاً يعتدي بالضرب على ضحية ثم يستمني ، وعلى ذلك يتضح أن انحراف الماشوسية انحراف مؤذي ، ولكنه يلحق الضرر بالمريض نفسه وليس بشخص آخر فلا يشعر بالمتعة الجنسية إلا إذا ناله الضرب أو السحل أو التقيد بالسلاسل أو الضرب بالسوط وقد يكتفي المريض بالضرب لتحدث له الإثارة الجنسية دون الجماع وقد يصل الضرب إلى حد

إحداث كسور في العظام ، فالمجرم والضحية واحد في هذا الانحراف . ولكن يبدو أن التفسير الشرطي يبسط المسألة أكثر من اللازم فتبعاً لوجه النظر التحليلية فإن الماشوسية لابد وأن تتضمن عدداً كبيراً من النزعات المنحرفة أو تتضمن تجميعاً أو تراكماً من انحرافات فردية تم تحديدها بصورة حتمية في ماض المريض . فقد تتضمن شيء من التلصص أو استراق السمع والرؤية على المناشط الجنسية حيث تحدث الإثارة الجنسية من التلصص أو استراق الرؤية وقد يكون لديه بعض الميول الجنسية تجاه المحارم وقد يكون فيه شيء من السادية أو شيء من الجنسية المثلية كذلك قد توجد فيه بعض الرواسب من الحب الأوديبي **Oedipal love** وقد يكون محباً لتعذيب نفسه ، وعلىٰ ذلك نلمس أن التفسير التحليلي للانحرافات الجنسية يتضمن مجموعة متعددة من الدوافع . والحقيقة أن فرويد كان يعتقد أن الإنسان يولد ولديه كثير من التفضيلات الاستعدادية كالجنسية المثلية أو السوية أو حب الاستعراء أو السادية أو حب التلصص . وخبرات الطفولة الباكرة هي التي تحدد أياً من هذه النزعات تبقىٰ له الغلبة والسيادة ، ولكن غالبية البشر ينتهون إلىٰ تفضيل النموذج السوي . ولكن من الممكن أن يحدث نوع من الجمود **Fixation** ويبقىٰ الإنسان عند مرحلة من المراحل . ويذهب بعض أنصار الفرويدية الجديدة إلى أن الإنسان قد يلجأ إلىٰ الانحراف الجنسي بسبب بعض العوامل الفسيولوجية النشأة **Phylogenetic** الوراثية بمعنى إرجاع الوراثية بمعنى إرجاع الشذوذ إلى عوامل وراثية أو موروثة **Inheritence** وإذا حدث أن ظروفهم البيئية شجعت وأيدت ودعمت وعززت هذه الانحرافات ظهرت عليهم في حيز السلوك .

تفسير النزعات السادية :

يمثل تفسير النزعات السادية **Sadistic tendencies** صعوبة كبيرة بالنسبة لكل من أنصار المدرسة التحليلية والمنظرين في المدرسة السلوكية .

كيف يعتدي الإنسان على حقوق الآخرين ؟ وكيف يتأتى لشخص ما أن يتمتع من هدر إنسان آخر ؟ أو عن طريق جلد امرأة أخرىٰ ؟ وكيف يصبح القتل عملاً ساراً أو مثيراً ؟ لقد أثارت هذه التساؤلات مشاكل كثيرة بين الناس

المتحضرين منذ آلاف السنين . ولقد جاءت الكتب السماوية لتصف الخطيئة الأولى التي ارتكبها الإنسان Origin All sin ويشك في أن العلم الحديث قد وصل إلى شيء حاسم في هذه القضايا . لقد بحث العلماء كثيراً في مسألة العدوان الإنساني ، ولكنهم لم يتوصلوا إلى معرفة كيف يكون العدوان مثيراً جنسياً ، وعلى سبيل المثال لقد استغرق سيجوند فرويد وقتاً طويلاً في البحث عن تفسير للسلوك العدواني ، ولكنه لم يصل إلى شيء سوى ادعاء ارجاعه إلى غريزة الموت Death instinct. وذلك منذ عام ١٩٣٠ ، ولكنه لم يرض كل الرضا عن نظريته هذه . ولقد حاول اتباعه أن يضيفوا شيئاً إلى تفسيره ، فقال بعضهم بوجود عنصر للسيطرة أو للتعويض في جرائم الاغتصاب . Mastery or compensation in rape. . وفي السادية الشخص الذي تنمو عنده هذه الانحرافات يكون في الحقيقة قلقاً جداً حول قدرته الجنسية وعلى ذلك فإن الاغتصاب أو السادية تخفي عجز الإنسان وعلى حد قول بعضهم : إذا كان الإنسان قادراً على أن يعمل في الآخرين ما يخاف من أن يعمل فيه ، فإنه لا يشعر بالخوف ، وعلى ذلك فإن أي شيء يزيد من قوته أو من مكانته يستعمله لتأمين نفسه ضد القلق ، فما يمكن أن يحدث للمريض سلبياً يحدثه هو نفسه إيجابياً في الهجوم على الآخرين . فالفكرة كما يقول أحد المرضى : قبل أن أشعر بالمتعة الجنسية يجب أن أقنع نفسي بأنني إنسان قوي . وينطبق هذا التفسير الفرويدي أو البعد الفرويدي على الانحرافات الأخرى مثل التلصص والاستعراء والهيام بالأطفال هو ذات التفسير أي الخوف من أن يفعل به فالمتلصص يستبدل إشباع حاجته بالتلصص على الناس ومحب الاستعراء شخص غير آمن أي يفتقر إلى الأمان ، والذي يبحث عن تأكيدات بأنه يمتلك عضواً تناسلياً . أما محب الهيام بالأطفال فإنه يوجه انتباهه نحو الأطفال لأنهم أكثر ضعفاً ولأنهم غير ناضجين جنسياً لأنه يخشى أن يفشل في العلاقات الجنسية مع الكبار .

البحوث العلمية في مجال الانحرافات الجنسية :

المتأمل في هذه البحوث يجد أنها ليست ضخمة ولا كثيرة . ويرجع ذلك إلى صعوبة إيجاد أفراد عينات البحث . ومعظم الأبحاث تسير في

الاتجاه التحليلي . ومعظم حالات المجرمين جنسياً Sex offenders ظهرت كما لو كانت بليدة وغير متلائمة وغير آمنة وحزينة ومثيرة للشفقة ، وكما لو كان المتهم وحشاً Brutalized ولكن البحوث الحديثة لا تؤيد هذا الاتجاه .

أما فيما يتعلق بمجال البحث في موضوع الولع بالأطفال Pedophilia فهناك عدد من الدراسات التي أجريت على هؤلاء المنحرفين . والصورة التي أظهرتها مثل هذه البحوث هي أن عاشق الأطفال ، مثله ، مثل الشخص العصابي أي المريض بالمرض النفسي ومدمن الخمر Drug Addict ، والمصاب بأحد الأمراض السيكوسوماتية أي تلك الأمراض التي تنشأ من اضطرابات نفسية وتتخذ أعراضها شكلاً جسمياً ، بالمثل عشاق الأطفال يحاولون أن يدافعوا عن أنفسهم ، وأن يتخلصوا من بعض الصراعات Conflicts . وأن يتكيفوا مع بعض الحاجات Needs . ولسوء الحظ إن الواحد منهم يختار نموذجاً هداماً بصفة خاصة للتعبير . نموذج يؤدي إلى إيذاء أو إيلام ضحيته كما وقع الإيذاء عليه هو نفسه في يوم ما .

لقد تبين أن المولع بالأطفال سبق وأن عاش حياة تعسة بحيث جعلته يخجل من العلاقات الجنسية مع أناس في نفس سنه . ولذا فهو يقترب من الأطفال اعتقاداً منه أنهم أكثر أمناً وسلاماً وأكثر عاطفة وأكثر طاعة ويسهل إدارتهم . ولذا فإنه يستشعر بنوع من السيادة والسيطرة فوق شخص صغير وضعيف وهو ما يعجز عن تحقيقه مع الراشد الكبير .

ويمكن تصنيف عشاق الأطفال في فئتين : الأول المنحرف المنكوص أي الذي يعاني من النكوص أي الارتداد إلى مرحلة سابقة من مراحل النمو Regressed . والنكوص حيلة من حيل الذات الوسطى الدفاعية أي إنه عملية عقلية تحدث على مستوى اللاشعور .

أما النوع الثاني فهو العاشق المتجمد Fixated . والجمود يعني الوقوف عند مرحلة معينة من مراحل النمو لا يتعداها الفرد كالمرحلة الفمية أو المرحلة الشرجية أو الأوديبية بالنسبة للمنحرف النكوصي أو المنكوص ينشأ في جو عائلي عاصف ، ليس فيه إلاّ قليل من الحب والعطف . ويتصف بالنزاع . والثورة والتهيج Upheaval . ويبدو أنه يكون ميالاً للكبار Strife ولكنه يتحول للميل

للصغار عندما يتعرض لأزمة Crisis ولذلك فإن جنوحه قهري وعبارة عن عمل يائس نتيجة للفشل في التعامل مع ضغوط الحياة Life stresses ففي حالة شاب أمريكي متهم بالاعتداء على طفل وكان هذا المتهم يبلغ من العمر عشرين عاماً وهو أعزب وأدين بالاعتداء على الطفل في الرابعة عشر من عمره . وكان اسمه « جيري » وكان الولد الثاني لأسرة مكونة من ثمانية أولاد . ستة من الذكور غيره وأخت واحدة . وكان والده يشتغل بإصلاح الأدوات الصغيرة وكانت أمه تعمل من وقت لآخر في أعمال النظافة ، في بيت للتمريض ، وكان مستوى الأسرة الاقتصادي والاجتماعي منخفضاً . وكانت أمه تصاب بانهيارات عقلية . استدعت إيداعها في المستشفى عدة مرات خلال سنوات نموه . ولم يشعر « جيري » في حياته بأنه قريب من أي من أعضاء أسرته ، وكانت العلاقات الوالدية تتسم بالاحتكاك والخلاف والصدام Friction . وبالخصام والعناد والمعاداة Antagonism .

ولقد سبق أن هرب من منزله وهو في سن المراهقة . واصطدم بالقانون ولقد تم ضبطه بتهمة السرقة وتم إيداعه في بيت لإيواء الأحداث الجانحين Juvenile home لمدة عام . وفي أثناء إقامته في هذه الدار اغتصبه ولد آخر . وبعد الإفراج عنه من مركز الاحتجاز أو السجن Detention center . التحق بالجيش وخدم لمدة أربع سنوات . ثم عاد إلى بيته ليعيش مع أسرته مرة أخرى . واشتغل في عدد من الوظائف غير الماهرة . ثم وجد صعوبات في المعيشة في المنزل فتركه ليعيش مع ابنة عمه كزوج وزوجة ، وكانت هذه المرأة متزوجة ومطلقة ولديها طفلة في سن ست سنوات . ولقد وضعت هذه العلاقة مطالب كثيرة على جيري ولم يستطع تحملها ولم يكن مستعداً لتحملها وكانت محاولاته تبوء بالفشل كلما رغب في ترك المنزل ، وذلك تحت تهديد ابنة عمه بأنها سوف تنتحر إذا ما غادر المنزل ، وتركها وكانت له بها علاقات جنسية منتظمة وأصبحت حاملاً . Pregnant . وهنا واجه صعوبات مالية حادة زادت من حجم الضغوط الواقعة عليه من والديه مع استمرار الضغوط من ابنة عمه . مما قاده إلى الشرب المكثف والغزير . وفي ذات يوم استدعت الفتاة الصغيرة . فتاتين أخرتين صغيرتين صديقتيها إلى المنزل وكان جيري يستحم في المنزل ، وفجأة شعر بدافع جنسي لكشف نفسه إلى البنات الثلاث

(٧, ٦، ٥ سنوات). وخلع عنهن ملابسهن ووضعهن في السرير وأخذ يلاطفهن ويدللهن ويربت عليهن. وجعلهن يعبثن في عضوه التناسلي حتى استجاب. وقبل وقوع الجريمة شرب كأسين من الخمر، ولكنه لم يفقد وعيه وشعر بعدها بالحزن وفقدان الأمل وبأنه انجرف وشعر بالبؤس لقد كان وحيداً، وليس له سوابق من هذا النوع أو أي نشاط جنسي شاذ.

أما «المولع بالطفل الجامد» فإنه ميال إلىٰ الأطفال منذ الصغر. ولم يظهر أي اهتمام بالناس الذين هم في نفس سنه. ولابد أنه عانىٰ من الاضطراب في حياته الأولىٰ وخاصة في الجوانب الجنسية ويبدو في مرحلة الرشد كشخص هامشي وغير متوافق تشغله مطالب الحياة العادية. ويبدو أن لجوءه إلىٰ الأطفال في حل مشاكله في التكيف وبسبب صراعاته ومشاكله في النمو النفسي.

ويبدو من استعراض تاريخ هؤلاء المجرمين. أنهم أنفسهم قد خضعوا للإساءة الجنسية وهم صغار أو في المراهقة المبكرة. ومعنى ذلك أنه لا يفعل ما يخشىٰ أن يفعله فيه الغير بل إنه يفعل ما تم فعله فيه فعلاً. وكشفت دراسة بعض الحالات لمرتكب جرائم الاغتصاب أن لهم خبرات جنسية غير مؤاتية ومن بينهم أحد المرضى الذي أرغم لعمل عملية جراحية لأن ثدييه أخذت في النمو. وفي الغالب ما ينحدر المغتصب من منزل يسود فيه الصراع والضغوط. وخضعوا لمعاملة وحشية قاسية. أو كانوا منبوذين وقد يكونوا قد فقدوا آباءهم في الطفولة أو في المراهقة المبكرة.

وينقسم المغتصبون إلى عدة أنواع:

١ ـ النوع الذي يعتمد على القوة **Power rape**. حيث يرغب المغتصب في ممارسة قدرته وقوته للسيطرة والتحكم، لأنه يشعر بالخوف من عجزه الجنسي وعدم رغبة الجنس الآخر فيه، ولذلك قد يسأل الضحية عما إذا كانت تشعر بالمتعة معه كما تشعر مع زوجها، وقد يطلب منها أو يُعد للقاء آخر وقد يصحبها للغذاء. ويبدو أنه يسعىٰ لكي يؤكد لنفسه بأنه على الرغم من أنه أخذها بالقوة إلاّ أنها أعجبت بقوته ومهارته وأنها ترغب فيه مرة أخرىٰ.

٢ - النوع الثاني من جرائم الاعتصاب هو اغتصاب الغضب Anger rape وهنا يبدو أن المجرم ينقض على الضحية لكي يصرف عدوانه المتراكم نحو النساء . وخلافاً لما هو عليه الحال بالنسبة للاغتصاب بالقوة ، ذلك الاغتصاب الذي يعتمد على التخطيط المسبق . اغتصاب الغضب يكون اندفاعياً Impulsive حيث توجد بعض الأحداث التي أثارت واشعلت صراعات المجرم حول النساء . وتكون الضحية الأداة التي يفرغ عليها عدوانه التي يتصادف وجودها في وقت ثورة المجرم . ويشعر بالعدوان تجاه النساء وعدم الثقة فيهن . ولذلك قد يجذب الضحية وقد يخنقها وقد يطرحها أرضاً وقد يمزق ملابسها ويصيبها بالجروح .

أكثر الأنواع ندرة هو المغتصب السادي Sadistic rape وفيه يجتمع النمطان : القوة والعدوان . فهو مثله في ذلك مثل السادي يكره النساء ولكن كراهيته أكثر دواماً ، ولذلك فهو مثله في ذلك مثل مغتصب القوة Hate ، يختار ضحاياه ، وقد يظل يلاحظ هذه الضحايا متعمداً لمدة ما . وقد تنحصر ضحاياه في الصغار أو الشباب أو النساء الشقراوات أو أصحاب الملابس الخاصة لا يبحث عن التأكيد وإثبات الذات ، ولكن عن الإشباع الجنسي ، ولا يهتم إذا كانت الضحية تشعر بالمتعة من الهجوم أم لا بل بالعكس هو يلوم النساء عن كل الآلام التي وقعت عليه ولذلك يشعر بالسعادة من السيطرة على الضحية ومن معاناتها .

ويؤكد الخبراء الذين يدرسون الانحرافات الجنسية أننا مازلنا في حاجة إلى المزيد من الدراسة لنعرف عن هذه الطائفة الكثير. لماذا لا يلجأ الناس الذين تعرضوا لإساءة الاستعمال والأذى والذين خبروا الحرمان Deprivation في سني الطفولة لا يتحولون جميعاً إلى الهيام بالأطفال ؟

ويختار المغتصب شريكته بالقوة ولديه رغبة حقيقية في إيذاء الضحية ولذلك يخرق القانون الاجتماعي ولذلك يعتبر عمله عملاً إجراميا .

وإن كانت الحقيقة أن هناك الكثير ممن يخرقون القانون لا يرغبون في إلحاق الأذى بالضحية . من هؤلاء من يصدر شيكات بدون رصيد أو يسرقون

من المحلات أو السيارات أو النصب والاحتيال ، وبعضهم من أرباب الياقات البيضاء الذين يتخصصون في اختلاس مبالغ كبيرة من المال .

White - Collar criminals who embezzle huge sums from the banks where they work. P. 50.

أو يسلبون مودعي الأموال لديهم .

قد يرتبط الشخص العادي بالجريمة تحت ظروف شديدة من الضغط **Stress**. ففي دراسة تم فيها سؤال ١٧٦ سجيناً **Prisoners** حول التغيرات التي حدثت في حياتهم قبل ارتكاب الجريمة . ووجدت إن غالبية هذه العينة من النزلاء **Inmates** قد عانوا عدداً متزايداً من الضغوط الحادة أو من أحداث الحياة الحادة في السنوات قبل القبض عليهم وإدانتهم وتغيرات كثيرة ومتراكمة من أحداث الحياة . وعلىٰ ذلك نقول إنه لا يوجد عدد كبير من المجرمين المختلفين وحسب ولكن يوجد أيضاً عدد كبير من العوامل المسئولة عن الجريمة وكسر القانون **Law breaking** ولكن أولئك الذين اتخذوا من الجريمة أسلوباً للحياة **A way of life** هم الذين يمارسون أقصىٰ درجات الخطر علىٰ المجتمع والتهديد له **Threat** ومن ذلك الشخصية السيكوباتية أو المجرم المعتاد أو المتعمق **Hard - core - Criminals** ولاشك أن هناك فرقاً كبيراً بين الشخصية العصابية والشخصية السيكوباتية . فالعصابي قد يجلب عدم الراحة لغيره ولنفسه ، ولكنه لا يخرق حقوق أحد . **Violates** . فالعضابي في الغالب لا يسرق، لا يغش ، لا يهجم أو يعتدي على غيره من البشر . أما معتادوا الاجرام فإنهم ينغمسون في مثل هذه المخالفات ، في صغرهم يجدون صعوبات ومشاكل في المدرسة وقد يسرقون وقد يكذبون وقد يتشاجرون . وفي الكبر يحيون حياة قلقة لا يبقون طويلاً في وظيفة بعينها ولا يحافظون على أية علاقة حميمة . إنهم عديمي المسئولية مندفعون ، عدوانيون ، غير ثابتون ولا يعتمد عليهم . ولكن لهذه الانحرافات دجرات وظلال مختلفة . وأخطر أنواع الفئات المضادة للمجتمع هي الشخصية السيكوباتية أو السسيوباتية، لأنهم لا يشعرون بالذنب ، وقد يعانون من الأمراض السيكوسوماتية . ولكنها لا تكون أمراضاً مزمنة ، ويعانون منها فقط عندما يشعرون بالإحباط وقد يستخدمون الخمور أو

غيرها من العقاقير . انهم ليسوا شواذاً وإن كانوا قد يحاولون إقناع الشخص بأنهم كذلك . ومما يزيد في غموض الشخصية السيكوباتيه أن السيكوباتي قد يظهر جاذبية وقد يبدي ذكاءً وموهبة وطاقة وقد يجذبون الناس للألتفاف حولهم ، ولكن لفترة محددة ولاشك أنهم أناس مضطربون وأحياناً يبدو أنهم مختلفون أحياناً عن الجنس البشري بعيدين عن العطف والتعاطف الوجداني **Sympathy** وهم عديمو المسؤولية **Irresponsible**. وقد تبدو علامات هذا الانحراف أو سوء التكيف **Maladjustment** هذا منذ الطفولة . والسيكوباتي كطفل ولكن لا يعتمد عليه في أداء أي عمل أو في تفسير أي موقف وكثيراً ما يهرب من المدرسة وتدل دراسة بعض الأطفال على أن الواحد منهم كان يسرق السجائر **Lifting cigarettes** ويشتغل بسرقة بعض الأشياء التافهة مثل سرقة الحلوى والسجائر من المحلات . وعندما يتقدم به السن يتخصص في نوع أخطر من السرقات كسرقة السيارات Stealing cars مما يقوده إلى القبض عليه وإيداعه في السجن **Prison**. ولكنه سرعان ما يفلت ويخرج من العقاب وقد لا يصلح معه السجن أو الحجز **Confinement** وقد ينصلح حاله نسبياً لوقت قصير ، ولكنه يعود إلى نمطه الإجرامي من جديد . ففي العمل قد يتغيب مدعياً المرض . وقد يترك العمل ويبقى بعيداً عن المنزل ساعات طويلة قائلاً إنه لا يحب أن يعمل في هذا الوقت . وقد يسرق مرة أخرى فيعود إلى السجن **Jail** مرة أخرى . وقد يسجن المريض أكثر من ستين مرة . مثل هذه السمات توجد في تاريخ حياة كثير من معتادي الأجرام . وهم يؤكدون عدم العودة إلى خرق القانون إلاّ أنهم يعودون إليه ثانية ومن المؤسف أن جميع وسائل المعالجات لا تصلح معهم بما في ذلك التهديد والسجن ومخاطبة الضمير . والدموع لا تؤثر فيهم . ومن الضروري أن نوضح للقارىء أنه ليس من الضروري بأن يكون جميع المجرمين سيكوباتين ، ولكن السيكوباتي يستطيع أن يفلت من العقاب . وهو قادر على خداع غيره بأساليب قانونية . وهو إنسان بلا شك ، خطر وكثيراً ما تفشل برامج إعادة تأهيلهم **Rehabilitation** .

وهناك دراسات أجريت على الناس الذين ارتكبوا جرائم وأودينوا فيها ووضعوا في المستشفيات العقلية ، بسبب البرهنة على جنونهم **Insanity**.

وفي دراسة لعلاجهم حاول الطبيب أن يشجعهم للحديث عن طفولتهم الباكرة وعن ذكرياتهم وعن آبائهم وأمهاتهم وعن صراعاتهم وما إلى ذلك . وأدى ذلك إلى استبصارهم بسلوكهم المضاد للمجتمع . ولكن سرعان ما تبين للمعالج أن برنامجه غير مجدي فلقد عاد هؤلاء المرضى بعد خروجهم من المستشفى إلى نشاطهم الإجرامي . من ذلك الاغتصاب والسرقة والسلب والنهب وغير ذلك من أعمال العنف . لقد تظاهروا بالتجاوب والتعاون مع المعالج حتى يفرج عنهم من المستشفى بل قد تزيدهم المعالجة سوء فقد يعتقدون أن سلوكهم يرجع إلى إهمال الأم ونبذها أو إلى عقاب الأب أو إلى عدم وعيهم بالذنب . ويصف أحد السيكوباتيين نفسه بأنه عندما كان يمر بمحل مجوهرات كانت تراوده فكرة تحرير شيك من غير رصيد **Fraudulent** لشراء بعض المجوهرات. وعندما كان يمر بالبنك كانت تراوده فكرة السرقة المسلحة **Armedrobbery** وعندما كان يمر على المتحف القومي الجغرافي كانت تراوده فكرة سرقة جمجمة. وعندما يرى امرأة كانت تراوده فكرة اختطافها واغتصابها . وعندما كان يرى امرأة ترتدي كثيراً من المجوهرات كانت تراوده فكرة الحصول عليها بالمكر أو بالقوة . وقد تمر به أفكار للقتل أو الهجوم أو الخطف . ولقد أكدت معظم الدراسات في هذا الصدد أن السيكوباتي ليس مجنوناً وأنه لا يفقد وعيه عند ارتكاب الجريمة وقد يتظاهر السيكوباتي ويتصنع المرض العقلي حتى يتم إيداعه في مستشفى الأمراض العقلية . فقد يتصنع المريض حالة الجنون ويتخذ موقفاً متجمداً ويحملق ببلاهة في الفضاء متظاهراً أنه لا يفهم أي شيء مما يقال له حتى يتم إيداعه في المستشفى للاحظة للتخلص من العقوبة أو لقضاء معظمها في المستشفى . وعندما سأله المعالج من أنت قال أنا « المسيح عيسى »: وعندما هموا بإعطائه حقنة تهيج **Agitated** مصراً على أن هناك شخصاً ما يحاول قتله وقد يجلس ساكتاً متجمداً بلا حركة لفترات طويلة . وقد يرفض تناول الطعام وقد يجري فجأة نحو نافورة مياه كما ولو كانت فيها حياته .

البروفيل الشخصي للشخصية السيكوباتية :

تكشف كثير من الدراسات عن بعض السمات الثابتة التي تتميز بها

الشخصية السيكوباتية . من ذلك أن لديه طاقة كبيرة Energy. لا يهتم إطلاقاً بالصدق ، فهو يكذب بصورة معتادة حتى دون التفكير مقدماً في الكذب ، ويكذب بلا سبب . لا يتعاطف مع أي شخص لا يشعر بالندم ولا بالأسى وبالأسف . ويثور إذا اعتقد أن إنساناً قد اعتدىٰ عليه ، ولا يشعر بأي شعور بالواجب ، يعيش في الحاضر يستطيع التنبؤ ويتمكن من الثبات عندما يخطط لجريمة نصب وإحتيال . أفكاره عن المستقبل محدودة جداً يعيش من يومه إلى غده فقط ولذا فإنه يحتقر العمل الشاق . يريد أن يحصل على كل مظاهر النجاح دون أن يبذل أي قدر من الجهد يريد أن يحصل على فوائده وأن يحصل عليها الآن. قدرته على الصبر وعلى ضبط الذات محدودة جداً يظهر كثيراً من الغرور ، فيدعي أنه أعظم العظماء في كل الميادين ، يجب أن يكون في القمة دائماً مهما كان الأمر بسيطاً . وقد اطلق الباحثون في هذه الحالة اصطلاح التعطش للثورة Power Thirst . وقد تظهر هذه القوة في المجال الجنسي على وجه الخصوص بهدف السيطرة والتحكم والتسلط على الشخص الآخر . لا يهتم بالحصول على اللذة الجنسية . كثير من مظاهر العجز الجنسي توجد بين المجرمين . بل قد يجد السيكوباتي الجريمة جذابة . وينظرون إلى الالتزام إلى القانون على أنه نوع من الفطور بينما ينظر إلى خرق القانون على أنه نشاط سار .

ففي دراسة تم إحصاء عدد سنوات السجن التي يقضيها كل مجرم سيكوباتي في العينة وتبين أن هناك من عليه أن يقضي ١٥٠٠ سنة في السجن إذا أدين في كل الجرائم التي أسندت إليه ، كذلك بلغ عدد الجرائم التي ارتكبها أفراد العينة عدداً كبيراً جداً ومعظم هذه الجرائم لم يعاقب عليها . ففي حالة واحد منهم تم إحصاء ٦٤٠٠٠ جريمة ارتكبها مجرم واحد حتى سن الثلاثين ولم يدان إلا في ٧ مرات فقط ، وفي ثلاثة من هذه الحالات لم يدخل السجن وإنما أخذ عقوبة ضرب . وفي حالة مجرم آخر ارتكب ٢٠٠٠٠٠ جريمة خلال سنوات عمره الأربعين . وعندما طلب استخراج تقريره البوليسي الرسمي ولقد كان يذهب إلى المستشفىٰ في معظم حالات العصاب وليس إلى السجن ولم يوجد عنده سوى مرة واحدة دخلها السجن وحيث أنها مرة واحدة ، فلقد ختم تقريره بخاتم « الإجرام » .

يشبه المجرم العتيق Hard - core - criminal كالكابوس مناور غير ثابت ، غشاش ، لا يخاف لا يشعر بالإكتئاب لا يهتم بشئون أسرته . ومنهم من يتوقعون الموت في كل يوم يصبحون فيه ، وقد يخافون من الألم ولذلك يتحاشون الدخول إلى إجراء الجراحات. ليس عنده أمل ولا ثقة في المستقبل ، متشائم Pessimistic.

نظريات تفسير السلوك الإجرامي :

هناك من يدعي أن المجرم شخص مهيء بيولوجياً لارتكاب الجريمة Biologically predisposed to crime لكي يصبح مجرماً عقب وجود شيء ما في الجينات أو ناقلات الوراثة وفي الجهاز العصبي عندهم Genes and nervous system تجذبهم نحو هذا الاتجاه الإجرامي ، ولكن هناك نظريات أخرى كثيرة منها النظريات الاجتماعية والنفسية والنظريات البيولوجية .

فيما يتعلق بالنظريات الاجتماعية Sociological theories فهي أشهر نظريات تفسير الجريمة ومن بينها ما ترجع الجريمة إلى الفشل في عملية التنشئة الاجتماعية Sociolization ولكن كيف يحدث مثل هذا الفشل ؟ ربما يرجع ذلك إلى الظروف المعكوسة التي يعيشها المجتمع الحدث من ذلك تقدير المال والانتصار المالي والنجاح المالي والانجاز ، ولكن لا يوفر لكل أعضائه فرص هذا الانجاز، وذلك النجاح بصورة متساوية لتحقيق هذه الأهداف وعلى ذلك يرجع الإجرام إلى ظروف المجرم الأسرية والاقتصادية التي تتصف بالفقر والبيوت المحطمة وانفلات الزمام.

في مثل هذه البيئات يصبح الناس متوحشين وغاضبون ومحبطون بما أنهم يرون غيرهم في نعيم محرومون هم منه وينمو عندهم شعور بعدم المبالاة بحقوق الآخرين . في إطار هذا قد يأخذون بالقوة ما يعجزون عن أخذه بالصورة المشروعة . Legitimately وهناك من يرى أن المجرم ينتمي إلى جماعة ، ومن ثم تطبعه بطابعها وهو الطابع المعادي للمجتمع ، قد تكون عصابة أو مجموعة من الصغار الذين لا يشاركون المجتمع في قيمه . ولذلك ينخرطون في الجرائم ضد المجتمع . وهناك آخرون لا يلومون ظروف المجرم العامة ولا زملائه، وإنما يقولون بأنها مكانة الفرد في وسط جماعته هي

المسئولة حيث يبدو عليهم التسيب ، وهم أقل قدرة في المدرسة ، لهم سمعة سيئة في وسط جيرانهم ، ولذلك يجأ الحدث الحانح إلى العصابة **Gang** للتعويض أو كتبديل .

النظريات النفسية :

فرويد على سبيل المثال أرجع الجريمة إلى الشعور بالذنب، لا بعد الجريمة ، ولكن قبلها أي ليس على نتائج الجريمة ، ولكن على دوافعها وتأتي الجريمة كشيء يلصق به الإنسان الشعور بالذنب . كشيء حقيقي ومباشر .

بعض الباحثين يرى أن لدى المجرم رغبة قوية لا تقاوم لارتكاب الجريمة **Irresistible desire** وما أن يرتكب الجريمة حتى يشعر بالذنب ، فيدفعه ذلك للبحث عن عقاب ، فيرتكب جريمة أخرى لينال عليها العقاب ، ويسمحوا للسلطة بضبطهم . وبعض الاتجاهات التحليلية ترجع الجريمة إلى رغبة لاشعورية لدى الآباء في ارتكاب الجريمة التي لا يستطيعون ارتكابها ومن ثم يدفعون أبنائهم لارتكابها بدلاً منهم . وهناك بعض التحليليين الذين لا يركنون كثيراً على فكرة الذنب اللاشعورية ، وإنما يرجعون الجريمة إلى الحرمان العاطفي **emotional deprivation** خلال الطفولة . لأن المجرمين لا يهتمون بأحد ، غير ثابتين ، لايعتمد عليهم ، ساديين لم يحبوا أنفسهم إطلاقاً . وربما كانوا منبوذين من آبائهم . وقد يكونون قد خضعوا لمعاملة متذبذبة غير ثابتة بحيث أنهم لا يشعرون نحو الآخرين إلاَّ بالعداوة والانتقام . وحيث أنهم حرموا من الحب والعطف فإنهم لا يستطيعون أن يعطوا الحب أو العطف لأي إنسان .

أما السلوكيون فيقدمون تصوراً عن نشأة الجريمة مؤداه أن الجريمة نشأت من جراء عملية تعلم خاطئة **Faulty learning** فالطفل الذي ينشأ على الإجرام والضعف كان محاطاً بنماذج سيئة **Bad Models** . وعلى الأخص الآباء إذا كانوا غير مسئولين هم أنفسهم والذين يتصفون بسوء المعاملة، وكذلك أقران السوء العدوانيين **Peers** قد ترجع الجريمة إلى عوامل أخرى كأفلام

الرعب في السينما ،وكالميل الاجتماعي الشديد لاقتناء السلاح في أمريكا .

النظريات البيولوجية :

نظراً لقصور النظريات النفسية والاجتماعية عن تفسير ظاهرة الإجرام ، فإن هناك بعض العلماء الذين يردون الإجرام إلى عوامل بيولوجية ، وقالوا إن السيكوباتي ربما يكون قد ورث جينات رديئة **Bad genes** وربما يرجع ذلك إلى تدمير في خلايا الدماغ **Brain domage** أي عجز عصبي **A Neurological impairment** تجعلهم أقل استجابة للقيود الاجتماعية أو الضوابط الاجتماعية عن زملائهم ممن يطيعون القانون . ربما يكون جهازهم العصبي منظم بطريقة مختلفة وذلك يسهل غضبهم أو مللهم وهم أقل شعوراً بالقلق . وعلى الرغم من انتشار مثل هذه النظريات في الآونة الأخيرة إلاّ أنها نظريات قديمة جداً . يرد ذلك إلى القرن ١٩ حيث اقتنع الطبيب الإيطالي سيزار لومبروزو **Italian physician Cesare Lombroso** أن الإجرامية **Criminality** ترجع إلى تلوث أو عفن أو سموم أو فساد أو تلطخ أو وصمة أو جرثومة وراثية **Hereditary taint** (لومبروزو ١٨٣٥ ـ ١٩٠٩ م) وهو مؤسس علم الجريمة أو علم الإجرام . فلقد كان يعتقد أن معتادي الإجرام لهم صفات خاصة في نمط الجمجمة **Skull**. ولم ينجح اتجاه لامبروزو في تفسير الإجرام ، ولم يؤيد في الاعتقاد بوجود رابطة سببية بين الإجرام ونمط الجسم للمجرم ، ولكن هناك عدداً من الباحثين الذين يعتقدون بوجود عوامل بيولوجية **Causal link** وبنائية أو تكوينية في الجريمة **Constitutional factors** ولقد أجرى العديد من البحوث بغية التعرف عما إذا كان هناك عامل وراثي **Genetic factor** في الإجرام من عدمه وخاصة تلك الدراسات التي تناولت زملة أعراض ما يعرف باسم XYY المعروف أن الإنسان العادي يمتلك ٤٦ كروموزوم . هذه التكوينات تنقل كثيراً من السمات أو الصفات الإنسانية. المرأة العادية لديها عدد٢ كروموزوم جنسي كلاهما من النوع X أي (XX) وعلى العكس من ذلك فإن الرجل الذكر لديه عدد ٢ كروموزوم مكونان من (XوY) أي (YX). في نسبة قليلة جداً من الرجال الذكور قد يحدث بعض الحوادث في أثناء فترة الحمل **Conception**. بحيث أنهم يمتلكون بطريقة أو بأخرى واحدة إضافية من (Y)

وصفت بأنها جريمة إضافية زائدة من الذكورة Maleness . وهناك بعض الدراسات التي أسفرت عن أن الرجال أصحاب الـ(YYX) كروموزوم يزيد عددهم بين المجرمين . وهناك دراسات تؤكد أنهم أكثر عنفاً وعدواناً Violent and aggressive ولكن النقاد يقولون إن هذه الفكرة يجب أن تؤخذ بكثير من الحذر . حتى الباحثين الذين يعتقدون في وجود عامل وراثي يقولون إن جميع الرجال من هذا الصنف لا يتورطون كلهم في الجرائم . بعضهم يطيع القانون ويحيا حياة محترمة . وحتى إذا ارتبط هذا النمط بالسيكوباتية فإنه لا يفسر إلاّ نسبة قليلة من مجموع الناس المضادين للمجتمع في العالم . فإن غالبية السيكوباتيين في الذكور ليسوا من هذا الصنف . وبطبيعة الحال لا يوجد نساء من أرباب (YYX) على الإطلاق . وهناك آراء ترجع الإجرام إلى الجينيات أكثر من إرجاعه إلى الكروموزوم والمعروف أن الجينيات أصغر وأكثر عدداً من الكروموزوم . هناك آلاف منها في كل خلية بشرية ولم يستطع أحد حتى وقت قريب أن يدعي أنه رأى « جينة » ، حتى تحت المجهر الالكتروني الحديث . وحديثاً تمكن العلماء من عزل بعض الجينات والتعرف عليها ولكن مع ذلك ما زال العلماء يستنتجون وجودها . هل من الممكن أن تكون مثل هذه الخلايا الصغيرة مسؤولة عن السيكوباتية ؟ المعطيات توحي بذلك ولكنها ليست قاطعة .

ففي دراسة تمت مقارنة مجموعة من السيكوباتيين الذين تم تبنيهم منذ الرضاعة ، مقارنة هؤلاء بمجموعة ضابطة ولكنهم من غير السيكوباتيين . ودرس أسر كل مجموعة وكم كان منهم مضاداً للمجتمع . ووجد أن هناك نسبة عالية من السيكوباتية بين الأقارب البيولوجيين في العينة السيكوباتية . فلقد وجد أن هناك حوالي ٩ ٪ من السيكوباتيين المتبنين كان آباؤهم سيكوباتيين كذلك بينما كان هذا الرقم لدى المجموعة الضابطة هو ٢ ٪ فقط . ولكن وجود مثل هذا العامل لا يلغي أثر البيئة على الإطلاق .

وعندما تمت دراسة السجلات الإجرامية لنحو ٢٠٠٠ من المدنيين وأقاربهم الحقيقيين لم نحصل على معامل ارتباط بين الآباء الحيويين وأطفالهم . فالطفل المتبني المجرم ليس من الضروري أن ينحدر عن أب طبيعي مجرم أيضاً . ولاشك أن هذه النقطة في حاجة إلى مزيد من البحث

والتقصي . وحتى إذا افترضنا وجود عامل وراثي فإننا لا نعرف على وجه التحديد ما الذي تمت وراثته فهل هناك شيء في الجهاز العصبي يسبب الإثارة ويشتاق إلى الجريمة ولكننا ما زلنا نريد أن نعرف لماذا يجد بعض الناس من هذا النمط، سعادة في الغوص في الفضاء الخارجي بينما يجدها البعض في الجريمة والانحراف ؟ وإذا نظرنا إلى موضوع آخر كموضوع الهورمون الجنسي والعدوان فلربما نجد بصيصاً من الضوء حول هذه القضية .

وتدل الإحصاءات على أن السيكوباتية أكثر انتشاراً بين الرجال عنها بين النساء ، فلماذا كان هذا ؟ فالرجال أكثر عنفاً ، ولذلك يظهرون في الإحصاءات الجنائية الرسمية وحتى في جرائم العنف التي أخذت المرأة تشق طريقها إليها نسبة الرجال تفوق نسبة النساء فيها إذ تبلغ ٥ : ١ . ولذلك من الممكن أن يلعب الهورمون **Hormone**. دوراً في السيكوباتية هل ينغمس الرجال في الجرائم الخطيرة لأنهم أكثر عدواناً وراثياً أو لأنهم يمتلكون أكثر من الهورمون الذكري .

هناك بعض العلماء الذين يفترضون وجود أساس بيولوجي في جرائم العنف . ودليلهم في ذلك ما يلي : ١ ـ في جميع الثقافات تقريباً والتي تمت دراستها الرجال أكثر عدواناً عن النساء . ٢ ـ يظهر هذا الفرق الجنسي في مرحلة مبكرة من العمر قبل سن الرشد في الأطفال الرضع حيث تشجع بينما لا تشجع في طفل الأنثى . ٣ ـ كثيراً من الكائنات الحية الأخرى في المملكة الحيوانية كالقردة تظهر نفس الفرق الجنسي في العدوان .

٤ ـ يبدو أن الهورمون الجنسي يرتبط بالعدوان لأن الحيوانات التي حقنت بالهرمون الذكري ، بصرف النظر عن الجنس ، كانت ميالة أكثر إلى العنف وتلك التي حقنت بهورمون الأنوثة كانت أكثر مسالمة ومع قلة حظ النساء من السيكوباتية إلَّا أن هناك حالات في غاية الخطورة ، ولذلك فإن العامل البيولوجي وإن وجد فليس له الا تأثيراً محدوداً .

ـ البحوث العصبية Neurological Researches

هذا النوع من البحوث يبدو أقل إقناعاً . في خلال الأربعينات من هذا القرن أو الخمسينات أخذ لفيف من العلماء يبحثون عن أدلة مؤداها أن التدمير الدفاعي عامل في حدوث السيكوباتية ، ومن ذلك ما ادعاه أحد العلماء في عام ١٩٥٤ من أن يصف السيكوباتيين الذين درسهم . كان لديهم موجات دماغية شاذة ، **Abnormal Brain waves** وتم قياس هذه الموجات الدماغية بواسطة جهاز يعرف باسم ، **Torencephalogram** والإجراء ليس مؤلماً إطلاقاً حيث يوضع فوق فروة رأس المريض طاقية بها أقطاب كهربائية **Electrodes** هذه الأقطاب تقيس التغيرات التي تحدث في التيار الكهربي عندما يمارس الدفاع أنشطة . ثم توضع على رسم بياني . وعن طريق دراسة هذه الموجات يمكن معرفة عمل الدماغ . وإذا كانت الموجات **Waves** شاذة فقد يدل ذلك على وجود تدمير دماغي . وبازدياد استخدام هذه الجهات (**EEG**) زاد النقد الذي يوجه إليه وإلى البحوث التي أجراها عليه. إذ لا بد من تدريب القائمين على استعماله تدريجياً تاماً وهناك طرق مختلفة ، لتفسير نتائجه . ونفس الرسم قد يختلف للفرد الواحد من وقت إلى آخر اختلافاً كبيراً . ويخلص النقاد إلى أن معظم الدراسات التي أجريت على السيكوباتيين لم تكن صادقة ويدعي البعض أننا في هذه الأيام نلاحظ أن معظم السيكوباتيين أسوياء من الناحية العصبية .

لا يوجد شيء خطأ في النصف الكروي المسيطر من دماغ السيكوباتي **Dominant cerebral hemisphere** ومع ذلك ظهر عالم نفس أمريكي يدعى هير Hare (١٩٨٠) واعترف بأن الجهاز العصبي للسيكوباتي لا يبدو طبيعياً . فعلى الوكيل السيكوباتي لا يستجيب للضغوط كما يستجيب بقية الناس . لقد عمل معظم بحوثه مع السجناء ، واستخدم اختباره التشخيصي للتمييز بين السيكوباتي وغير السيكوباتي كما استخدم مجموعات ضابطة في بعض أبحاثه من غير المجرمين . وعلى الجملة لقد لاحظ أن السيكوباتي لديه مستويات في الإثارة أقل **Lower levels of arousal** عن بقية الناس ونحن نعرف أن الاستجابة الجلدية الجلفانية **Galvanic skin response**

(G.S.R.) مؤشر ثابت إلى حد كبير عن القلق Anxiety الشخص الذي يخاف أكثر ينتج جلده كهرباء أفضل أما السيكوباتي فإن لديه استجابة جلدية جلفانية أقل عن بقية الناس حتى عندما يكون مستريحاً وعندما يحاول المجرب أن يجعل السيكوباتي قلقاً ، فإن استجابته تكون أقل درامية عن الشخص العادي .

فلقد أخبر هير في أحد تجاربه مجموعة من السيكوباتيين بأنهم سوف يتعرضون لصدمة كهربائية بعد فترة معينة من الانتظار ثم طلب منهم القيام بعملية عد بالعكس قبل تعرضهم للصدمة . من ملاحظة انتاجهم الكهربائي الجلدي ، تبين أنهم ظلوا غير متأثرين حتى قبل إنزال الألم بهم

أما المجموعة الضابطة من غير السيكوباتيين وغير المجرمين . فأظهروا تأثراً كبيراً قبيل الصدمة من خلال قياس الاستجابة الجلدية الجلفانية . وبالمثل فإن السيكوباتيين لا يعملون جيداً على الاختبارات التي تتطلب منهم تحاشي الألم .

وفي تجربة كلاسيكية أجراها ليكن (١٩٥٥) Lykken . حيث قارن فيها ثلاث مجموعات هي :

١ - مجرمون سيكوباتيون .
٢ - مجرمون عصابيون .
٣ - أسوياء كجماعة ضابطة .

وطلب من أفراد هذه المجموعات الثلاث أن يجلسوا أمام جهاز به أربعة روافع هي :

١ - ضوء أخضر .
٢ - ضوء أحمر .
٣ - لوحة عليها كلمة « أخطاء » .

وكان على المفحوص أن يتعلم متاهة Maze كانت تحتوي على سلسلة من الاختيارات بين الروافع الأربعة وكان هناك ٢٠ نقطة للاختيار وعند كل نقطة كانت الآلة تخطر العميل عما إذا كان قد أصاب فالضوء

الأخضر يظهر في حالة الاستجابة الصائبة ويحدث الانتقال إلى نقطة تالية . أما إذا كانت الاستجابة خاطئة ، فإن الضوء الأحمر يظهر وتحسب استجابة خطأ في العداد . وبالإضافة إلى ذلك كان هناك واحدة من الاستجابات الخاطئة كما تؤدي إلى إيقاع الألم بالعميل على شكل صدمة كهربائية قوية . وواضح أن العملاء كان عليهم أن يتعلموا سلوكين في وقت واحد هما تعلم أكبر قدر ممكن من الاستجابات الصائبة ، كذلك كان بإمكان العميل أن يقي نفسه من الألم عن طريق إظهار أي الروافع ظهرت . ولقد كشفت هذه التجربة أن السيكوباتيين أبلوا بلاء حسنا مثلهم في ذلك مثل المجموعتين الأخرتين ، وذلك في العمل الأول بمعنى تجميع أكبر عدد من الاستجابات الصحيحة ، ولكنهم وجدوا صعوبة كبيرة في تعلم تحاشي الصدمة الكهربائية . وعلى الرغم من أن الآلة كانت تخبر العميل بأنه أجاب إجابة خاطئة إلّا أن السيكوباتي استمر في الضغط على الزر الخاطىء طوال كل التجربة ، أما المجموعتان الأخرتان فقد تعلم أفرادها بسرعة الابتعاد عن هذه الرابعة .

وتؤكد هذه التجارب وغيرها اللامبالاة عند السيكوباتيين بالآلام التي يسببونها للآخرين . وربما هم كذلك لأنهم هم أنفسهم غير حساسين للألم أو للقلق ، ولذلك لا يتعاطفون مع أحد . ولقد جعلت هذه الحقيقة بعض العلماء يفترضون أن لديهم جهاز عصبي منخفض الحساسية أو العاطفة Underreactive sympathetic nervous system. ومعروف أن الجهاز العصبي السمبثاوي يعمل عندما يكون الإنسان في حالة قلق . ولقياس هذا الفرض أجرى بعض العلماء تجربة استخدموا فيها المتاهة العقلية التي استخدمها «ليكن» في التجربة السابقة ولكن تحت ظروف مختلفة . وفي البداية طبقوا المتاهة كما هي وأسفرت عن أن السيكوباتي يجد صعوبة بالغة في تحاشي الصدمات الكهربائية عن الشخص العادي . في هذه التجربة تم حقن المجموعتين بحقن من الادرينالين Adrenalin وهو الهرمون الذي يثير الجهاز العصبي السمبثاوي في هذه الحالة قلت الصعوبات التي يجدها السيكوباتي أي في لمس الرافعة المكهربة بل أنهم تصرفوا أفضل من المجموعة السوية . ويرجع ذلك إلى أن الأسوياء كانوا ينتجون كميات كافية من الادرينالين ، وعندما أخذوا جرعة إضافية سببت اضطرابهم .

ولكن هل حقيقة للسيكوباتي جهارا عصبياً أقل تذبذباً أم أن هناك قوة أخرى هي التي تعمل في الخفاء ؟ . إذا استخدمنا الاستجابة الجلدية الجلفانية كان الأمر كذلك ، ولكن ماذا يحدث إذا أخذنا معدلات القلب أي معدلات ضربات القلب ؟ **Heart rates** في هذه الناحية يقل السيكوباتي عن السوي . قد يكون جهازهم العصبي ذا طابع خاص يولدون به ، ولكن من المحتمل أن يكونوا قد اكتسبوا عدم حساسيتهم هذه وعدم قلقهم . لم نستطيع أن نحل هذه المشكلة في الوقت الحاضر ، لأننا لا نعرف الكفاية عن الشخصية السيكوباتية ، ولكننا أميل إلى قبول أن السيكوباتي قد تعلم أن يهمل الإحساسات الغير سارة **Unpleasant sensations** . ولقد سبق أن عرفنا أن المجرمين لا يخافون مثلهم في ذلك مثل الأطفال الصغار . ولكنهم كانوا يعانون من بعض فوبيات الطفولة **Childhood Phobia** . وبعض الكوابيس الليلية **Nightmares** . ويعانون من القلق أكثر من الأسوياء من بعض الأشياء مثل الخوف من يوم الموت وبعضهم كان يخاف من الذهاب إلى طبيب الأسنان حتى يأكل السوس أسنانه ، وقال بعض الباحثين إن المجرمين يظهرون عدم الخوف ، ولكنهم في الحقيقة جبناء .

وإذا عدنا إلى تجربة المتاهة العقلية **Mental maze** كان على السيكوباتي أن يتوقع أنه سوف يصدم لأنه صدم مرة وكان يتعين عليه أن يعرف أي الروافع مكهربة ، أو على القليل يعرف أنه هناك من بين هذه الروافع الأربعة واحد مكهرب ، ولذلك كان يتعين عليه أن يتحاشى الصدمة مقدماً[١] .

ما زال موضوع الجريمة والسيكوباتية في حاجة ماسة إلى مزيد من الدراسات والبحوث النفسية والاجتماعية والبايولوجية والعصبية والغدية .

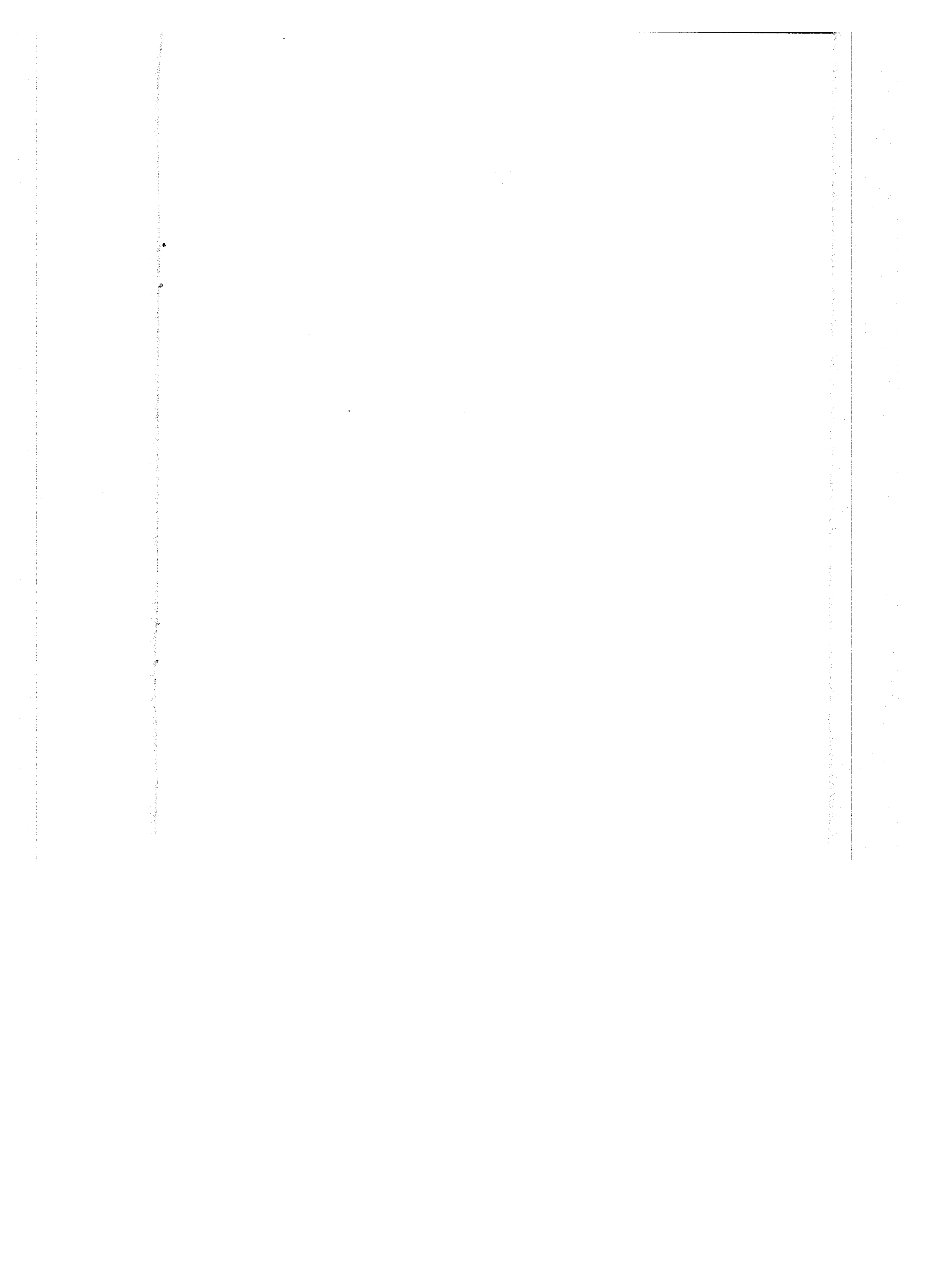
---

(١) رمسيس بهنام ، علم الإجرام صفحة ١٦

الفصل السابع

دراسة السلوك المنحرف

* قانون الكثافة الجنائية .
* وجهة نظر الأمريكيين في تفسير الجريمة .
* الفحص النفسي للمجرم .
* جرائم الاعتداء على المال.
* الفرق بين المجرم بالصدفة والمجرم الطبيعي .
* السرقة والحرائق القهرية .
* الولع بالسرقة .
* البيرومانيا .
* الأمل في الشفاء .
* تفكك الشخصية .
* متى تصاب الشخصية بالتفكك .
* تكامل الشخصية ووحدة الكبت .
* ملامح الشخصية السوية .
* أثر الوراثة والبيئة في نمو الشخصية .



الفصل السابع

دراسة السلوك المنحرف

للتعرف على أسباب الجريمة يتم فحص المتهم جسمياً وعقلياً ، فمن ناحية الفحص العقلي تُدرس قدراته العقلية للتأكيد من توفر سلامة الوعي أو الإدراك لديه وإمكانه من ممارسة حرية الاختيار ، وعما إذا كان مصاباً بمرض يخل بسلامة الوعي ، ويجبر الإرادة على قرار ليس في وسعها أن تنصرف إلى سواه .

أما الفحص الطبي الشرعي فيتناول كل من المجنى عليه والجاني للكشف عن الأداة المستعملة في الجريمة وعن وجود سم ونوعيته إن كان السم قد استخدم في الجريمة ، « ووضع » المجنى عليه من الجاني وقت اقتراف الجريمة ، وسبب الوفاة إذا كانت الجريمة قتلاً .

ومعنى هذا استخدام حقائق الطب في سبيل إجلاء الظروف الغامضة المادية التي وقعت فيها الجريمة . ويستهدف فحص شخص المجرم الكشف عن أسباب الإجرام وتحديد العوامل العضوية والنفسية والعقلية والاجتماعية التي لعبت دوراً في وقوع الجريمة ، والعوامل الاجتماعية التي أيقظت نزعة المجرم نحو ارتكاب هذه الجريمة ، والتنبؤ بسلوكه في المستقبل ، وعما إذا كان من المحتمل أن يتردى في الإجرام من جديد . وتحديد الوسائل اللازمة لتقويم أداميته والحيلولة دون إجرامه من جديد .

أما فحص الآثار والأدلة الجنائية فينصب على جسم الجريمة وما تخلف عنها من آثار كبصمات تركتها أصابع المجرم أو قدماه وفحص الخطوط للبت فيما إذا كان هناك مستنداً مزوراً أو مزيفاً .

ويتعين أن يجري الفحص الطبي العقلي طبيب متخصص في الأمراض العقلية والعصبية ، أما الفحص الطبي الشرعي فيقوم به متخصص في الطب الشرعي . أما فحص الآثار والأدلة الجنائية فيقوميها متخصص في هذا الشأن يتعرف على الوضع الجسمي والحالة النفسية للمجرم وقت ارتكاب الجريمة . ومؤدى ذلك أن فحص شخصية المجرم يقوم به فريق من المتخصصين لا بد وأن يكون الطبيب العقلي واحداً من بينهم . ولا يكفي أن يقوم بهذه المهمة شخص واحد ، بل يستعان ، في بعض الجرائم ، بمتخصصين في جميع الأمراض الجسمية والعقلية إلى جانب الباحث الاجتماعي [١] .

وكان لامبروزو ، يعمل أستاذاً للطب الشرعي والعصبي بجامعة بافيا Pavia ، كما كان طبيباً في الجيش الإيطالي . ولقد أتاحت له خدمته في الجيش ملاحظة بعض المميزات في الجنود الأشرار لم تكن موجودة في الجنود الأخيار ، ومن ذلك وجود وشمات ورسوم قبيحة كانوا يحدثونها على أجسامهم . كما اتضح له من تشريح جثث كثير من المجرمين وجود عيوب في تكوينهم الجسمي ، كما لاحظ وجود شذوذ في جماجمهم ، وكذلك في أسنانهم ، وفي قدرتهم على الاحتمال ، وفي حجم الجبهة ، حيث يقول لامبروزو إن الرجل الميال إلى الاغتصاب الجنسي يتميز بطول أذنيه وانخساف دماغه ، وزيغ وتقارب عينيه ، وانبعاج وضخامة أنفه ، وطول ذقنه .

كما قال إن اللص يتميز بحركة غير عادية لوجهه ويديه ، مع صغر عينيه وقلقهما ، وتحريكهما المستمر ، وكثافة حاجبيه وانخفاضهما وانبعاج أنفه وضخامته ، وقلة شعر ذقنه وجسمه ، وضيق جبهته . أما القاتل فيتميز بضيق أبعاد دماغه وطول فكه وبروز وجنتيه . ولقد تصادف أن قام لامبروزو بتشريح جثة شقي قاطع طريق يدعى فللا Villella من سكان جنوب إيطاليا فشاهد في مؤخرة جبهته فراغاً مجوفاً شبيهاً بذلك الذي يوجد في القردة ، الأمر الذي جعله يقرر بأن المجرم « وحش بدائي » توجد فيه بطريق الوراثة ، ترجع إلى ما قبل التاريخ الإنساني ، وأطلق على هذا الوحش اسم « الإنسان المجرم » وجعل من هذا الاسم عنواناً لمؤلفه الذي صدر عام ١٨٧٦ م .

---

(١) المصدر السابق ص ١٧ .

وفي بحوثه اللاحقة تجاوز لامبروزو العيوب الخلقية الظاهرة واهتم بوظائف الأعضاء الداخلية وبالأحوال النفسية للمجرمين . وقرر أن هناك صلة كبيرة بين إجرامهم وبين وجود خلل عضوي وعيوب نفسية فيهم (١) ودون هذه الملاحظات في الطبعة الثانية من كتابه الذي نشره عام ١٨٩٧ م حيث وصف المجرم بأنه إنسان مجنون نفسياً . وعندما درس لامبروزو حالة مجرم اشتهر بجرائم العنف والدم وهو الجندي ميزدا Misdea وانتهى منها إلى القول بأن الجريمة ترجع إلى تشنجات عصبية تدفع إلى ارتكاب أفعال عنيفة . وهكذا تطور فكر لامبروزو عن المجرم من كونه وحشاً بدائياً إلى كونه مجنوناً إلى كونه متشنجاً عصبياً.

ومن وجوه النقد التي توجه إلى قول لامبروزو اعتباره المجرم إنساناً يولد مجرماً بحكم عوامل وراثية انتقلت إليه فجعلته شاذاً . ومن وجوه النقد التي وجهت إلى أقوال لامبروزو كذلك أن دراساته كانت تعاني من قصور شديد في الإحصاء والتعداد، وجهلاً بقوانين الوراثة ، ومبالغة شديدة في إبراز أهمية العيوب الجسدية ، وإنكاراً تاماً لعوامل البيئة المادية والاجتماعية ودورها في نشأة الجريمة .

ولكن الحقيقة أن لامبروزو يرجع إليه الفضل في عدم الاقتصار على فحص الظروف الجسمية والعضوية وإنما فحص كذلك الظروف العقلية والنفسية . وحقيقة الأمر أنه لم يقل إن العيوب الخلقية وقفاً على المجرمين وحدهم وإنما قال إنها أكثر شيوعاً وحدة عندهم منها عند غيرهم ، وإن الغالب أن تكون مصاحبة للشذوذ النفسي فيهم (٢) .

ولا تعني الوراثة الإجرامية في نظره سقوط المجرم حتماً في الجريمة ، وإنما معناها وجود ميل موروث لا يؤدي إلى الجريمة إلا إذا اقترنت به عوامل معينة ، وإذا لم تتوفر هذه العوامل ظل الميل ساكناً دون أن يؤدي فعلاً إلى الجريمة . ومن الجدير بالذكر أن لامبروزو يقرر أن هذا الميل للإجرام قد يكتسب بعد الميلاد .

---

(١) المصدر السابق ص ٤٢ .
(٢) المصدر السابق ص ٤٣ .

ولقد عرض أحد تلاميذ لامبروزو في عام ١٨٨٠ م وهو العالم رافيئل جاروفلو Raffaele Garofalo نظرية أخرى مؤداها أن المجرم ليس خلقة جسمية شاذة ، وإنما هو نفساً شاذة ينقصها الورع والأمانة ويعتبر نقص الورع مصدراً لجرائم الدم ، ونقص الأمانة مصدراً لجرائم المال . ومعروف أن جرائم الرشوة والاختلاس من جرائم المال[1] . ومن هنا يصدق على تفسيرها ، وفقاً لهذا الرأي ، القول بانعدام الشعور بالأمانة .

ولقد أكمل أنيركو فيري Enrico - Ferri أعمال أستاذه لامبروزو بإبراز أهمية البيئة الاجتماعية في توليد الجريمة ، ودون هذه النظرية في كتابه الشهير علم الاجتماع الجنائي والذي ظهر في صورته النهائية عام ١٩٢٩ . وفي هذا الكتاب ترجع الجريمة إلى ثلاثة أنواع من العوامل :

١ ـ عوامل طبيعية وجغرافية .
٢ ـ عوامل شخصية عضوية .
٣ ـ عوامل اجتماعية .

وتصور أن العلاقة بين هذه العوامل علاقة تفاعل بمعنى التأثير المتبادل بينها أو التأثير والتأثر ، حيث تؤثر العوامل الشخصية الداخلية في العوامل الخارجية وتتأثر بها . وتختلف نسبة إسهام كل من هذه العوامل في عملية التفاعل المنتجة للعمل الإجرامي ، ويصعب تحديد الأثر النسبي لكل من هذه العوامل .

ولقد ابتكر أنيركو فيري قانوناً أطلق عليه قانون الكثافة الجنائية .

قانون الكثافة الجنائية :

ويرى أن تلك الأنواع الثلاثة من العوامل ينشأ منها في المجتمع ما يسمى بقانون الكثافة الجنائي ، فكما أنه يوجد في عالم الكيمياء قانون للكثافة مقتضاه أن كمية معينة من سائل معين على درجة معينة من الحرارة ، تذيب قدراً معيناً من مادة كيماوية معينة بحيث لا يذوب لا أكثر ولا أقل من هذا القدر

---

(١) المرجع السابق ص ٤٣ .

لكونه حد تشبع ذلك السائل بهذه المادة ، فإن للإجرام قانون كثافة كذلك مؤداه أن ظروفاً اجتماعية معينة إذا اقترنت بأحوال شخصية معينة وبعوامل محيطة معينة في مجتمع ما أنتج به عدداً معيناً من الجرائم لا يمكن ارتكاب لا أقل ولا أكثر منه ، فيكون هذا العدد بمثابة درجة تشبع ذلك المجتمع بالإجرام [1] .

وانتهى من ذلك إلى القول بأن الجريمة ليست مقدمة لنتائج وحسب، وإنما هي في ذاتها نتيجة لمقدمات ، وأنها ثمرة حتمية لعوامل معينة ، ولا يستطيع المجرم إلا أن يرتكبها تحت تأثير هذه العوامل وضغوطها ، وأن من شأن مثله أن يقترف مثلها لو وجد في نفس الظروف التكوينية والاجتماعية . ومعنى ذلك أن المجرم ، وفقاً لهذا الرأي ، مسيراً وليس مخيراً . ولا يتخذ ضده أي إجراء على أساس أنه مسؤول عن الجريمة ، وإنما على أساس أن المجتمع لا بد وأن يدافع عن نفسه ضد الجريمة بالقضاء على أسبابها ولو كانت هذه الأسباب عبارة عن رجل مجنون . ومعنى ذلك أن المجتمع يحق له أن يدافع عن نفسه ضد مرتكب الجريمة حتى وإن كان مجنوناً .

ويتخذ هذا الدفاع شكل الوسائل الوقائية التي تحل محل الوسائل العقابية . ويصبح العقاب مسوغاً حتى على الرغم من التسليم بأن المجرم أتى جريمته وهو مسير على افتراض أن مذاق الألم يحدث في تكوينه العضوي الشخصي تعديلاً لا يحدثه مجرد الإنذار بالعقاب . ولقد أدت هذه النظرية إلى اعتبار أن للعقوبة وظيفة اجتماعية هي دفاع المجتمع ضد الجريمة بدلاً من وظيفة دفع الثمن عوضاً عن الخطيئة .

ونبهت هذه النظرية القاضي لكي يحكم بتدبير وقائي في حالة جريمة المجنون بدلاً من الحكم ببراءته . كذلك نبهت هذه النظرية إلى ضرورة الوقاية ضد الإجرام بمنع أسبابه ، وإلى ضرورة المواءمة بين حالة كل مجرم وظروف كل جريمة من ناحية ، وبين الجريمة من ناحية أخرى . مع التعديل في أساليب تنفيذ العقوبة بحيث تجري في علاج المجرم وإصلاحه . وبعبارة أخرى أدت

---

(١) المصدر السابق ص ٤٤ .

إلى ما يعرف باسم تفريد العقوبة في التشريع العقابي في القضاء وفي التنفيذ [١] .

ولكن النظرية الوضعية لم تلق قبولاً حتى الآن فيما قررته بأن المجرم مسير لا مخير ، وفي إنكارها المسؤولية الأوروبية كأساس تطبيق القانون الجنائي حتى على غير المجانين .

ولقد عرف تاريخ الفكر العقابي بعد أنريكو فري عالم اجتماع آخر هو كولاياني ١٨٨٩ م حيث أكد وجود العامل الاجتماعي كسبب وحيد للجريمة ، حيث قرر أن الجريمة نتيجة حتمية للعامل الاجتماعي دون سواه . على العكس مما نادى به فري من وجود عوامل سببية أخرى .

ويرى أن الاستعداد النفسي الشخصي للجريمة ليس إلا وليداً لظروف اجتماعية أحاطت بالمجرم ولا سيما الناحية الاقتصادية . وعلى ذلك يصبح المجرم قابل للإصلاح بإزالة الظروف السيئة التي أحاطت بحياته . ويتفق معه فري في دعوته للقضاء على الأسباب الاجتماعية المؤدية للجريمة [٢] .

وجهة النظر الأميركية في تفسير الجريمة :

تختلف وجهات نظر علماء الإجرام والاجتماع الأميركان فيما بينها في تفسير الجريمة ، ولكن الاتجاه الأعم والأغلب هو عدم الميل إلى التفسير الوراثي إن أرجع الجريمة إلى أسباب موروثة . ومن ذلك ما قرره عالم الاجتماع الأميركي دونالد تافت في كتابه في علم الإجرام والذي صدر عام ١٩٤٥ وأكد فيه أن المجرم من صنع المجتمع ، وأن الوراثة لا يكاد يكون لها نصيب في تسبيب الجريمة ، ذلك لأن الإنسان كالمادة الأولية التي تشكله ظروف الحياة التي يحياها منذ ميلاده . ومن هنا يرجع إجرامه إلى الظروف الاجتماعية الفاسدة التي نشأ فيها الفرد وتربى وترعرع . وأنه لو فرض أن إنساناً أخذ يطرق أبواب أفراد المجتمع الذين يتسببون في نشأة الجريمة لانتهى به المطاف إلى أن يطرق باب منزله هو . وعلى ذلك فتقصير أفراد

(١) المصدر السابق ص ٤٥ .
(٢) المصدر السابق ص ٤٥ .

المجتمع في القضاء على أسباب الإجرام ، من فقر وجهل ومرض ، تعود مغبته عليهم في صورة إجرام ضدهم .

ويرى آخرون أن الجريمة وليدة خلاف مذهبي بين المجرم والقانون بمعنى أن المجرم يتشبع بثقافة محلية تتعارض مع القانون الممثل لرأي المجتمع كله . وهناك من يرجع الجريمة إلى ظروف البيئات المحلية المتدنية المستوى وهي المناطق البائسة في المدن . وبذلك هناك في نظر أصحاب هذا الرأي والمناطق الجانحة Delinquency area . ويرجع البعض الجريمة إلى عوامل تعليمية حيث يقرر أصحاب هذا الرأي أن السلوك الإجرامي تعلمه الفرد وتلقنه من المعيشة في وسط جماعة معينة [1] .

ولكن ينتقد هذا الرأي الذي يسرف في إرجاع الجريمة إلى الظروف الاجتماعية بأن الثقافة ليس لها تأثير واحد على جميع الأفراد ، وأن مفعول الوسط الاجتماعي أو المادي يتوقف على استعداد الفرد للتأثر به . وأن الملاحظة تدل على أن المجرمين ينبعون من مختلف الأوساط الاجتماعية دون أن يكون الإجرام وقفاً على وسط اجتماعي معين ولذلك لا بد من النظر إلى العامل الشخصي في نشأة الجريمة .

وبعد لامبروزو ازدهر علم الإجرام في إيطاليا وظهر من ينادي بأن الجريمة تنشأ من تغلب الكيان الخسيس للنفس الإنسانية على الكيان السامي فيها .

ولقد قسم سيرجي Sergi طبع الإنسان إلى :

أ - طبع أساسي .

ب - طبع دخيل .

فالطبع الأساسي قوامه الوراثة مضافاً إليها العوامل الشخصية والعضوية في القرار وينقسم بدوره إلى جزء عميق أصيل يرجع إلى الحياة البدائية للناس وجزء أقل عمقاً يعكس حياة الجنس والأسرة التي ينتمي إليها الفرد .

---

(١) المصدر السابق ص ٤٦ .

أما الطبع الدخيل فهو الذي أوجدته في الفرد الظروف التي مر بها في حياته والتي عدلت ولو جزئياً الجزء الأساسي .

أما فرويد Freud فيعزو الجريمة إلى وجود شعور بالخطأ لدى الفرد يدفعه إلى الإجرام بغية أن ينال جزءه على خطئه . بينما يرى آدلر Adler أن الجريمة ترجع إلى محاولة الفرد أن يتخلص من صراع داخلي في نفسه مصدره وجود مركب نقص [1] .

ولقد ازدهر البحث في أسباب الجريمة عن طريق تطوير أساليب فحص شخصية الإنسان مجرماً أكان أم سوياً . وبدراسة الغدد وبظهور علم فصائل الإنسان ، وتقسيم المجرمين إلى فصائل تتميز كل فصيلة بخصائص مشتركة تسود بينها .

وأصدر عالم طبائع المجرم في جامعة روما عام ١٩٤٥ الدكتور Benigno di Tullio كتاباً ، ووضع فيه نظرية أسماها **« نظرية التكوين الإجرامي »** أو الاستعداد السابق للإجرام [2] .

ومؤدى هذه النظرية ، كما يقول الدكتور رمسيس بنهام ، إنه رغم كون الجريمة بصفة عامة نتيجة تفاعل بين نفسية الإنسان كعامل داخلي وبين الظروف التي يقابلها الإنسان في العالم الخارجي ، إلا أن التجربة قد دلت على أن هناك أفراداً لديهم استعداد إلى الجريمة لا يوجد عند غيرهم ، بدليل أن الظروف التي تثير فيهم الإجرام وتدفعهم إلى الجريمة لا تحدث نفس الأثر بالنسبة لغيرهم من الناس . فهذه الظروف تكون بمثابة مثيرات مفجرة أو كاشفة لنزعتهم الإجرامية . وترتبط هذه النزعة بتكوين خاص لديهم نفسي وجسمي يميزهم عن الرجل العادي .

ويختلف هذا التكوين الإجرامي بدوره باختلاف فصائل المجرمين ولذلك قسمهم دي توليو جرياً على نهج تقسيم بندي Pende إلى فصائل مختلفة ، تحتوي كل فصيلة على من يشتركون في خصائص تكوينية واحدة .

(١) المصدر السابق ص ٤٧ .
(٢) نفس المصدر ص ٤٧ .

وبطبيعة الحال يختلف هؤلاء المجرمون أرباب الاستعداد الخاص للجريمة عن مجرمي الصدفة ، من حيث أن مجرمي الصدفة يرجع إجرامهم إلى عوامل خارجية أكثر من رجوعه إلى عوامل داخلية . ولكن التكوين الإجرامي في نظره لا يصل إلى حد « **الطبيعة المرضية** » أي لا يصدق على صاحبه وصف المرض .

وعلى ذلك يمكن تمييز هذه الأنواع من المجرمين :

أ - المجرم بحكم تكوينه .

ب - المجرم بحكم الصدفة .

جـ - المجرم المجنون أو المجرم بحكم المرض العقلي .

وحتى بالنسبة للمجرم المصاب بالجنون ، فإن دي توليو يفرق بين :

أ - المجنون المجرم .

ب - المجرم المجنون .

فالمجنون المجرم هو من ترجع جريمته إلى جنونه ، بحيث يشفى من الإجرام بالشفاء من المرض . أما المجرم المجنون فيرجع إجرامه إلى تكوين سابق فيه على الجنون ، ولم يفعل الجنون شيئاً سوى أنه ضاعف الحدة الإجرامية لهذا التكوين فيه ، وزاد من جسامته . وبالتالي لا يرتفع عنه الإجرام بشفائه من المرض ، ما لم يعالج تكوينه الإجرامي هو الآخر .

ويعتقد دي توليو أن التكوين الإجرامي يتميز بأن آثاره تظهر على الفرد في سن مبكرة ، وبأنه يفضي إلى نوع خطير من الجريمة ، وأنه يتضمن نوعاً من تكرار الجريمة استعذاباً واستمراء [١] .

ويعتبر مفهوم التكوين الإجرامي عند دي توليو مرادفاً « **للشخصية الإجرامية** » . ولذا يمكن التأكد من وجوده من خلال دراسة شخصية الفرد ، وتتم دراسة الشخصية من جوانب ثلاثة هي :

أ - أعضاء الجسم الخارجية وصفتها الطبيعية أو غير الطبيعية والكشف عن

---

(١) المصدر السابق ص ٤٨ .

الفصيلة الجنسية التي ينتمي إليها الفرد نظراً لما لوحظ من تقابل بين جنس معين وخصال نفسية معينة .

ب ـ وظائف الأعضاء الداخلية ووظائف الجهاز التنفسي والجهاز الدموي وجهاز الهضم والجهاز البولي والتناسلي والجهاز العصبي من ناحية توصيله لأعضاء الجسم بعضها بعضاً أو من ناحية توصيل الجسم كله بالعالم الخارجي ، إذ المعروف أن الجهاز العصبي هو النافذة التي نطل منها على العالم الخارجي . أو هو جهاز الإرسال والاستقبال في الإنسان ، حيث ينقل إليه مؤثرات العالم الخارجي ليتم ترجمتها ومعرفة معناها والتصرف حيالها [1] .

كذلك تتم دراسة إفرازات الغدد وأثرها في تكييف المزاج النفسي وفي تحديد الرغبة في العمل وبذل الطاقة فيه .

ومعروف أن زيادة إفرازات بعض الغدد تسبب زيادة الميل نحو السلوك العدواني وسلوك العنف [2] .

جـ ـ دراسة الجوانب النفسية ، ويراد بها قياس غرائز النفس وما تشعر به من حاجات تولدها هذه الغرائز . وقدر هذه الحاجات . ويقول إن الغريزة كعنصر نفسي هي أكثر عناصر النفس اتصالاً بوظائف أعضاء الجسم . ومن هنا تظهر أهمية دراسة وظائف الأعضاء بالنسبة لعلم النفس .

ولعل من أهم ما يكشف عن نفسية الفرد هو سلوكه . فالسلوك هو مفتاح فهم الشخصية ودراستها . ومن هنا لم يكن غريباً أن يتخذ علم النفس من السلوك موضوعاً عاماً لدراسته .

ولقد درس دي توليو الشخصية من هذه الجوانب الثلاثة ورأى أن التكوين الإجرامي يتميز عن غيره في كل من هذه النقاط الثلاثة :

---

(١) عبد الرحمن العيسوي ، علم النفس الفسيولوجي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٨ ص .

(٢) المصدر السابق ص

أ ـ بالنسبة للأعضاء الجسمية الظاهرة فقد لوحظ أن المجرم بالتكوين مصاب بعيوب في هذه الأعضاء ، وإن كانت هذه العيوب لا تقتصر على المجرم ، وإنما توجد لدى الشخص العادي ، ولكن بنسبة أقل ، وتنتشر بين المجرمين بنسبة أكبر . ومن هذه العيوب ما يصيب الدماغ وشقي الجبهة منه .

ولكن النظرة النقدية تجعلنا نقول على لسان الدكتور رمسيس بنهام ، إن هذه العيوب مرجعها التهابات أثرت على الأم أثناء الحمل ، فأصابت بالضرر خلقة الجنين الجسمية وتكوينه النفسي في آن واحد ، بمعنى أن التشويه الخلقي ليس هو السبب في الخلل النفسي وإنما هما يردان معاً إلى سبب ثالث مشترك يفسرهما معاً [1] .

ب ـ بالنسبة لوظائف الأعضاء الداخلية ، لوحظ في المجرمين عيوب تتصل بإفرازات الغدد الصماء ولا سيما الغدة الدرقية ، وخلل في الجهاز الدموي أو البولي ، ومظاهر تسمم كثيراً ما ترجع إلى الإصابة بالسل الرئوي أو الزهري ، واضطراب في الجهاز العصبي أهم مظاهره التشنج .

وتوجد هذه العيوب ، كسابقتها عند الأسوياء والمجرمين ، وإن كانت في المجرمين أكثر حدة وانتشاراً

جـ ـ وبالنسبة للجوانب النفسية يتميز فيها المجرمون بخصائص معينة لا توجد في غيرهم ، ويمكن أن توجد هذه العيوب النفسية مستقلة بذاتها عن العيوب الجسمية ، وقد توجد مشتركة معها وتتمثل في وجود شذوذ في الجانب العاطفي الغريزي فإن الشذوذ في غريزة الملك والاقتناء يمضي إلى تملك أموال الغير بدون وجه حق ، كما هو الحال في جريمة الاختلاس التي يستولي فيها الموظف العام على المال العام أو جزء منه ومن ذلك أيضاً الشذوذ في الغريزة الجنسية من ناحية الكم أو

(١) رمسيس بنهام ، المصدر السابق ص ٤٩

الكيف[1] . مع الميل إلى الفساد الخلقي والعنف والكسل واستخدام المكيفات . والشذوذ في غريزة المقاتلة والدفاع حيث تزداد حدته فيؤدي إلى ارتكاب جرائم الدم . كذلك فإن هذا الشعور يجعل المجرم يشعر بالارتياح والعذوبة في أعقاب ما يرتكب من جرائم ، مع ضعف الوازع الخلقي ويظهر أيضاً في ضعف قدرة الفرد على مقاومة الإغراء أو الظروف الخارجية التي يستطيع الرجل العادي مقاومتها

قسم دي توليو المجرمين بالتكوين إلى الأنواع الخمسة الآتية

١ - فئة المجرم بالتكوين العادي
٢ - فئة المجرم الناقص في نموه النفسي
٣ - فئة المجرم ذي الاتجاه العصبي السيكوباتي
٤ - فئة المجرم ذي الاتجاه السيكوباتي
٥ - فئة المجرم ذي الاتجاه المختلط

هذه هي فحوى نظرية التكوين الإجرامي . ولقد لاقت نجاحاً كبيراً في خارج إيطاليا ، ولا سيما في ألمانيا وفرنسا وفي أميركا الجنوبية . أما في إيطاليا فلم تلق معارضة كبيرة ، ونادى العلماء بمضمونها وإن كانوا قد استخدموا عبارات ومصطلحات أخرى مثل .

١ - الميل الإجرامي .
٢ - الفساد الغريزي
٣ - التكوين الفاسد .
٤ - الاستعداد الإجرامي[2] .

والحقيقة أن الجريمة كما يقول Grispigni جرسبجني «الجريمة أولاً وقبل كل شيء إرادة إجرامية ، والإرادة هي خلاصة التفاعل بين عوامل

(١) راجع كتاب عبد الرحمن العيسوي ، علم النفس في الحياة المعاصرة ، للاطلاع على مظاهر من الشذوذ الجنسي والجرائم الجنسية دار المعارف ١٩٧٨ ، الإسكندرية

(٢) رمسيس بنهام - مرجع سابق ص ١

- راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية - د العيسوي - الدار الجامعيه - بيروت

نفسيه فهذه العوامل النفسية هي التي يتعين البحث فيها عن السبب المباشر للإرادة المجرمة [1]

وينتج عن الرأي الذي يعتبر الجريمة ضرباً من ضروب الشذوذ النفسي ، أن علم الإجرام كله يرتد إلى دراسة علم النفس . والحقيقة أن علم النفس قد أفرد فرعاً من فروعه لتعامل مع الجريمة والتعرف على أسبابها ودوافعها هو علم النفس الجنائي [2] أو الإجرامي .

ويرى بعض علماء الإجرام أن هناك « **النواة المركزية للشخصية الإجرامية** » ومن عناصرها ما يلي :

أ - الانحصار في الذات ، وبلغة علم النفس ، التمركز حول الذات ومن بين معانيها الأنانية

ب - سرعة الانسياق

جـ - نزعة التعدي أو العدوان .

د - انعدام الاكتراث العاطفي أو اللامبالاة

وهناك عقبات تقف في سبيل ارتكاب الجريمة منها :

أ - العار الاجتماعي المتمثل في وصف المجرم .

ب - إنذار القانون بتوقيع العقاب على المجرم .

جـ - صعوبات محتملة تكتنف التنفيذ .

د - شناعة الصورة التي يتمثل فيها التنفيذ ذاته .

ولكن المجرم يتخطى هذه العقبات على النحو الآتي :

١ - بالنسبة للعار الاجتماعي يتخطاها صاحب الشخصية الإجرامية بفعل انحصاره في ذاته أو تمركزه حول ذاته ، واعتداده بآرائه واختلاف تفكيره عن تفكير المجتمع ، وأنه « ضحية جور » وقع على حقوقه ، وأن الجريمة أسلوب يبرره التصدي لهذا الجور . فهو نمط عادل من السلوك ويؤدي

---

(١) رمسيس بنهام ، المصدر سابق ص ١٥

(٢) محمد فتحي (المستشار) . علم النفس الجنائي

- راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية - د . العيسوي - الدار الجامعية - بيروت .

تخطي هذه العقبة إلى الوصول إلى قرار غير حاسم بالفكرة الإجرامية .

٢ ـ أما بالنسبة لإنذار القانون بتوقيع العقاب ، فيتخطاها صاحب الشخصية الإجرامية بفعل ما لديه من سرعة الانسياق ومن هذا ينتج عنه إقرار حاسم بالفكرة الإجرامية .

٣ ـ أما بالنسبة للصعوبات التي يحتمل أن تواجه الفكرة الإجرامية ، فإن نزعة صاحب الشخصية الإجرامية في الرغبة في العدوان والتعدي تساعده في التخطي على هذه العقبة أيضاً .

٤ ـ وفيما يتعلق ببشاعة تنفيذ الفكرة الإجرامية ، فإن انعدام الاكتراث لدى صاحب الشخصية الإجرامية يجعله يتخطى هذا العائق أيضاً وبذلك يقدم على الفعل الإجرامي [١] .

وتحدث الجريمة حين يقوى طغيان قوة الدافع لارتكابها ، على قوة المانع منها .

نظرية مانهايم في سبب الإجرام :

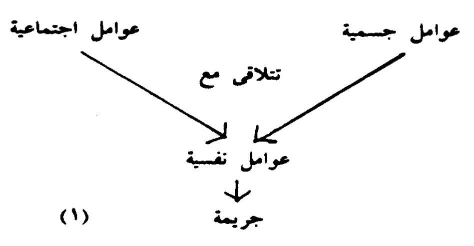
وفحوى هذه النظرية أن الجريمة تنشأ عن التقاء مجموعتين من العوامل ، إحدى هذه المجموعات مادية جسمية أو عضوية والأخرى اجتماعية اقتصادية . التقاء هذين بعامل عقلي أو نفسي يكون بمثابة العامل المحوِّل إلى الإجرام . فالعامل العضوي لا يتمخض بمفرده عن الجريمة ، ومثله في ذلك العامل الاقتصادي ، إلا إذا مرا معاً إلى محوِّل إلى طريق الجريمة وهو العامل النفسي أو العقلي . فلا بد إذن في كل جريمة من عامل عقلي أو نفسي ينتجها وبدونه ما كان يمكن أن تقع .

وقد يكون للعامل الجسمي أو الاجتماعي ثقل كبير فتقع الجريمة دون أن تحتاج إلا إلى قدر ضئيل من العامل النفسي ، وقد يكون العامل النفسي شديداً فلا تحتاج الجريمة إلا إلى قدر ضئيل من الظروف الاجتماعية والعضوية .

---

(١) رمسيس بنهام ، مصدره السابق ص ٥٣

ومعنى ذلك أن هذه النظرية تفترض حدوث تفاعل بين العوامل الجسمية والاجتماعية مع العوامل النفسية في الفرد بحيث تنتج الجريمة .



الفحص النفسي للمجرم :

يهتم علم النفس الجنائي وكذا علم الإجرام بفحص المجرم من جميع النواحي الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية ، ويهم الباحث في هذا البحث استعراض الفحص النفسي بالذات نظراً لارتباطه بموضوع البحث الحالي ، حيث يتم فحص الجانب الذهني أو العقلي لدى المجرم وقدرته على الوعي أو الإدراك ، وأسلوب التفكير والتصور ومدى ذكاء الفرد . كما تدرس الجوانب الشعورية والإرادية أي التفكير والشعور والإرادة . ويتضمن الوعي أو الإدراك إحاطة الإنسان بما يجري داخل نفسه وفي العالم الخارجي ، وكذلك القدرة على الانتباه وعلى التذكر .

ولقد لوحظ في المجرمين أن لديهم وعياً بذواتهم وبأحوالهم الشخصية والنفسية دون أحوال العالم المحيط [٢] بهم . فالإحساسات التي يكونها العالم المحيط بهم في نفس المجرمين تقل في متوسطها عن تلك التي يولدها في الأشخاص العاديين ، إذ لا تتلقى نفس المجرم من تلك الإحساسات عادة إلا ما يتصل بحاجاته الغريزية الشخصية دون الانتباه إلى ما يتعلق بالآخرين . فالوعي عندهم منطوي على الداخل أكثر من الخارج ويتخذ أشكالاً متعددة فتارة يكون :

---

(١) رمسيس بنهام ، مصدره السابق ص ٥٥ .

(٢) رمسيس بنهام ، مصدره السابق ص ٨٢ .

أ ـ وعياً بليداً متجمداً يتمركز فيه ذهن المجرم في الشعور بالحاجة المؤدية إلى العمل الإجرامي نفسه وانصرافه عما سواه ويبدو هذا الوعي بصفة خاصة في جرائم العنف العاطفية التي تتسلط فيها على المجرم فكرة معينة تلاحقه وتلهيه عن واجب التبصر حتى في حق نفسه ، فيقترن تنفيذ الجريمة بنواحٍ من عدم التحرز تمكن من اقتفاء أثره والكشف عنه

ب ـ وتارة يكون هذا الوعي مختلطاً ويتميز باضطراب في إدراك الأمور وفي صفاء هذا الإدراك . ويشبه هذا الاضطراب الذي يعتري الفرد وهو في حالة سكر . ومن شأن هذا الوعي أن يضعف من قدرة الفرد على ضبط نفسه ، كما تغلب فيه الانفعالات العنيفة .

جـ ـ وقد يكون الوعي مزدوجاً يكون فيه للمجرم شخصيتان متعارضتان فيقضي أياماً في الرحيل والتنقل يرتكب فيها أنواعاً مختلفة من الجرائم مع احتفاظه في الوقت ذاته بمظهر شخص واع يقظ صافي الذهن [1]

د ـ وهناك نوع رابع من الوعي المعيب هو التصوير الخاطىء لأمور معينة تعرض في العالم الخارجي فتتمثل في مخيلة المجرم على غير حقيقتها ، كأن يفهم من حركة يأتيها سواه أن المراد قتله ، وهي في الحقيقة ليست موجهة إلى ذلك . هنا يعاني المجرم من الأوهام والخيالات الباطلة أو الفاسدة .

هـ ـ وهناك نوع خاص من الوعي هو التوهم ، ويقصد به أعراض الهلاوس أي الاعتقاد في وجود شيء في العالم الخارجي المحيط لا وجود له إطلاقاً في الحقيقة . وتتخذ هذه الهلاوس أشكالاً بصرية أو سمعية أو ذوقية أو لمسية أو شمية .

وتبدو أهمية هذه الأحاسيس بصفة خاصة في علم الإجرام ، عندما تكون سمعية أو بصرية . كأن يتخيل الفرد أو « يرى » بالفعل صورة أشخاص مقبلين عليه للاعتداء عليه وهم في الحقيقة غير موجودين أصالة .

---

(١) رمسيس بنهام ، مصدره السابق . ص ٨٢

ـ راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية ـ د العيسوي ـ الدار الجامعية ـ بيروت

وقد يسمع أصواتاً أو عبارات تهديد أو قذف لم ينطق بها أحد ، فتساوره حالة من الانفعال أو القلق قد تؤدي به إلى ارتكاب أفعال عنيفة .

وهناك نوع من الوهم يدور حول شعور المريض بالحياء حيث يتخيل أنه ضحية اغتصاب أو هتك عرض أو أفعال مخلة بالحياء فيعامل بالعنف أشخاصاً يتخيل أن هذا الفعل صدر عنهم [١] .

وقد يكون المجرم مصاباً بفقدان الذاكرة أو ضعفها أو مصاباً بميل إلى تكميل مواضع النسيان . وتبدو أهمية هذا في الإدلاء بشهادة الزور ، إذا يجب لتوفر الإدانة ، أن يكون المجرم سيىء النية عند الإدلاء بشهادته المزورة عالماً ، على وجه اليقين ، بكذب الوقائع التي يدلي بها . ولهذه الظاهرة أهمية عند القاضي في تأويل شهادة الشهود . وقد يستطرد المجرم عند استجوابه في سرد أمور عن حياته الخاصة والعامة هي في الحقيقة من اختراعه هو .

ويتم فحص قوى الإدراك والذاكرة والانتباه عند المجرم عن طريق إخضاعه للاستجوابات وللاختبارات النفسية والعقلية . كأن تعرض عليه عبارة مطبوعة حذف منها بعض الحروف ليكشف عن المحذوف منها ، بينما يقاس الوقت الذي يستغرقه في هذا الكشف . وهناك أسلوب آخر في فحص المجرم من هذه الزاوية هو متابعة المجرم وملاحظة سلوكه [٢] .

وإلى جانب فحص عملية الوعي والإدراك عند المجرم ، يتم فحص أسلوب تفكيره وقدرته على التفكير وتشمل عملية الفحص ما يلي :

أ ـ كمية الأفكار .
ب ـ نوعية الأفكار .
جـ ـ أهلية المجرم أو مقدرته في الحكم على الأشياء .
د ـ القدرة على ترتيب الأفكار ترتيباً منطقياً .

---

(١) نفس المصدر ص ٨٣ .
(٢) نفس المصدر ص ٨٣ .
ـ راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية ـ د. العيسوي ـ الدار الجامعية ـ بيروت .

هـ ـ القدرة على ممارسة النقد .

بالنسبة لكمية الأفكار تتميز عند بعض المجرمين بكثرتها ووفرتها ، بحيث تتزاحم وتتلاحق بسرعة غير عادية فيحدث اضطراب واختلاط بينها ويفقد المريض الضبط المنطقي لها ، وقد يتميز بعض المجرمين بقلة هذه الأفكار ، ونقصها ، وقد تتميز بالبطء حتى تصل إلى حالة من وقوف التفكير كلية أو إلى حالة من الذهول .

ومن حيث نوع الأفكار يتميز البعض بأن تكون الأفكار عنده منصبة على الداخل الذاتي وعلى الرغبات والمصالح الذاتية في صورة انطواء على الذات . في حين نجد البعض الآخر من المجرمين يعانون من تسلط الأفكار على الشخصية بحيث ينقطع السير الطبيعي للأفكار على نحو لا خلاص منه بحيث تبدو الأفكار غريبة عن الشخصية وبعيدة عنها ومفروضة عليها ، وقد تكون هذه الأفكار المتسلطة تافهة كانشغال البال أو الفكر بأسئلة يطرحها الفرد على نفسه ، أو القيام بعمليات حسابية لا ضرورة لها . وقد تدور حول شكوك ومخاوف لا مبرر لها . كأن يخاف المريض أو المجرم من حادث مستقبلي يخشى وقوعه أو الخوف من عبور ميدان فسيح أو الخوف من الاختناق أو من المرض أو من وقوعه في الخطأ [1] .

يصاحب هذه الأفكار التسلطية حالة من القلق والعذاب والألم واليأس كثيراً ما تسهم في وقوع أحداث إجرامية . وبالمثل تفحص أفكار المجرم نوعاً وكيفاً عن طريق الاستجواب وتطبيق الاختيارات عليه . أما بالنسبة للقدرة على الحكم فتعني قدرة الفرد على إعطاء الفرد للشيء معناه الحقيقي .

وأهلية ترتيب الأفكار منطقياً تبدو في القدرة على الاستنتاج السليم أي ن يستخلص الإنسان من كل مقدمة نتيجة من شأن طبيعة الأمور أن تترتب على هذه المقدمة .

أما القدرة على النقد فتبدو في قدرة الفرد على أن يعطي لكل شيء

(١) نفس المصدر ص ٨٤ .
ـ راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية ـ د. العيسوي ـ الدار الجامعية ـ بيروت .

قيمته الحقيقية بالقياس لأهمية هذا الشيء بالنسبة لغيره وعدم المبالغة فيه و الغض منها . فالنقد عبارة عن حكم ، ولكنه حكم مع المقارنة أي تقدير الشيء بالنسبة لغيره .

ولقد لوحظ أن هذه الأهلية تقل عن متوسطها لدى غير المجرمين ويرجع ذلك إلى تشويهها بالهذيان . وقد تكون مضربة في التشاؤم أو التفاؤل . وقد تكون ناتجة عن غريزة حب البقاء كأن يعتقد الفرد خطأ أنه مضطهد . وقد تكون مبالغة في تقدير الكيان الذاتي كما هو الحال في مركب الشعور بالعظمة ، كأن يعتقد المرء في نفسه بأنه مصلح اجتماعي أو أنه جليل القدر علمياً [١] .

وقد تكون ناتجة عن الغريزة الجنسية كاعتقاد المرء ، دون مسوغ ، بأن زوجته تخونه . وقد تنتج عن الشعور الديني كاعتقاد المرء بأنه نبي .

كما تبحث قدرات الفرد على التخيل والتصور فقد يتميز خياله بالخصوبة بصورة غير طبيعية في أمور واقعة ، أو بالإنشاء الخيالي لأمور لا وجود لها . هذا الخيال بالإضافة إلى ضعف القدرة على الحكم والنقد قد يهيىء لارتكاب الجريمة .

إلى جانب عملية الفحص هذه التي قد تتأثر نتائجها بقدرة الفرد على التكلف والتصنع ، وعلى ذلك لا بد أن يكمل هذا الأسلوب أسلوب آخر هو ملاحظة سلوك المجرم ومتابعته [٢] .

ويرى الذين يؤمنون بوجود الغرائز في الإنسان من علماء اجرام أن اضطراب وظائف هذه الغرائز يؤدي إلى ارتكاب الجريمة ، ولذلك يوصون بفحص الغرائز أو القوى أو الدوافع الآتية :

١ ـ غريزة حب البقاء .
٢ ـ غريزة القتال .

---

(١) نفس المصدر ص ٨٥ .
(٢) نفس المصدر ص ٨٥ .
ـ راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية ـ د. العيسوي ـ الدار الجامعية ـ بيروت.

٣ ـ غريزة الدفاع .
٤ ـ غريزة التملك أو الاقتناء
٥ ـ الغريزة الجنسية .

وقد يكون العيب أو العطب الذي يصيب هذه الغريزة بالنقص والضعف أو الزيادة والإفراط فيها . ومما يتصل بموضوع البحث الحالي أن اضطراب غريزة التملك يؤدي فيما يؤدي إليه ، إلى التعويل على الغير في المعيشة أو استغلال مال الغير .

وقد يكون للغريزة الجنسية دخل في جرائم السرقة بطريق النشل حيث لوحظ أن النشالين يغلب عليهم طابع التخنث ، وأن مرتكبي جرائم السرقة بأسلوب الكسر تغلب عليهم صفات الخشونة . وكلما تغلب الفرد على غرائزه الأساسية ونمى في نفسه الدوافع الثانوية الراقية ، كلما كان أبعد عن الجريمة من سواه [١] .

وتؤثر الحالة الانفعالية في ما يرتكبه الفرد من جرائم من حيث شدة الانفعالات وكثافتها ومن حيث سوائها وشدوذها ومن حيث تبلدها وجمودها .

وجملة القول إن للجرائم مصادر متعددة ، ولذلك يتعين دراسة العوامل الآتية للتعرف على أسبابها ودوافعها :

١ ـ الوراثة .
٢ ـ السلالة .
٣ ـ الجنس .
٤ ـ السن .
٥ ـ تعاطي الخمور أو المخدرات .
٦ ـ السل الرئوي والزهري والتيفوئيد والملاريا والأنفلونزا والتهابات وجروح الدماغ .

---

(١) ذات المصدر ص ٨٧ .
(٢) ذات المرجع ص ٩٠
ـ راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية ـ د العيسوي ـ الدار الجامعية ـ بيروت .

٧ - الخلل في الإفرازات الداخلية للغدد .
٨ - الانفعال والعاطفة .
٩ - الإيحاء الذاتي .
١٠ - المحيط الطبيعي أو الظروف الطبيعية وتشمل حالة الجو والغذاء والمسكن .
١١ - المحيط الاجتماعي أو البيئة الاجتماعية وتشمل الأسرة والمدرسة والأصدقاء والمهنة والحالة الاقتصادية والمعتقدات السائدة والصحف والمجلات ووسائل التثقيف الجماهيري والأمية .

كذلك فإن هذه العوامل مجتمعة تدرس في تفاعلها مع بعضها البعض ومع الإنسان (١) .

جرائم الاعتداء على المال :

أما بالنسبة لجرائم الاعتداء على المال والتي تعتبر الرشوة والاختلاس من بينها ، ومنها أيضاً السرقة التي قد تتولد إما :

أ - عرضاً .
ب - بدافع ميل طبيعي إليها في تكوين السارق نفسه .

ويظهر هذا الاختلاف أكثر ما يظهر في جرائم الأحداث الجانحين حيث يسرق الحدث بدافع الضرورة القصوى ، ويسميها علماء الإجرام خطأ بالسرقة . دفاعاً عن النفس كما هو الحال في اختلاس رغيف من الخبز رفعاً لغائلة الجوع ، وهناك السرقة التي يرتكبها الحدث بدافع الحرمان من الإشباع ومن العطف ومن الرعاية . وقد يسرق الحدث لإصلاح وضع غير عادل في نظره ويسميها علماء الإجرام بالسرقة العزائية أو التعويضية (٢) . وقد تحدث السرقة لإشباع حاجة شخص آخر محتاج وفقير ، إن السرقة في سبيل الغير في مقابل السرقة لإشباع الذات .

---

(١) رمسيس بنهام ، ص ١٢٧ وما بعدها .
(٢) رمسيس بنهام ، ص ١٤٩ .
- راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية - د. العيسوي - الدار الجامعية - بيروت .

هذا التمييز بين السرقة بالصدفة والسرقة بحكم وجود ميل طبيعي في السارق يصدق كذلك على سرقات الكبار في السن ، فمنهم من يسرق عرضاً ومنهم من يسرق لميل في تكوينه للسرقة . ويحدث هذا النمط من السرقة في أوقات الأزمات الاقتصادية الطاحنة ، وفي زمن الحرب والثورات والاضطرابات السياسية والاجتماعية حيث يستحل الفرد مال الغير في سبيل إشباع حاجاته الملحة التي يعز عليه إشباعها بالطرق المشروعة . وقد يقوم بهذا النمط من السرقة كتل بشرية .

الفرق بين المجرم بالصدفة والمجرم الطبيعي :

يتضح الفرق بين هذين النمطين من السرقة من وجوه عدة منها :

١ ـ يكون وقوع المجرم الطبيعي في الجريمة وقت الأزمة الاقتصادية أسهل وأسرع من وقوع المجرم بالصدفة فيها . وذلك لاختلاف الناس في مدى قوة المانع من الجريمة والاستعداد للتضحية في سبيل الابتعاد عن الجريمة بكل الطرق الممكنة ويظل يقاوم إغراءات ارتكاب الجريمة . أما المجرم بالتكوين الطبيعي فيكون انزلاقه في الجريمة أسهل وأسرع في الظروف الاستثنائية .

٢ ـ إلى جانب ذلك ، فإن المجرم الطبيعي تكون فرصة عودته إليها أكبر من المجرم بالصدفة (١) .

٣ ـ يشعر المجرم بالتكوين عند ارتكابه للجريمة ، بنوع من الاغتباط والانشراح لا يوجد لدى مجرم الصدفة .

هذا ويتميز المجرم بالتكوين الطبيعي عن مجرم الصدفة في النواحي الآتية :

١ ـ الاقتناع الذاتي بأن السرقة ضرب من النشاط المشروع ككل نشاط آخر (٢) .

---

(١) رمسيس بنهام ص ١٥٠ .
(٢) رمسيس بنهام ، ص ١٥١ .

٢ - الاقتناع بأن العمل الشريف لا يجدي كوسيلة صالحة لكسب العيش وإشباع مطالب الحياة .

٣ - الشعور بالحاجة إلى دخل سهل المنال وافر المقدار لإشباع شهوات ورذائل لا يمكن أن يحقق إشباعها الدخل المستمد من العمل الشريف .

٤ - الرغبة الشديدة في المخاطرة والمجازفة ، وهذا يفسر أيضاً هيام محترفي السرقة بلعب القمار .

٥ - الشعور بارتياح واستمتاع يصحبان تنفيذ للسرقة .

٦ - الشعور بالغرور والكبرياء والترفع عن الاستجداء وطلب الإحسان .

٧ - انعدام طاقة الاحتمال للعمل الشريف وعدم الاستعداد الجسماني والنفساني للنهوض به ، ويدل على ذلك تقلب المزاج وزهد في قيود النظام .

ويرجع هذا الميل التكويني إلى السرقة بالانحراف في غريزة الاقتناء والامتلاك باعتبارها منشقة عن غريزة البقاء سواء أكان هذا الانحراف في كمية إشباع هذه الغريزة أو في نوع هذا الإشباع . ويغلب أن يكون الانحراف في هذه الغريزة مصحوباً كذلك بخلل في الإفرازات الداخلية لبعض الغدد الصماء يزيد من حدته ويضاعف من جسامته [١] .

ومن الغدد الصماء الغدة الدرقية والنخامية والصنوبرية والادرينالية والتيموسية وغيرها ، وهي غدد تفرز إفرازاتها داخل الدم لأنها عديمة القنوات وتؤثر في النمو وفي الشخصية وفي التفكير [٢] .

أما ما يسمى بالمجرم الشاذ : فيعاني من خواف السرقة أو الاختلاس Kleptophobia رهبة تعتري المرء فيحجم عن الاختلاس ولا يتجرأ عن مد يده لسرقة شيء ما في غياب الرقباء . يقابله جنون السرقة أو هوس الاختلاس

---

(١) المصدر السابق ص ١٥٢ .

(٢) عبد الرحمن العيسوي ، علم النفس الفسيولوجي - دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية .
- راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية - د. العيسوي - الدار الجامعية - بيروت .

Kleptomania حيث لا يتورع المرء عن الاستيلاء على الأشياء غير عابىء بمساوىء فعلته والعقاب الذي ينتظره [1] .

أما الولع بالسرقة أو هوس السرقة فيطلق عليه البعض جنون السرقة ، وهو عبارة عن دافع قوي للسرقة ، بحيث تصبح وكأنها شواز أصيبت به الشخصية . وعادة يسرق المريض بهذا المرض أشياء تافهة أو ليس في حاجة إليها . وكأن السرقة هدف في حد ذاته . وهذا مرض يصيب الأغنياء من الناس كما يصيب غيرهم ، مما يوقعهم في مواقف مخزية يصبح مادة مثيرة للصحافة والروايات .

والسرقة في هذه الحالة تكون رمزاً لدافع قوي في أعماق المريض يجعله يفضل انتزاع الإشباع بالقوة وبالشكل غير المشروع عما لو أتاه بشكل مشروع . ويكون دافع المرض بجنون السرقة من القوة والإلحاح بحيث لا يستطيع مقاومته أو الهروب منه ، وكأن مبدأ اللذة Pleasure Principle هو ما يخضع له غير مقدر لمبدأ الواقع Reality Principle . والمرضى الذين يعانون من هوس السرقة يعانون من اضطرابات في الشخصية تتميز بضعف الأنا الأعلى وتحالفه مع الهـو (id) لذا يصعب علاج أصحاب هذا الاضطراب ، إن لم يستحل . لكن يجب الوعي بأن الأنا الأعلى لديهم تكون على غرار لذاتهم .

وقد يكون لسرقاتهم طابعاً رمزياً بعينه من قبيل ذلك سرقة ما يتميز بالامتداد والحقاق ، مما قد يكون بديلاً عن الإشباع الجنسي أو مصاحباً باستثارات ليبيدية . ويرى جمهور المعالجين أن هوس السرقة دليل على فقدان الحب في مستوى لاشعوري [2] .

---

(١) د . أسعد رزوق ، موسوعة علم النفس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ، لبنان ، سنة ١٩٧٧ ، ص ١٢٣ .

(٢) فرج عبد القادر طه وآخرون ، معجم علم النفس والتحليل النفسي ، دار النهضة العربية ، لبنان ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ١٦٨ .

- راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية - د. العيسوي - الدار الجامعية - بيروت.

ويشير جنون السرقة كذلك إلى ارتكاب السرقة ، حيث يجد الفرد في نفسه دافعاً قوياً لارتكاب السرقة وهو مع علمه بقبح ما يقوم به وما ينتظره من محاكمة وعقاب لا يقوى على ردع نفسه والإقلاع عن سلوكه هذا [١] .

ويرى أنجلش H. B. English أن جنون السرقة عبارة عن دافع وسواسي أو استحواذي نحو السرقة وخاصة في غيبة أي دوافع اقتصادية أو شخصية في ارتكاب السرقة [٢] .

أما جيمس دريفر فيشير إلى خاصية هامة من خواص هذا الانحراف وهي قيام الفرد بسرقة أشياء لا يحتاج إليها في الحقيقة [٣] .

السرقة والحرائق القهرية

يقوم الإنسان بالعديد من ألوان السلوك ، ذلك السلوك الذي أدى به إلى تكوين الحضارات والاكتشافات والمنجزات العالمية ، فهو يبني ويشيد ويخترع ويبتكر ويزرع ويصنع وينظم ، ويتفلسف . ولكن هذا السلوك قد يعتريه حالات من الشذوذ وعدم السواء فيخرج عن نطاق المألوف ويتجاوز حدود القيم والضوابط الاجتماعية والقانونية أو حتى يخرج عن طوع صاحبه ويفلت من زمام السيطرة والتحكم ، من ذلك السرقة القهرية أو الرغبة القهرية في إشعال النار أو عد أعمدة الإضاءة أو الهاتف ، أو عد درج السلم كلما صعد أو هبط عليه الإنسان . . . وقد يدمن ويصبح عبداً لإدمانه لا يقوى على مقاومته . . . إلخ . ولسبر أغوار ذلك السلوك ومعرفة طبيعته وعلله وأسبابه فائدة في الوقاية من التعرض له وحماية الإنسان من التورط فيه . وكذلك علاج الحالات الفعلية .

والتاريخ يحدثنا عن كثير من الناس العظماء وغير العظماء بل والملوك

---

(١) منير وهيبة الخازن ، معجم مصطلحات علم النفس ، دار النشر للجامعيين ، بدون تاريخ ، ص ٧٨ .

(٢) English. H. B. and Edglish. A. C. P. 284.

(٣) Drever., J.A dictionary of Psychology. Penguin Books, 1964 P. 151.

- راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية - د. العيسوي - الدار الجامعية - بيروت .

والأباطرة ممن كانوا لا يستطيعون مقاومة رغبة داخلية قهرية لديهم لسرقة كل ما تقع عليه أيديهم دون أن يكونوا في حاجة مادية لما يسرقون أو يختلسون . كذلك فإن التراث السيكولوجي يحدثنا عن وجود أناس يشعلون النار في بيوتهم أو في منازل من يحبونهم !! ويجدون في إضرام النار هذه متعة ولذة فائقة !!

الولع بالسرقة :

هوس السرقة أو السرقة القهرية Kleptomania نزعة تدفع صاحبها للسرقة القسرية Compulsive Stealing دون إرادة منه. وقد تكون الحاجات المسروقة عديمة القيمة المادية بالنسبة للمريض. وفي هذه الحالة يكمن وراء السرقة نوع من الإشباع الجنسي Sexual Gratification . وفي هذه الحالة تنتج السرقة القهرية من اضطراب آخر في مجال الجنس هو ما يطلق عليه اصطلاح حب الأثر Fetishism حيث يتعلق المريض بشيء من متعلقات محبوبته أو قطعة من ملابسها أو جزء من جسمها . أما عن الأشياء التي يهتم بسرقتها المريض فتشمل كل شيء ، ولكنه يهتم أكثر بالأشياء التي تتعلق أكثر بمن يحب كالملابس الداخلية ونحوها . وقد يجمع هذه المسروقات ويحتفظ بها لمعاودة النظر إليها ، وقد يلقي بها بعيداً بعد سرقتها لفترة ما .

وتظهر عادة السرقة القهرية هذه أكثر ما يظهر في السرقة من المحلات التجارية المفتوحة Shoplifting وكذلك سرقة الملابس المغسولة من فوق أحبال تعليقها .

وعندما يضبط هؤلاء كثيراً ما يشعرون بالارتباك والخجل ، ولذلك ينكرون حتى على أنفسهم القيام بمثل هذا العمل لأغراض جنسية . ويعترفون أنهم عاجزون عن مقاومة هذه الرغبة الملحة في داخلهم والتي تدفعهم للسرقة ، وكأن هناك قوة ما تدفعهم وتجبرهم للقيام بفعل السرقة [1] .

ويحدثنا التاريخ عن قصة طبيب إنجليزي شهير كان عضواً بمجلس

---

(1) Coleman, J. C. Abnormal Psychology and Modern life, Scott, Chicago , 1956 , P. 381

العموم البريطاني وضبط متلبسا في إحدى المحلات الكبرى يرفع قداحة بسيطة ويضعها في جيبه خلسه وتمت محاكمته ومعاقبته

ضروب أخرى من الفعل القهري :

ومن بين هذه الأنماط السلوكية الشاذة ما نلاحظه عند بعض الأطفال والكبار من رغبة قهرية في قضم أظافرهم Nail - Biting ومن العجيب أن هذا المرض ينتشر بنسبة ٢٥ ٪ من أطفال المدارس الأميركية وبنسبة ٢٠ ٪ بين طلاب الجامعات والصناع هناك ويكثر ظهور هذه الحالة بين بعض الجماعات الخاصة كأطفال الملاجىء والمؤسسات ، وبين المصابين بصعوبات في النطق والكلام مثل التهتهة Stutterers وبين بعض الجنود الذين يعانون من حالة الحرب . ويزداد انتشار هذه العادة في مرحلة المراهقة لما يصاحبها من قلاقل ، ثم يأخذ في النقصان بعد ذلك كما أنها تظهر أكثر بين الذكور عنها بين الإناث كذلك لها شأن في شتى الاضطرابات العقلية والنفسية .

التفسير والأسباب :

ولهذا السلوك كثير من التفسيرات ، منها أنه تعبير عن الشعور بالعدوان المرتد على الذات ، أو السلوك لخفض حدة التوتر الناتج من الصراع الناتج من عقدة أوديب Oedipal Situation أو كنوع من الجمود الذي يحدث عند المرحلة الفمية Oral Stage فلا يتجاوزها الفرد .

أما التفسيرات التي أعطاها مرضى هذا السلوك أنفسهم فتدور حول الرغبة في البقاء مشغولاً ، أو لاستعمال الطاقة الزائدة عند المريض ، أو للتعبير عن القلق Anxiety الناتج من المواقف الضاغطة مثل دخول الفرد الامتحانات النهائية الحاسمة والمباريات الرياضية أو الزواج وغيره من المناسبات الاجتماعية أو غير ذلك من المشاكل الشخصية . وكلما زاد التوتر زادت عملية القضم [٢] .

---

(٢) مصدره السابق ص ٣٣٢ Coleman J. C

في حالات السلوك القهري لا يستطيع المرء أن يفسر لماذا عليه أن يأتي نمطاً معيناً من السلوك . عندما تكون بسيطة فإنها قد توجد عند الناس الأسوياء وقد يفسرونها على أنها نوع من الخرافة Superstition كمن يجد نفسه مضطراً أن يمسك الخشب حتى لا يحسده الغير أو يضيع الحظ من بين يديه .

هناك أنواع أخرى غريبة من السلوك . . . كنزعة الفرد لتكرار لفظة معينة أو للبحث عنها في ذاكرته Onomatomania . وهناك الميل القهري الدوري لشرب الخمر Dipsomania ومثلها النزعة القهرية لعد وإحصاء كل شيء كعد الحجارة التي تقابل الإنسان في طريقه أو جميع الأشياء التي توجد في غرفته Arthmomania فالمانيا ميل شديد ومبالغ فيه للقيام بسلوك معين .

الكليبتومانيا بين العظماء :

في حالة الكليبتوماتيا Kleptomania يجد الفرد نفسه مدفوعاً أو مساقاً لارتكاب السرقة . ورغم علمه بقبح ما يقدم عليه وتعرضه للمحاكمة والفضيحة والعقاب لا يستطيع أن يمسك [1] عن فعل السرقة أو الاختلاس . ورغم عدم حاجته المادية أو عوزه ولذلك يلاحظ ظهور هذا الاضطراب عند كبار الأثرياء من الناس .

البيرومانيا :

ومن مظاهر السلوك القهري تلك الرغبة الملحة التي توجد عند الناس لإضرام النار Setting Fires ويطلق على هذا المرض اصطلاح بيرومانيا Pyromania . والمريض من هذا النوع يجد نفسه مدفوعاً بصورة قهرية لإشعال النيران وافتعال الحرائق ، أو يجد نفسه شغوفاً مولعاً بمشاهدة الأشياء المشتعلة والمحترقة .

ويذهب بعض علماء النفس التحليلي إلى تفسير هذا السلوك الشاذ

---

(١) د. أسعد رزوق ، موسوعة علم النفس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ لبنان ـ بيروت ١٩٧٧ ، ص ٢٨ .
ـ راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية ـ د. العيسوي ـ الدار الجامعية ـ بيروت.

بإرجاعه إلى حالة من الشذوذ الجنسي حيث يشعر المريض بالإثارة عندما يشعل النار وخاصة في حالة المراهقة [١] .

لا بد من معرفة الدوافع الدفينة :

قلنا إن الشخص المصاب بجنون السرقة لا يسرق لأنه في حاجة إلى الأشياء التي يسرقها ، ولكنه يسرق لوجود دوافع أخرى جنسية أو غير جنسية عنده ، فقد يسرق للتعويض عن شعوره بالضعف ، وبأنه لا حول له ولا قوة . فالمسروقات توفر له ، بصفة مؤقتة ، الشعور بالقوة وإن كان بالطبع شعوراً وهمياً وليس حقيقياً .

ومن الملاحظ أن الاضطرابات القهرية Compulsive Disorders لا يجدي معها معالجة الأعراض فقط Symptoms بل لا بد من اكتشاف صراعات القيد الداخلية وإحباطاته وتوتراته والعمل على خفضها . فالشخص الذي يعاني من القهر Compulsion في الغالب ما يعاني من الخوف والقمع ويكمن علاجه في إزالة حالة القمع والخوف هذه .

الوسواس القهري أيضاً :

ويرتبط السلوك القهري أو الأفعال الاستحواذية بنوع آخر من الاضطرابات النفسية وهو الوسوسة Obsession ليكونا معاً مرضاً نفسياً أو عصابياً يكثر انتشاره وهو الوسواس القهري [٢] Obsessive Compulsive Neurosis في الشطر الوسواسي من هذا المرض يجد المريض نفسه مساقاً للتفكير في بعض الموضوعات المزعجة وغير المحبوبة أو التافهة ، وعلى الرغم من شعوره بأن هذه الأفكار عديمة الجدوى وشاذة إلا أنه لا يستطيع أن يخلص نفسه من هذه الأفكار أو أن يبعدها من السيطرة على ذهنه ، وتظل هذه الأفكار تسيطر على الفرد وتؤرقه وتحرمه من الراحة والنوم فهي تطارده وتهبط على ذهنه في كل وقت وحين .

---

(١) Strange, J. R., Abnormal Psychology. Mc Graw - Hill, Book Co. 1965 P. 192

(٢) Carroll, H. A. Mental Hygiene, Prentice - Hall, New Gersey, 1964, P. 232

« أما الجانب الاستحواذي أو القهري من هذ المرض فيتمثل في قيام الفرد مرغماً ببعض الأعمال ، وليس مجرد الأفكار ، غير المعقولة أو حتى ارتكابه بعض الجرائم والمخالفات من ذلك تأكد الفرد عدة مرات من أنه أغلق باب منزله أو أغلق صنبور الغاز أو عدّ ما معه من نقود أو أن المنزل خالي من اللصوص . وقد يتخذ هذا العرض شكل تكرار مزعج للفعل القهري كأن يغسل المريض يديه عشرات المرات Handwashing خوفاً من الإصابة بالأمراض والجراثيم ، وقد يظل بها حتى تدمى يديه وتهترىء ، وقد يكون هذا العمل رمزياً في معناه للتعبير عن الشعور بالإثم والذنب ورغبة المريض في غسل دنوبه وخطاياه . وقد عبر عن هذا المعنى الرمزي « شكسبير » من خلال شخصية السيدة « ماك بث » التي كانت تحاول أن تغسل يديها من بقع الدم التي تلطخت بها في خيالها ومنامها .

تضخم الذات :

ولا يقتصر ذلك الشذوذ القهري على إضرام النار أو السرقة أو الاغتسال ، بل هناك جنون الأنانية وحب الذات وتفخيمها Egomania والشخص المصاب بهذا الاضطراب يعتبر نفسه محور كل شيء ونقطة الارتكاز في كافة الأحداث ، ولذلك نراه يفضل ذاته على ذوات الآخرين ويتغاضى عما سواه من الناس والأشياء ويغفل بقية الواجبات والالتزامات ويضفي ذاته على كل شيء فيسلك سلوكاً أنانياً .

الولع بالترحال :

ومن ظواهر السلوك الاندفاعي أيضاً هوس التجوال Poriomania وهو هوس يدفع صاحبه إلى التنقل من مكان إلى آخر دون الاستقرار في مكان معين ، حيث يولع الفرد بالسفر والترحال والتجوال . ويخشى على نفسه من أن يستقر في مكان معين فيظل على ترحاله لا يكل ولا يمل من السفر[1] .

وعلى الجملة فالأفعال أو الأفكار القهرية تحدث رغم إرادة الفرد ، وكأن

---

(١) د. أسعد رزوق - مرجعه السابق ص ٢٨٠ .

هذا الخلل يعطل إرادة الفرد وعزيمته ، فيجد نفسه مساقاً للقيام ببعض الأعمال الشاذة رغم علمه بشذوذها وعدم جدواها . وكأن هناك قوة في داخل الفرد تدفعه إلى القيام بمثل هذا العمل ، فقد يكون هذا العمل تعبيراً رمزياً عن بعض الدوافع والرغبات المكبوتة لدى الفرد أي المنسية أو تعبيراً عن الشعور بالإثم والعدوان أو رغبة في التطهر والاغتسال من ذنوب وهمية أو حقيقية اقترفها الفرد .

الأمل في الشفاء :

ويكمن علاج هذه الحالات وغيرها في حسن معاملة الفرد طفلاً ومراهقاً وشاباً ، وإشباع حاجاته إلى الحب والدفء والحنان والشعور بالانتماء الأسري والوطني وشعوره بقيمة ذاته واحترامها ، وبأنه مقبول لا منبوذ من قبل المحيطين به ، وبأن له قيمة في ذاته ، وبأن له دوراً هاماً يلعبه في حياة الأسرة والمجتمع ، وأن أمامه الكثير من الفرص المشروعة للتعبير عن ذاته وتوكيدها وإثبات وجوده وتحقيق شعوره بالثقة في نفسه وفي المجتمع الذي يعيش فيه وملء نفسه بالأمل والرجاء والتفاؤل والانشراح .

ولا شك أن لديننا الإسلامي ولتعاليمه السمحة الدور الأعظم في تربية الفرد على هذه القيم العليا والمثل الأخلاقية والإيمان الروحي والقلبي والخلقي الخالي من الدنس والشوائب ذلك الإيمان الذي يقود إلى التمتع بالحياة السوية وبالصحة النفسية والعقلية .

تفكك الشخصية

Personality disintegration

متى تصاب الشخصية بالتفكك: ؟

يحدث تفكك أو انحلال للشخصية في حالات الاضطرابات العقلية الشديدة ، وعندما يحدث ذلك تتوقف وظائف الشخصية المختلفة عن العمل في وئام وانسجام ، ويحدث ما يمكن أن نسميه تآكل أو تلف أو تسوس أو تعفن أو النخر في كيان الشخصية Decay أو التحلل Decomposition أو الفصل أو الانعزال بين أبعاد الشخصية Segregation أو حتى تثبيط الهمة وإفساد الأخلاق Demoralization وعدم التنظيم أو الترتيب أو الوئام أو الانسجام Disorganization .

وقد يصيب الشخصية نوع من التفكك الجزئي فتفقد الوظائف التي كانت تقوم بينها علاقات تفقد وحدتها وعلاقاتها السابقة .

وقد تتفكك شخصية الفرد وتصبح عدة شخصيات Multiple حيث يتقمص الفرد شخصيات متعددة Personality وينتقل في تقمصه من شخصية إلى أخرى ، كأن يتقمص شخصية إنسان راهب متحفظ ، ثم شخصية إنسان ماجن وداعر ، ثم شخصية طفل صغير أو مراهق ، وهكذا ينسى كل ما يربطه بالشخصية الأولى عندما يتقمص الشخصية الثانية . وقد يحدث ذلك أيضاً عندما يتعرض الفرد للإصابة بالامنيزيا Amnesia أي فقدان الذاكرة ، فينسى اسمه وعنوانه وزوجته وأسرته ومهنته ويهيم على وجهه . ويحدث أكبر قدر من تحلل الشخصية في حالة الإصابة بفصام الشخصية أي بعدها عن عالم الحقيقة وركونها إلى عالم الخيال والأوهام والهذاءات والهلاوس السمعية

والشمية والبصرية والذوقية واللمسية . وكذلك الانفصال التام في داخل الشخصية بين الحياة العقلية والحياة العاطفية لدى الفصامي (١) .

فالتفكك أو الانفصال يصيب الفرد عندما يحدث انقطاع وظيفي للترابط داخل العقل أو داخل لحاء أو قشرة المخ ، بحيث يصعب على المريض استعادة ذكرياته الماضية ، كما يفقد المرء السيطرة على العمليات الحركية ، وينتج عن التفكك هذا حالات من النسيان والهلاوس وفقدان الحساسية (٢) .

تنوع حالات التفكك :

وتبدو ردود الفعل التفككية هذه ضمن اضطرابات عصابية أي نفسية متعددة منها :

١ ـ فقدان الذاكرة Amnesia .
٢ ـ التوهان Fugue .
٣ ـ تعدد الشخصية Multiple Personality .
٤ ـ التجوال الليلي أو النومي Somnambulism .

وفي هذه الأحوال يعزل المريض جزءاً من حياته بعيداً عن حيز الوعي أو الشعور . وتختلف هذه الأعراض التفككية عن مجموعة أخرى من الأعراض الهستيرية أيضاً والتي تعرف بالأعراض التحولية حيث تنتقل الأعراض وتتحول من عضو من أعضاء جسم الإنسان إلى عضو آخر كأن ينتقل الشلل الهستيري من القدم اليمنى إلى اليسرى أو من القدم إلى اليد وهكذا . . . كلما شفي عضو انتقل الشلل الوظيفي إلى عضو آخر .

في حالة فقدان الذاكرة يصاب المريض إما بالعجز الكلي أو الجزئي عن تذكر خبرات الماضي أو التعرف عليها . وقد يحدث فقدان الذاكرة هذا

---

(١) English, H. B. and English, A. C., A Cemprehensive Dictionary of Psychological and Psychoanalytical terms . Longmans . London . 1958 . P . 159 .

(٢) د. أسعد رزوق موسوعة علم النفس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، لبنان ، بيروت ١٩٧٧ ، ص ٥٢ و٨٥ .

ـ راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية ـ د. العيسوي ـ الدار الجامعية ـ بيروت .

في بعض الأمراض العصابية أي النفسية أو الذهانية أي العقلية أو في حالة الهسترية أو الهذيان Delirium أو إصابات الرأس أو في حالة الأمراض التي تصيب الجهاز العصبي . ومعنى ذلك أنها قد ترجع إلى أسباب عضوية . وعندما ترجع لإصابات دماغية فإنها تزداد تعقيداً عن طريق عجز الفرد عن الحفظ أصلاً ، أي العجز عن تسجيل الأحداث التي يمر بها . فالمادة الخاصة بالتذكر تكون مفقودة وكأن الإنسان يسير في حياته مغمض العينين .

أما في حالة ما ترجع الأمنيزيا إلى علل نفسية ، فإن المادة تكون موجودة ولكنها خارجة عن نطاق العودة أو الاستدعاء . بدليل استدعاء الخبرات المنسية هذه تحت تأثير التنويم المغناطيسي أو عندما يتم علاج الأمنيزيا .

ويحدث النسيان في حالة الخبرات المؤلمة كخبرات الحرب والمعارك الحربية الشديدة أو في حالة صدمات الحياة المدنية الشديدة وكوارثها .

ومن أبرز أعراضها نسيان الفرد اسمه وسنه أو مقر إقامته ويعجز عن التعرف على أهله وأقاربه وأصدقائه . ولكن تبقى قدراته الأساسية كما هي كالقدرة على الكلام وعلى الكتابة ويبدو كما لو كان طبيعياً باستثناء حالة النسيان هذه .

وقد ينسحب ويستسلم المريض أكثر فيروح في حالة من التوهان بالهروب ويهيم على وجهه ويترك منزله . وبعد أيام أو أسابيع أو سنوات يجد نفسه في مكان غريب ، ولا يعرف كيف وصل إلى هذا المكان . وينسى كل ما حدث خلال فترة التوهان هذه . وخلال فترة التيه هذه يتنوع نشاطه، فقد يتجول في جميع أرجاء البلاد وقد يمتهن مهنة جديدة وقد يتزوج من جديد وقد يبدأ في أعمال تجارية جديدة وهكذا . . .

أما حالة ثنائية الشخصية أو تعددها ، فإنها حالة قليلة الحدوث لحسن الحظ ، وإن كانت تلقى كثيراً من اهتمام الروائيين والقصصيين ورجال الأدب لما لها من طابع درامي مؤثر . ويصاب المريض بهذه الازدواجية في شخصيته كرد فعل لما يواجهه من ضغوط ولا يقوى على تحملها فيتقمص شخصية

أخرى لها سمات وخصائص مغايرة تماماً للشخصية الأولى . وينتقل المريض من شخصية إلى أخرى في غضون عدة دقائق أو عدة سنوات . فقد ينتحل المريض شخصية مرحة متفائلة وقد ينتقل منها إلى شخصية رزينة متأملة وهادئة وجادة .

وينسى المريض ما فعله في ظل الشخصية الأولى عندما ينتقل إلى الثانية .

وفي حالة المشي أثناء النوم تكون الأفكار المكبوتة لدى الفرد قوية بحيث تقرر ما يقوم به من نشاط أثناء النوم . وقد تحدث هذه النوبات التجوالية كل ليلة وقد لا تحدث إلا نادراً للمريض . وعلى كل يكثر ظهور هذا العرض في وسط المراهقين (١) . والمشي أثناء النوم تعبير رمزي عن رغبات مكبوتة لدى المريض لا يستطيع تحقيقها في عالم الحقيقة .

وهناك حالة يفقد فيها الشخص شعوره بحقيقة ذاته كشخص واقعي Depersonalization أو يفقد الإحساس بجسمه . وقد يشعر أنه قد مات . وخلال هذا الاضطراب يشعر المريض بتفكك وحدته الذاتية ، وكأن إحساساته ورغباته وأفكاره غريبة عنه (٢) . وهناك حالات فصامية يشعر الواحد منهم أنه أصبح مجوفاً . ولكن الحالات الخفيفة منه يشعر بها نسبة كبيرة من الناس تصل إلى حوالي ٣٠ - ٧٠ ٪ من الشبان والراشدين . يشعر مرضى هذا الاضطراب بأنهم غرباء عن أنفسهم . ويدعون أن العالم لم يعد يبدو سليماً لهم . وتبدو الأشياء لهم كما لو كانوا في حلم ، كما تبدو الأشياء في نظرهم في غير تناسب أو تناسق ، ويشعرون كما لو كانوا في حالة تخدير أو تنويم أو كما لو كانوا آلات ميكانيكية صماء . ومع ذلك يشعرون أن هذه الخيالات غير سارة ويخشون على أنفسهم من الإصابة بالجنون . والحالات الخفيفة هذه لا تشكل خطورة على الصحة العقلية .

في الاضطرابات التفككية يفقد المريض جزئياً الاتصال بالحقيقة

---

(١) Colleman, J.C. Abnormal Psychology and Modern Life ; Scott, Chicago, 1955, p. 199 - 207.

والواقع . وينتج هذا الاضطراب عن حالات من الكبت Repression لبعض الحقائق والوقائع المؤلمة لدرجة تجعل المريض يقتطع هذه الأجزاء من حياته الواعية [1] . ففي حالة سيدة أميركية عانت كثيراً من حياة زوجية بائسة أصبحت تقول إنها ليست حقيقية وإنها مجرد ملاحظ خارجي لحياتها وبعد ذلك نسيت من هي وماذا تنوي أن تفعل [2] .

في حالات التفكك هذه ينفصل جزء من العقل الواعي عن بقية الأجزاء ولذلك ينخرط المريض في أنشطة ينكرها بعد وعيه .

زيادة حدة الكبت :

وترجع جميع مظاهر التفكك هذه إلى عوامل سببية واحدة ، يكمن معظمها في حالات الكبت الشديد أو لوجود رغبات جنسية غير مقبولة ومكبوتة من عهد الطفولة وخاصة فيما يتعلق بالموقف الأوديبي . ومؤداه ارتباط الولد الذكر بأمه وحبه إياها وتعلقه بها ورغبته في إقصاء الأب . ويماثلها عند الفتاة عقدة الكترا وهي عبارة عن رغبتها في التعلق بالأب وحبها إياه والرغبة في إبعاد الأم من حيز المنافسة . ولذلك يبعد الفرد جزءاً من شخصيته ويكتسب هوية أخرى [3] .

تكامل الشخصية ووحدة السلوك :

في الأحوال الطبيعية هناك وحدة بين الأفكار والمشاعر والأفعال والأحداث . فإذا تصورت أن شخصاً ما يؤذيك فإنك تشعر بالغضب وترد عليه ، وعلى ذلك فكل من أفكارك وغضبك وسلوكك العضلي تكون وحدة منسجمة متسقة مع بعضها البعض . ولكن وحدة التفكير والشعور والعمل هذه يمكن أن

---

(١) رد. أسعد رزوق، مرجعه السابق ص ٢٩ .

(٢) Sanford . F . H . . Psychology Ascientific study of man . Wadsworth . San Francisco. 1961 . P . 432 .

(٣) Davison . G . C . Abnormal psychology . John Wiley and Sons . New York . 1975 . P . 155 .

- راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية - د. العيسوي - الدار الجامعية - بيروت.

تضطرب عن طريق الصراعات التي تكونت عبر خبرات الفرد الماضية ، وهنا يحدث التفكك أو انقسام هذه الوحدة فينقسم معها نشاط الفرد .

وهناك مظاهر عديدة يتخذها هذا التفكك وذلك الانقسام، من ذلك اضطرار الفرد أن يكرر عملاً ما عدة مرات دون فائدة ، وهنا يحدث الانفصال بين الحركات التي يقوم بها والأفكار والمشاعر التي ترتبط بها .

فالحركات التي يقوم بها الإنسان رغم إرادته تشبه التصنع Mannerism حيث يتصنع المريض أن يمشي مثلاً مشية الملوك والأباطرة أو يقوم ببعض الأوضاع أو الحركات أو الإيماءات أو اللوازم أو الحركات الطقوسية . ويحتفظ الإنسان باحترامه لذاته لأن عدوانه يتحول أو يتوقف ، وفي الغالب ما تكون هذه الأفعال الطقوسية رمزية ومعبرة عن شيء آخر ولكن المريض نفسه لا يعرف عما تعبر أو لماذا ترمز[1] .

ويحدث التفكك للسلوك عندما يتعارض ما تعلمه الفرد من قيم وعادات وما يتوقعه منه المجتمع ، حيث تدفعه الحاجة إلى التمتع بالمكانة الاجتماعية وإلى الامتثال لقيم المجتمع ومعاييره وقد يتعارض هذا مع رغباته الداخلية ، وهنا يقع في صراع يؤدي به إلى تفكك سلوكه ولذلك كثيراً ما نلحظ وجود انقسام بين ما يؤمن به الفرد لفظياً وبين ما يقوم به من أفعال حقيقية أو بين ما يقال عن الحرية التي يتمتع بها الفرد وبين عجزه عن تحقيق هذه الحرية .

والعرض الرئيسي في السلوك التفككي هو فقدان الهوية الشخصية للفرد . ففي حالة فقدان الذاكرة ينسى الفرد كل ما يتعلق بتلك الذات التي يريد أن ينساها ويمثل التوهان هروب الفرد من موقف لا يقوى على احتماله وعلى الرغم من أن حالة التوهان تبدو فجائية إلا أنه يكمن ورائها تاريخ طويل من الإصابة بعصاب القلق النفسي ذلك العصاب الذي ينتج بدوره من تعرض الفرد للصراع ، فيرى الإنسان الحل في فقدان هويته .

قد تعتري الفرد رغبات عارضة في السفر بعيداً أو الترحال أو الهروب أو

---

(1) Davis . R . H . Introduction to psychology . London . 1962 . P . 515 - 518 .
- راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية - د. العيسوي - الدار الجامعية - بيروت .

نسيان الماضي والبداية من جديد ، ولكن هذه الحالات الخفيفة تختلف عن الحالات المرضية التي يشعر فيها الفرد بأنه مساق ومجبر للرحيل [1] .

ملامح الشخصية السوية :

أما حالة السواء أو الصحة فتكمن في أن مؤثرات الثقافة التي يعيش الفرد في وسطها وخبرات الفرد تصبح موحدة أو متكاملة Unified or integrated ومن ثم يتكون للفرد بناء سليم للشخصية ومتميز عن غيره من الشخصيات .

في الشخصية المتكاملة تتمتع بالتآزر بين دوافعها وقدراتها وسماتها الشعورية واللاشعورية ، وتعمل هذه القدرات بصورة سوية لتحقيق أهداف متناسقة ومتماسكة ، حيث تعمل جميع الأعضاء والأجزاء في تعاون وتكامل في سبيل الحفاظ على الوحدة الكلية للإنسان .

فالشخصية المتكاملة يغلب على صاحبها الترتيب والنظام والتآزر والتعاون والترابط بين أفكاره وأفعاله ومشاعره ، ولذلك نرى وظائفه تعمل معاً بصورة منسجمة أو تعمل كوحدة متعاونة .

---

(١) Carell , H . A . Mental hygiene , prentice - Hall New Jersey , 1964 , P . 219 .

- راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية - د. العيسوي - الدار الجامعية - بيروت.

الوراثة والبيئة في نمو الشخصية

« الإنسان » هو ذلك الكائن المعقد ، وهو ولا شك أسمى مخلوقات الله جميعاً . ومع الدعوة لإعادة بناء الإنسان العربي المسلم يصبح البحث في شخصيته ضرورة علمية وقومية . هذه الشخصية كيف نمت ونشأت وتطورت ونضجت ووصلت إلى الحالة التي نلاحظها عليها ؟

هناك من يقول إن هذه الشخصية تحددها العوامل الوراثية أي تلك الصفات التي تنتقل إليه عبر ناقلات الوراثة Genes تنتقل إليه من الآباء والأجداد . وإذا سلمنا بهذا الرأي فإننا نقف مكتوفي الأيدي أمام رحلة الإنسان في الحياة ، ولا نستطيع أن نتدخل لتنمية قدراته أو وقايته من الانحراف أو علاج ما يصيبه من أمراض واضطرابات ولا نستطيع إلا أن نقف موقف المتفرج ما دامت محددات شخصيته قد وضعت من قبل . ولذلك هناك رأي يناهض هذا الرأي ويؤكد أن الشخصية وليدة مجموعة العوامل البيئية ، التي تؤثر في الفرد ، والتي تتضمن ما يلقاه من تغذية فكرية ومادية ، وما يصيبه من أمراض وما يلقاه من عطف أو قسوة ، وما يمر به من نجاح أو فشل ، وما يتعرض له من خبرات سعيدة أو مريرة ، وما يتعرض له من مواقف مواتية أو غير مواتية . وإذا كنا بصدد تنمية المواطن العربي المسلم وصقل قدراته واستعداداته ومواهبه وميوله وتحريرها مما يكبلها من قيود وأغلال لينطلق بكل طاقاته نحو الخلق والإبداع والعمل والإنتاج والإخلاص والوفاء ، فإذا كانت هذه هي غايتنا في هذه الحقبة التاريخية ، فلا بد أن نحكم فهم العوامل التي تؤثر في نمو الشخصية ونحدد وجهتها ، ويتطلب ذلك أن نضع أيدينا

على كافة المؤثرات التي تؤثر في الشخصية ، بغية التحكم فيها وإحسان توجيهها ، حتى يشب المواطن العربي المسلم متكاملاً روحياً وخلقياً وقومياً وعلمياً ومهنياً .

فهل الإنسان ابن البيئة أم ابن الوراثة ؟ Heredity or Environment قبل أن نجيب على هذا السؤال نستعرض مع القارىء الكريم المقصود بكل من البيئة والوراثة .

فلعله من معجزة حياة الإنسان أنه عند اللحظة الأولى من وجوده من شكل خلية واحدة Asingle cell أن هذه الخلية يوجد فيها كل المواد اللازمة لنموه الفيزيقي Physical development وأن هذه المادة هي الكروموزوم Chromosome . هي التي سوف تحدد حجمه من الكبر ، ومعدلات نموه ، ولون عينيه وشعره وجلده ، وشكل وجهه وأنفه وفمه وأطرافه ، وحجم ووزن عظامه وتركيب مخه أو دماغه وقلبه ورئتيه ومعدته وبقية أعضاء جسمه .

كيف تؤثر هذه المادة الكيماوية الصغيرة على نمو الجسم ؟ .

إنه لأمر محير لا للرجل العادي فحسب وإنما للعلماء كذلك . يكتشف علماء الوراثة تدريجياً بعض الحقائق حول هذه العملية أي عملية النمو ، ولكن ما زال هناك الكثير غامضاً أو غير معروف . يكشف الفحص المجهري أن المادة الكيمائية المسماة بالكروموزوم في الإنسان والتي تحدد شكل نموه تتكون من ٢٣ زوجاً من الخيوط الرقيقة من المادة . ويمتاز الكروموزوم الإنساني بأنه رقيق جداً لدرجة يصعب معها إدراك جزئياته حتى باستخدام أدق أجهزة الفحص والتكبير . يوجد الكروموزوم على شكل حزم Bands يطلق على كل حزمة منها اصطلاح الجين gene وتسمى أيضاً ناقلات الوراثة وهي المفتاح في دراسة أثر الوراثة على الشخصية وعلى السلوك . وتعمل كل ناقلة وراثة في تحديد نمو جزء معين من الجسم ، فمنها ما يحدد شكل الوجه ومنها ما يحدد طول الأصابع ومنها ما يحدد نسيج الجلد وتعمل ناقلات الوراثة كل زوج منها معاً ، وقد يكون أحد هذه الأزواج ضعيفاً والآخر قوياً . تحدد ناقلات الوراثة هذه لون البشرة وشكل الجلد وما إلى ذلك من الصفات

الفيزيقية . ولعل ذلك لحكمة من أجل سلامة النمو فإذا كان لأحد الأزواج أثر ضار وكان للآخر أثر طيب فإن النتيجة تكون النمو الطبيعي من الجزء الخاص بهذه المورثيات وناقلات الوراثة .

أما عن سير النمو ، فكما قولنا إن الخلية الأولى تتكون من ٢٣ زوجاً من الكروموزوم . هذه الخلية سرعان ما تنقسم إلى خليتين ، ثم سرعان ما تنقسم هاتان الخليتان إلى أربع خلايا ، ثم تنقسم هذه الخلايا الأربع إلى ثمانية ثم إلى ستة عشرة وهكذا . وبالطبع تتكون كل خلية جديدة من ٢٣ زوجاً من الكروموزوم . توجد كل خلايا جسم الإنسان في شكل أزواج عددها ٢٣ زوجاً فيما عدا البويضة الناضجة Mature ovum والحيوان المنوي الناضج Mature sperm فتوجد بكل خلية ٢٣ مفردة من الكروموزوم . ولما كانت ناقلات الوراثة هذه منقولة عن الوالدين فإن الطفل في الغالب يشبه والديه . ولكن نظراً لتكوين خلايا الطفل من كل من الأب والأم ، لذلك يصبح له نموذج خاص به من الكروموزوم ذلك التركيب الذي يختلف من فرد إلى آخر . هذا فيما عدا التوائم العينية أو الصنوية Identical twins ، تلك التوائم التي تتكون من انقسام أو انشطار الخلية الأولى انشطاراً كاملاً بحيث يكون كل قسم منها طفلاً مستقلاً ، ومن سمات مثل هذه التوائم أن تكون من نفس الجنس ، وتحمل نفس الصفات والخصائص الفيزيقية كالطول والوزن والشعر والعينين وما إلى ذلك ، لأنها تتكون من كروموزومات واحدة ، لأنها تنمو من بويضة واحدة مخصبة one fertilized avum . أما التوائم العادية Fraternal twins فتنمو من بويضتين ova وعلى ذلك فإن الكروموزوم فيها ليس واحداً .

من أهم خصائص الشخصية وسماتها جنس صاحبها ، فكيف يتحدد جنس الفرد ذكراً كان أو أنثى ؟

المعروف أن الكروموزوم المكون لكل جزء طولاً واحداً ، فيما عدا استثناءاً واحداً من حالة الذكر حيث يوجد زوج من الكروموزوم يطلق عليه X - Y لكل منها طول خاص ، فـ (x) أكثر طولاً من (y) التي هي قصيرة جداً . فإذا حدث في لحظة الإخصاب ، أن تلقت الخلية الكروموزوم القصير (y) من

الأب فإن الطفل يكون ذكراً . وإذا استقبلت الخلية الكروموزوم الطويل (x) من الأب فسوف يكون الطفل أنثى . ومن الجدير بالذكر أن قوانين الوراثة ليست مطلقة فقد تتغير مادة ناقلات الوراثة ، وقد يحدث هذا التغير لأسباب غير معروفة ، وقد يكون نتيجة للتعرض لأشعة (x) أو للأشعة فوق البنفسجية أو نتيجة للتعرض للإشعاع الذري أو بعض الكيماويات . وهذا التغير إذا حدث من خلايا التكاثر ، فإنه ينتقل للذرية من جيل إلى آخر ، ومن الأعراض التي قد تنتج عن تغير الجينات هذا، النزيف الدموي ذلك المرض الذي قال إن الملكة فيكتوريا كانت تحمله ، ولم يظهر عليها وإنما ظهر على أحفادها ، ولعل هذه الخطورة هي التي تدفع الأطباء إلى منع أخذ صور بأشعة (x) من مناطق الخصيتين والرحم ovaries and testicles . كما يضيف هذا الخطر إلى الرعب الذي يسببه الإشعاع الذري لبني الإنسان . ولا شك أن هذا الانسجام الكروموزومي يتأثر بالحوادث ، فعلى سبيل المثال قد يصاب المولود بنوع من التخلف العقلي Mental retardation المعروف باسم المنجولية Mangolism يحدث من وجود كروموزوم أزيد من اللازم في أحد الأزواج الثلاثة والعشرين . كذلك قد يؤدي وجود عدد غير طبيعي من كروموزوم الجنس كأن تأخذ شكل (X . X . X) أو شكل (X . X . Y) أو أي تركيب آخر ، ويؤدي ذلك إلى تخلف الذكاء أو الإصابة بالعقم . وقد يمتلك الفرد عضواً جنسياً لأحد الجنسين بينما يمتلك كذلك بعض الصفات الفيزيقية التي تنتمي إلى أفراد الجنس الآخر .

هذه صورة من صور تأثير ما يرثه الإنسان عن آبائه وأجداده ، ولكن ليست هذه هي العوامل الوحيدة المؤثرة في الشخصية ، ذلك لأن هناك مجموعة أخرى من العوامل الموجودة في البيئة المادية والاجتماعية التي يشب ويترعرع في كنفها الفرد . والواقع أن العلاقة بين العوامل الوراثية والبيئية إنما هي **علاقة تفاعل** Interaction أي أن كل منها يؤثر ويتأثر بالمجموعة الأخرى . فهناك تأثير متبادل بين البيئة والوراثة . أما تحديد الأثر النسبي لكل منها فإنه أمر يبدو بالغ الاستحالة على القليل في الوقت الحاضر ، فلا نستطيع أن نزعم أن البيئة أكثر تأثيراً مثلاً من الوراثة في شخصية الفرد .

التفاعل بين البيئة والوراثة :

لا شك أن تأثير كل من البيئة والوراثة موجود منذ اللحظة الأولى للإخصاب conception فالبيئة تؤثر في النمو الذي يحدث في رحم المرأة uterus قبل الميلاد ، كما تؤثر في الطفل ظروف ولادته وما إذا كانت سهلة أم صعبة ، كما يؤثر فيه العالم الخارجي بعد ذلك ، وفي نفس الوقت يتحدد النمو عن طريق المورثيات، ومع ذلك يمكن أن نحدد الجوانب التي تظهر فيها الوراثة بصورة أقوى من البيئة ، من ذلك البناء الفيزيقي للشخص كطول القامة ولون البشرة . أما الأمور المكتسبة أو التي يتعلمها الفرد عن طريق انخراطه في البيئة وتفاعله وإياها فإنها لا تنقل عن طريق الوراثة البيولوجية إلى الذيرية offspring من ذلك المعرفة والمهارات والمخاوف والقدرة على الاستحسان أو التقدير أو الاهتمامات والميول أو الأمراض المعدية . فالإنسان لا يولد ماركسياً أو رأسمالياً كما أنه لا يولد صانعاً حاذقاً أو سائقاً ماهراً ، ولكنه يرث فقط تركيب وبناء جسمه ، ولا شك أن شخصية الفرد وسلوكه يتأثران بالعوامل الفيزيقية كما يظهر ذلك من سلوكه اليومي ومن مظهره حيث يتأثر ذلك بقدرته على السمع والرؤية والإحساس اللمسي والإحساس بالحرارة والبرودة ، كما تؤثر في سلوكه مقدار ما يمتلك من قوة وعضلات ، كما يتأثر بكفاءة قلبه من النشاط ورئتيه ومعدته وأمعائه أو أحشائه ، وفوق كل ذلك يتأثر بمخه أو دماغه Brain وتؤثر هذه العوامل، وغيرها ، في مقدار ما يتعلمه الفرد . ولا شك أن هذه العوامل الفيزيقية كالقلب أو الدماغ أو المعدة تؤثر تأثيراً كبيراً في الوظائف النفسية للفرد .

وهناك كثير من الشواهد والأدلة التي تقطع بحدوث التفاعل بين العوامل الوراثية الجسمية والعوامل البيئية . ومن أظهر هذه الأمثلة ما يعرف باسم الأمراض « السيكوسوماتية » تلك الأمراض التي يزداد انتشارها وتفاقمها في العصر الحالي ، وهي الأمراض التي تنشأ من عوامل نفسية كالقلق والتوتر والحزن والاكتئاب، ولكن أعراضها تتخذ شكلاً جسمياً أو عضوياً . ومن هذه الأمراض الدالة على التأثير المتبادل بين النفس والبدن ، الربو والقرحة وضغط الدم والسكر وتصلب الشرايين والحساسية وبعض أمراض الفم والأسنان

وبعض الأمراض الجلدية . ولعل أهم ما يعنينا إزاء حقيقة التفاعل بين العوامل البيئية والوراثية هو ضرورة العمل على تحسين كل منهما وتطويره وعلاج مما يصيبه من علل أو ضعف حتى يشب الفرد صحيح الجسم والعقل والنفس ، قوياً مؤمناً بربه وعروبته ووطنيته وإسلامه الحنيف .

الفصل الثامن

الإدمان وأثره في الجريمة

- الإدمان وأثره في الجريمة .
- العلاقة السببية .
- تفسير السلوك الإجرامي .
- أضرار إدمان الخمور والمخدرات .

الإدمان وأثره في الجريمة

في هذه الأيام تتعرض الأمتان الإسلامية والعربية لكثير من المؤثرات والحروب الخفية والعلنية ، ومن ذلك دعوات التشكيك ، والغزو الثقافي ، وحملات التحريض والوقيعة بين أبناء الأمة الواحدة ورفاق السلاح ، بحيث يوجه السلاح إلى صدور بعضنا البعض بدلاً من أن يوجه إلى قلب العدو الحقيقي للإسلام وللعروبة . ولذلك تجد الدماء المسلمة تراق بأيدي مسلمة أيضاً ، وتلك مأساة العصر .

ولولا خشية أعداء الإسلام منه ، ومن قوته ، وقوة أبنائه ، لما وجهوا إليه تلك الطعنات السافرة والمستترة . ومن بين هذه الحملات التي تستهدف النيل من كيان المجتمع الإسلامي تصدير كميات هائلة من الخمور والمخدرات إليه ، وكذلك الأقراص والحبوب وما إليها من السموم البيضاء التي تقتل من يتعاطاها قتلاً سريعاً أو بطيئاً .

وللأسف الشديد هناك بعض البلدان الإسلامية التي أباحت تعاطي الخمور وأعفت شاربها وبائعها وصانعها من طائلة العقاب المدني ، بحجة أنها مسؤولية شخصية ، وأن الشارب يتحمل هو نفسه نتائج شربه ، من شكل هدم صحته وذهاب عقله وفقدان وظيفته وانحطاط كرامته وتفكك أسرته وفقره وإفلاسه . . . ولكنهم ينسون حقيقة هامة وهي أن الخمرة محرمة شرعاً ، وأن تحريمها لم يكن عملاً عفوياً ، وإنما هو لصالح الإنسان والمجتمع ولإرضاء الله تعالى . فالخمر تذهب العقل ، وبذلك تحجب الفرد عن ذكر الله تعالى

وعن عبادته . وينسون ، فوق كل ذلك أن الخمر تقود صاحبها إلى ارتكاب الجريمة والانحراف . فهناك كثير من الجرائم التي يرتكبها أصحابها بسبب تورطهم في إدمان الخمور أو المخدرات حيث تعجز إمكاناتهم المالية عن سد عادتهم المرضية السيئة ، فيلجأون إلى السرقة أو الاختلاس أو السلب أو النهب أو التزوير أو إعلان إفلاس تجارتهم وبيع ما يمتلكون . ولذلك تسارع أسرهم بفرض الحجر عليهم لمنعهم من التصرف في أملاكهم تصرفاً سيئاً .

والمعروف أن الدخل العادي للفرد يصبح غير كاف في حالة التورط من الإدمان ، يضاف إلى ذلك أن هذا الدخل يأخذ في التضاؤل والنقصان بتدهور حالة المريض يوماً بعد يوم حتى ينتهي به الحال إلى التسكع والتشرد والبطالة ، وكلها جرائم يعاقب عليها القانون . وبدلاً من أن يكون الفرد قوة إنتاجية تضيف إلى خير المجتمع ، يصبح عالة عليه .

وإذا كانت الخمر وغيرها من المخدرات تذهب العقل ، والعقل هو القوة الضابطة في الإنسان ، فإن سلوكه يصبح غير منضبط ، لأنه يصبح فاقد الوعي والإدراك والفهم ، فلا يدرك مثلاً عواقب الأمور ، ومن هنا ينجرف في تيار الجريمة . وبحكم فقدان القوة الضابطة والموجهة لسلوك الإنسان وتصرفاته . وكثيراً ما يرتبط إدمان الخمور والمخدرات بأنواع أخرى من السلوك المنحرف كلعب القمار أو الميسر ، والمراهنات ، والنشاط الجنسي غير المشروع ، والاختلاط المزري بين الجنسين ، وحضور حفلات ماجنة للرقص الرخيص أو للخلاعة وغير ذلك من مظاهر الفساد .

وتؤثر الخمور والمخدارت على سلوك من يتعاطاها بطريق آخر من طريق التقليد ، فغالباً ما يتجمع المدمنون في جماعات متشابهة ومتجانسة من أهل الشذوذ ، ويؤدي الانخراط مع مثل هذه الجماعات إلى نتائج خطيرة عن طريق التقليد والمحاكاة . فالإنسان بطبعه ، يميل إلى تقليد من يعاشرهم ويخالطهم ويتأثر بهم [1] سواء كان ذلك بطريقة شعورية أو بطريقة غير شعورية ، ويظهر

(١) د . حامد زهران ، علم النفس الاجتماعي ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٧ م .
ـ راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية ـ د . العيسوي ـ الدار الجامعية ـ بيروت .

هذا التأثير بصورة واضحة في حالة أقران السوء من شلل الشبان والمراهقين ، حيث يؤدي انخراط الشاب السوي في مثل هذه الجماعات السيئة إلى أن يقلدهم ، ويتمثل بهم ويتخذ منهم قدوة ومثالاً سيئاً [١] .

ولذلك كان من الأهمية بمكان ضرورة توفر القدوة الحسنة والمثال الطيب الذي يقتدى به ، والنموذج الصالح أمام الإنسان . وصدق إسلامنا العظيم حين يقرر أن المرء على دين خليله .

الصلة وثيقة ، ولا شك ، بين السلوك الإجرامي وإدمان الخمور والمخدرات ، ذلك لأن كلاهما نمط من أنماط الانحراف والشذوذ ، والخروج على الشرع وعلى القانون والعرف والتقاليد والقيم والمثل والأخلاق ؛ وجميعهم لون من ألوان الشذوذ ، وكلاهما منكر منهى عنه ، وكلاهما كبيرة من الكبائر وفاحشة من الفواحش .

ويزداد خطر المخدرات على شبابنا المسلم بازدياد قدرته المالية على شراء هذا السم الفتاك ، كما يزداد هذا الخطر تبعاً لجو الحرية الذي تمنحه الأسرة لأبنائها ، وفوق ذلك ينمو هذا الخطر مع زيادة هجمات التهريب إلى بلادنا .

وإذا كنا نعرف أن الفضائل الحميدة مترابطة ، فالرذائل أيضاً مترابطة فإذا وجد الإدمان يحتمل أكبر الاحتمال أن يقود إلى رذيلة أخرى وهي الجريمة أو الدعارة أو السرقة أو الاختلاس أو حتى القتل . ذلك لأن الإنسان عندما يكون واقعاً تحت تأثير المخدرات ، فإنه يخضع لكثير من الأوهام والتهيؤات التي تصور له أشياء لا وجود لها[٢]. فقديتخيل أن زوجته تخونه مع أعز أصدقائه ، ولذلك يقتلها ، وقد يتخيل أن صديقه يدبر لقتله ولذلك يبادره هو بالقتل . وقد يعتقد أن الناس جميعاً أصبحوا أعداءه ، وأن المجتمع بات يحيك له المؤامرات ويدبر لاغتياله ، أو أن زوجته تدبر لدس السم له . وكلها

---

(١) د. حامد زهران ، علم نفس النمو : الطفولة والمراهقة ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٧ م .
(٢) د. أحمد عزت راجح أصول علم النفس ، دار القلم ، بيروت ، لبنان .
ـ راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية ـ د. العيسوي ـ الدار الجامعية ـ بيروت .

أوهام لا وجود لها في عالم الحقيقة ، ولكنه الخيال المريض المشوش الذي نتج عن تعاطي المخدر واستبداده بالمريض . ولذلك لم يكن غريباً أن يتبين الطب العقلي ما يعرف باسم « جنون الإدمان » وجنون الاضطهاد ، وجنون العظمة ، وأن يصف الهلاوس والخيالات والأصوات والمرئيات والأشباح التي يراها المدمن كأنها حقيقة واقعة وهي ليست كذلك . والخمر ، من عبارة سهلة يسيرة ، يحيل الإنسان إلى بهيم فاقد الوعي والعقل والإدراك والتمييز بين الصواب والخطأ ، بل يعجز عن تمييز المسافات والأطوال والألوان والأصوات ، ولذلك حرمت بعض الدول الأوروبية التي تبيح شرب الخمر ، أن يشرب الفرد الخمر ثم يسوق سيارته لأنه يرتكب في هذه الحالة كثيراً من حوادث السير . ومن ذلك المملكة البريطانية المتحدة التي أصدرت قانوناً يعرف باسم « قانون السكر والقيادة » .

ومن الجرائم البشعة التي قد يأتيها المدمن ، كما تدل على ذلك بعض الإحصاءات ، أن الرجل المدمن قد يفقد عقله ويعتدي جنسياً على ابنته أو واحدة من محارمه . وتلك جريمة مأسوية بشعة . وقد يلجأ المدمن إلى ضرب امرأته لكي يأخذ منها نقودها ليشتري بها مخدر أو خمرة .

العلاقة السببية :

هل نستطيع أن نقرر علاقة سببية أو علّية بين الخمر والمخدرات من ناحية والجريمة من ناحية أخرى ؟ وإذا كنا نقرر مثل هذه العلاقة فأيهما يكون سبباً في حدوث الآخر ؟ هل الخمر هي التي تدفع للجريمة وتكمن ورائها كعامل سببي ؟ أم أن الجريمة هي التي تقود إلى الخمر والإدمان ؟

من الأدلة الإحصائية والجنائية يتضح أن الإدمان يمثل عاملاً سببياً لبعض الجرائم كسرقة الأموال العامة وغيرها. ولكن الجريمة نفسها، وغيرها من مظاهر السلوك الانحرافي ، قد تقود إلى الإدمان ، فالتورط من جريمة ما قد يدفع المجرم إلى شرب الخمر بدعوى الرغبة في « نسيان » الفرد المجرم مأساته . ولكن الخمر بدلاً من أن تنسيه مأساته تضيف إليه مأساة جديدة وتزيد عنده الشعور بالاكتئاب والحزن ، وضعف الروح المعنوية . كذلك فإن جرائم

كالتشرد أو لعب القمار قد تؤدي إلى شرب الخمر أو المخدرات بحكم الاختلاط مع « جماعة الشرب » الذين هم أيضاً من المجرمين .

فالعلاقة بين الإدمان والجريمة « علاقة سببية دائرية » ، بمعنى أن الإدمان يقود إلى الجريمة ، وأن الجريمة بدورها تقود إلى مزيد من الإدمان . وكلاهما قد يؤدي إلى الآخر ويزيد من حدته ووطأته .

ولذلك كان من الضروري ، في وضع برامج رعاية هؤلاء ، أن تكون هذه الرعاية شاملة لكافة مظاهر الانحراف سواء ما كان منه في شكل إدمان أو جريمة .

من حيث الأسباب :

إذا أردنا أن نبحث في الأسباب التي تؤدي إلى الجريمة وتلك التي تؤدي إلى الإدمان لوجدنا أن هذه الأسباب تكاد تكون واحدة . فالعوامل السببية الواحدة قد تقود صاحبها إما إلى الجريمة أو الإدمان أو إليهما معاً .

ويتضح ذلك من التحليل الآتي للعوامل التي تؤدي إلى شرب الخمر[1] :

١ - قد يلجأ الفرد لشرب الخمر لنسيان ما يواجهه من مشكلات وأزمات .

٢ - تدفع الإنسان الرغبة في التقليد في شرب الخمر ، تقليداً ومجاراة لزملاء السوء .

٣ - قد يشرب الفرد ، لأول مرة ، على سبيل التجربة ومعرفة مذاق الخمر .

٤ - تدفع مشاكل الزواج والطلاق والهجر والانفصال والكراهية بالبعض إلى حافة الخمر .

٥ - وقد تؤدي ظروف البيوت المحطمة التي ينشأ فيها الأطفال والمراهقون إلى الإدمان حيث يتعرض فيها الطفل لكثير من مظاهر الحرمان من الإشباع المادي والعاطفي ومن الحب والوفاء والحنان والتوجيه والإرشاد ، ويعاني من القسوة والشدة والصرامة في التعامل أو الإهمال والنبذ والطرد وعدم

---

(١) د . فاروق سعيد عبد السلام ، سيكولوجية الإدمان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٣٩٧ هـ .
- راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية - د. العيسوي - الدار الجامعية - بيروت .

قبول الأسرة للطفل . كذلك فإن الطفل قد يعاني من جو الخصام والشجار والصراع الذي يعكر صفو المنزل . ولا يقل عن ذلك خطراً تربية الطفل على الحرية المطلقة والفوضى وعدم الانضباط وعدم الالتزام . فالحرية الزائدة لا تقل ضرراً عن الصرامة الزائدة .

٦ ـ من العوامل السببية في الإدمان أن يكون الأب نفسه سكيراً فيشب الأبناء على هذه العادة الوخيمة .

٧ ـ قد تؤدي حوادث عارضة كالإفلاس أو الفصل من الوظيفة إلى الارتماء في براثن الإدمان .

وإذا ما تأملنا في العوامل والظروف التي تقود إلى الجريمة لوجدناها لا تختلف كثيراً عن هذه العوامل وتلك الظروف السيئة التي يعاني منها الفرد في ثنايا « عملية التنشئة الاجتماعية » . تلك العملية التي يفترض أن يمتص الفرد من خلالها القيم والمثل العليا والعادات والتقاليد والأعراف والخصال والفضائل والعقائد التي يرتضيها الدين والمجتمع . ويتعلم أنماط السلوك المقبول في المجتمع . فالعوامل غير المؤاتية في نشأة الفرد والمحيطة بظروفه الاجتماعية والأسرية والاقتصادية والعملية قد تدفع إما إلى الجريمة ، وإما إلى الإدمان . فالأسباب مشتركة .

وبطبيعة الحال هذا التفسير لا ينفي الرأي القائل بإرجاع الإجرام إلى عوامل وراثية منقولة للفرد عن الآباء والأجداد أو عوامل فسيولوجية عضوية وإن كانت الكتابات تميل إلى ترجيح الرأي القائل بإرجاع الجريمة إلى كل من العوامل الوراثية والبيئة معاً ، بل إلى تضافر وتفاعل هذه العوامل وتأثير بعضها في البعض بحيث ينتج عنها السلوك الإجرامي . بل إن الإنسان سوياً كان أم مريضاً ، يتفاعل مع الظروف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والأسرية والتربوية التي يعيش في وسطها ، وينتج عن هذا التفاعل سلوكه . وكما يتأثر الإنسان بالبيئة فإنه أيضاً يؤثر فيها تأثيراً إيجابياً أو سلبياً .

تفسير السلوك الإجرامي :

هناك نظريات ترجع الجريمة إلى عوامل طبيعية كالمناخ والحرارة ،

وهناك نظريات ترجعها إلى عوامل اقتصادية ، وأخرى ترجعها إلى عوامل حيوية بيولوجية ومن ذلك نظرية عالم الإجرام الإيطالي لامبروزو والذي وصف ما أسماه المجرم [1] بالميلاد . ويتميز في نظره بسمات جسمية خاصة ترجعه إلى سمات الإنسان الأول ومنها عدم انتظام شكل الجمجمة وضخامة الفكين وبروز عظام الخد وكثافة الحاجبين وما إلى ذلك من السمات الجسمية . ولكن الاتجاه الحديث يركز على إرجاع السلوك الإجرامي إلى مجموعة من العوامل النفسية والشخصية والاجتماعية والاقتصادية وليس إلى عامل واحد بعينه . ولذلك فإن أساليب الرعاية والعلاج يجب أن تكون عامة تتناول جميع العوامل وتسعى لتعديلها وتحسينها والوقاية منها .

ويجدر أن نشير للقارىء الكريم بالأضرار المختلفة التي تنتج عن الإدمان ، ولذلك ينهي الإسلام الحنيف عنه نهياً قاطعاً .

أضرار إدمان الخمور والمخدرات :

وخير ما نتأسى به قول رسولنا الكريم في الرد على من يدعي استعمال الخمر للدواء ، فقد روى طارق بن سويد الجعفي ، بأنه سأل النبي ﷺ عن الخمر فنهاه وكره أن يصنعها قال : « يا رسول الله إن بأرضنا أعشاباً نعتصرها فنشرب منها قال : لا ، فراجعته قلت إنا نستشفي للمريض ، قال : إن ذلك ليس بشفاء ولكنه داء » رواه الإمام مسلم .

ومن مضار الخمر الصحية إتلاف المعدة وتليف الكبد ، وفقدان الشهية وضعف الخلق . وقد يؤدي إلى الإصابة بأمراض الكلي أو السل . والسكر يضعف القوة العاقلة والقوة الإدراكية في الإنسان وكثيراً ما ينتهي إلى الجنون [2] . وقد يؤدي إلى حدوث التقيح في المعدة كما يضعف حاسة الذوق في اللسان . ومن أضراره على الدورة الدموية أنه قد يتسبب في ضيق

---

(١) د . السيد علي شتا ، علم الاجتماع الجنائي ، دار الإصلاح ، الدمام ، السعودية ، ١٤٠٤ هـ .

(٢) د . صالح المنصور ، موقف الإسلام من الخمر ، القاهرة ، ١٤٠٥ هـ المؤلف هو الناشر .

ـ راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية ـ د. العيسوي ـ الدار الجامعية ـ بيروت.

الشرايين وتصلبها . ويقال إنه يؤدي إلى ضمور المبيض عند المرأة وإلى صغر الخصي عند الرجل ، وقد ينتج عنه كذلك حدوث العقم .

ومن وجوه الضرر الذي ينتج على الجهاز العصبي إصابة المدمن بالشلل . ومن الأضرار الاجتماعية للخمر أنه أكبر وسيلة لإفشاء الأسرار ، ولذلك يستخدمها الجواسيس للحصول على أسرار الدولة حيث يعتمد على مدمني السكر، لأن السكر يضعف عندهم المشاعر القومية والوطنية ويجعلهم يفرِّطون في مصالح الوطن مقابل دراهم قليلة أو كثيرة أو لذات وشهوات طائشة . ومن أضرارها أنها وسيلة لنشر البغضاء والعداوة لقوله تعالى ﴿ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ﴾ المائدة ٩١ . ولذلك كان الخمر بحق « داء المجتمعات وسرطان الأمم » .

ولعل أشد أضرار الخمر هي تلك الأضرار الدينية فهو كبيرة من الكبائر المنهى عنها لأنها تصد العبد عن ذكر الله تعالى وعن العبادة وعن الصلاح كما في قوله تعالى ﴿ ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾ المائدة ٩١ . وذكر الله تعالى سبيل أكيد للشكر والحمد ، وذكر الله يجعل العبد يخاف خالقه العظيم ويتبعد عن المعاصي والآثام والذنوب ويؤدي الصلاوات والعبادات ويطيع والديه ويحسن إليهما ويصل رحمه ويحسن إلى جاره ويستر أخاه المسلم ولا يؤذيه ولا يقتل نفساً محرمة ولا يزني أو يسرق أو يخون أو ينافق ويرائي . فإذا شرب الإنسان الخمر نسي ربه وغاب عقله وترك صلواته ووقع في المحرمات ، ولذلك كانت حكمة الشرع الإسلامي حين وضع عقوبات صارمة لشارب الخمر فالحد هو « المنع من فعل ما حرم الله عز وجل بواسطة الضرب أو القتل ، وحدود الله تعالى محارمه التي أمر أن تتحامى فلا تقرب »[1] .

والخمر هو المسكر من كل شراب أياً كان نوعه أو المادة المصنوع منها لقول رسولنا ﷺ « كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام » رواه مسلم .

---

(١) أبو بكر جابر الجزائري ، منهاج المسلم ، دار الفكر ، دار الفتح ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ١٣٩٢ هـ .

ويحرم الخمر قليله وكثيره لقول رسولنا ﷺ « لعن الله شارب الخمر وبائعها » وحد الخمر الجلد ثمانون جلدة على ظهره في المسجد أو في مكان عام ليكون عبرة لغيره . وإذا شرب المدمن الخمر بعد إقامة الحد عليه ، يقام عليه ثانية . وهكذا كلما شرب كلما أقيم عليه الحد .

وهكذا يرى القارىء الكريم أن الخمر وغيره من المخدرات من أدوات الفساد والإفساد الشخصي والاجتماعي ومن العوامل المساعدة على ارتكاب الجرائم وشيوع السلوك الانحرافي ، الأثر الذي يوضح ضرورة عودة المسلم المعاصر إلى حظيرة الدين الإسلامي والتمسك بآدابه وفضائله والقيام بواجباته وأخصها ذكر الله تعالى والدعاء بأن يبعد الله عنه الشرور والأخطاء والأمراض .

الفصل التاسع

ظاهرة العنف : أسبابها وسبل علاجها

* خطورة ظاهرة العنف .
* أهمية التشخيص العلمي .
* التصدي للعنف مسؤولية المجتمع ككل .
* العنف مرض .
* نظرية استهداف العنف .
* تحليل الاستجابة العنيفة .
* العنف الفردي والجماعي .
* استراتيجية علاج العنف .
* الهدى الإسلامي .

ظاهرة العنف : أسبابها وسبل علاجها

مقدمة : خطورة ظاهرة العنف :

تعتبر ظاهرة العنف مشكلة خطيرة تواجه كثيراً من المجتمعات في العالم . ومما يزيد في خطورتها أن غالبية من يتورطون فيها من الشباب . . والشباب ثروة المجتمع وإن كان في بعض الأحيان يتسم سلوكه بالتسرع وعدم التروي . والمعروف أن الأمراض الاجتماعية ، ومن بينها مرض العنف ، كالشأن في الأمراض الجسيمة يصيب المريض فيها السليم عن طريق انتقال العدوى . والشباب هم أكثر فئات المجتمع تعرضاً للتقليد والمحاكاة [1] . وإن كان ما يجري من عنف يقع في خارج نطاق أوطانهم . ذلك لأن العالم الحديث أصبح صغيراً وفي متناول اليد بحكم ما يمتاز به من وسائل نقل واتصال بالغة السرعة ، فما يجري في أقصى شمال العالم يعلم به أقصى جنوبه في حال وقوعه .

والعنف ، فوق أنه أسلوب بدائي غير متحضر ، يشكل ، في كثير من الأحيان ، جريمة يعاقب عليها المجتمع ، وككل الجرائم ، ينخر في كيان المجتمع وينال من وحدته وتماسكه واستقراره وأمنه .

وفي هذا الفصل نسوق للقارىء الكريم عرضاً لمظاهر العنف وتحليلا لشخصية مرتكب جرائم العنف وأنواع العنف والأسباب التي تكمن ورائه والنظريات التي وضعت لتفسيره وأساليب الوقاية والعلاج من هذا الخطر المدمر .

---

(١) د. عبد الرحمن العيسوي ، سيكولوجية الشباب العربي ، دار المعرفة الجامعية ، إسكندرية .

العنف يؤثر في قطاعات كثيرة من المجتمع :

تمس مشكلة العنف violence كثيراً من فئات المجتمع وطبقاته وأفراده ، فهي تمس ، في المحل الأول ، أسرة الشخص الذي يمارس العنف أو العدوان ، كما أن العنف يخلق كثيراً من المشكلات لرجال الأمن والشرطة والمعلمين والمعلمات ، وحراس السجون ، إلى جانب ضحايا العنف victims . كذلك تهم دراسة العنف كل المؤسسات الإصلاحية في المجتمع [1] correctional organization .

أهمية التشخيص العلمي :

ولعلاج موجات العنف التي تجتاح شباب اليوم يلزم تشخيص حالات العنف ، أي دراسة ظاهرة العنف ومعرفة أسبابها ودوافعها والمظاهر التي تتخذها . ذلك لأن المعالجة الفعالة والتداول الحسن لمشكلة العنف تحتاجان إلى التشخيص الجيد لتحديد كم وكيف المشكلة والتعرف على أسبابها ودوافعها بغية استبصار هذه المشكلة وفهمها فهماً عميقاً . . ذلك الاستبصار insight الذي يفتقر إليه كثير ممن يتولون معالجة مشاكل العنف في الوقت الحاضر .

التصدي للعنف مسؤولية المجتمع ككل :

والحقيقة أن قضية العنف والتطرف إنما هي قضية المجتمع بأسره ولا يمكن النظر إليها على أنها من مهام رجال الأمن وحدهم ، ذلك لأن المؤسسات الاجتماعية الأخرى ، وكذلك الجماعات ، والأفراد مسؤولون أو شركاء في المسؤولية في دفع شرور العنف والتطرف عن حظيرة المجتمع ، بل مسؤولون عن نشأته وتطوره في الشخص المنحرف .

فالمؤسسات التربوية ينبغي أن تتصدى لقضايا العنف والتطرف باعتبارها قضايا تربوية ، وبالمثل فإن أجهزة الإعلام والثقافة الجماهيرية يتعين عليها أن

---

(١) Toch . Hans . Violent men . an inquiry into the psychology of violence . a pelican Book . 1972 .

تقوم بدور إيجابي وفعال في توجيه الشخصية العربية وصقل مقوماتها وتربيتها على حسن المواطنة الصالحة ، وعلى الطاعة والانضباط والاعتدال ، وعلى رجال الدين والوعظ والإرشاد تقع مسؤولية الإرشاد الواعي وتطهير أذهان الشباب من الشوائب والخبائث والتيارات الملحدة والوافدة ، وغرس مبادىء الهدى الإسلامي الحنيف الذي يتسم بالتوسط والرفق والاعتدال .

العنف كمرض:

وتعتبر وجهة النظر الحديثة العنف مرضاً اجتماعياً أو اضطراباً اجتماعياً أكثر من كونه جريمة ، ومن ثم لا بد له من البحث عن أسبابه بغية معالجته ، فظاهرة العنف تعد عرضاً معتلاً أو مرضياً symptom أو صيحة إنذار أو رسالة خطر على المجتمع أن يحسن قراءتها . ولفهم ظاهرة العنف يجب معرفة دوافعها الكامنة في شخصية الفرد الذي يلجأ إلى العنف أو التطرف ، وكذلك بواعثها الاجتماعية . ومن هنا فإن دارس العنف لا بد وأن يدرس المناخ الاجتماعي الذي يقع فيه العنف . ولذلك فإن علاج العنف والتطرف يتخذ شكل الإصلاح الاجتماعي social reform وكذلك يتعين أن يتخذ شكل إعادة تأهيل أو تربية الشخص العنيف [1] individual rehabilitation .

وبطبيعة الحال يتخذ العنف أشكالاً متعددة تظهر في المدرسة وفي الجامعة وفي السجون وفي الحياة العامة وفي الأندية الرياضية والأحزاب السياسية والدينية .

وقد يؤدي العنف إلى جرائم كثيرة منها القتل والسرقة والنهب والثورة والتمرد والعصيان والإضراب والتحريض عليه والضرب والاعتداء والتدمير والتحطيم وإتلاف الممتلكات . ومن ذلك ما يحدث في المجتمع الأميركي بين الصبية من الزنوج . فإذا ما أردنا التأمل في مظاهر العنف التي يقوم بها مثل هؤلاء الصبية كان لا بد لنا من التعرف على مخاوفهم وآلامهم ومشكلاتهم

---

(١) د. عبد الرحمن العيسوي ، سيكولوجية الجنوح ، منشأة المعارف بالإسكندرية ـ مصر ، بدون تاريخ .

ـ راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية ـ د. العيسوي ـ الدار الجامعية ـ بيروت .

ومدى عزلتهم ومقدار شعورهم بالاعتزاز ورغبتهم في إثبات وجودهم ، والتعبير عن ذواتهم وحاجتهم النفسية للاحترام والتقدير . وسوف نجد في نهاية التحليل أن هذه الحاجات غير مشبعة على النحو الصائب .

تعقد ظاهرة العنف :

ولا شك أن قضية العنف قضية معقدة ومتشعبة تحتاج في بلادنا لكثير من الدراسات والبحوث الميدانية النفسية والتربوية والاجتماعية والأمنية والقضائية والقانونية . لذلك فإننا نهتم هنا باستعراض نظرية واحدة من تلك النظريات التي وضعت لتفسير الفعل العنيف ونعني بها نظرية الميل لاستهداف العنف .

نظرية استهداف العنف Violence - proneness

فهناك الشخص الذي ينظر لغيره من الناس كما لو كانوا آلات أو أدوات tools أو دمى خشبية لا تحس ولا تشعر وضعت خصيصاً لكي تخدم حاجاته وأغراضه . ومن هنا فالناس في نظر مثل هذا الشخص مجرد دمى خشبية لا تحس ولا تشعر ولا تفرح ولا تتألم وليس لها ماله من حق الحياة ويستطيع أن يلقى بها أو يطأها بأقدامه دون أي أحساس بالذنب . ثم هناك الشخص الذي يشعر بأنه قابل للجرح أو الانجراح أو الإهانة vulnerable أي أنه يشعر بأنه عرضة للهجوم لأنه غير حصين أو غير محصن ، وأنه على وشك السقوط في يد الأعداء ومثل هذا الشخص يكون شديد الحساسية للنقد وسريع التأثر بالنقد أو بالإغراء ولديه قدر كبير من البارانويا ، أي جنون الاضطهاد ، حيث يتوهم أن المجتمع يضطهده ويبخس حقوقه ويتآمر عليه .

وكل من هذين الشخصين من نوع واحد ، وهما وجهان لعملة واحدة إذ يسيطر عليهما معاً اعتقاد مؤداه أن العلاقات الإنسانية human relationships تعتمد على القوة أو تتمركز حول القوة ، ولذلك فإنهما ينتهجان منهج القوة في تحقيق مأربهما . . مثل هؤلاء الناس ينظرون إلى الأشياء من وجهة نظر واحدة أو نظرة ذات جانب واحد هو جانبهم فقط one - way affair ومن هنا فإنهم يعجزون عن رؤية الأشياء كما يراها الغير أو من زاوية الغير . ومن هنا فلا

يستطيعون المشاركة العاطفية أو الوجدانية التي تجعل الفرد يحس بما يحس به أخوه في المواطنة فيسعد لسعادته ويتألم لآلامه . مثل هؤلاء الناس يبذلون جهوداً خارقة لتحقيق ذواتهم self assertion أو لتوكيد ذواتهم وإثبات وجودهم ، ولكن بصورة مرضية وشاذة وغير مقبولة دينياً وخلقياً واجتماعياً . فالمريض من هؤلاء يريد أن يثبت ذاته ولكن على حساب حقوق الآخرين . وهم ممتلئون باليأس والقنوط والسخط والضجر والتبرم على المجتمع بما فيه ومن فيه . ويتسم سلوكهم بالحمى والاندفاع والتسرع Feverish behaviour تلك الحمى التي تكشف عن الشك الذاتي وعدم الشعور بالثقة في الذات . فالمريض في هذه الحالة يكون غير واثق من ذاته ولذلك فلا يثق في الآخرين . وبعض هؤلاء الناس يعتقدون أنهم ، بسلوكهم العدواني ، إنما يدافعون عن أنفسهم حيث يتوهمون أن أعمالهم من قبيل الدفاع عن النفس لأنهم يتوهمون أنهم يعيشون في وسط غابة من البشر human jungle أو في وسط مجتمع تحكمه قوانين الغابة . فلا غرابة أن يحكم سلوكهم قانون الغابة أو مبادىء مثل (إذا لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب) و (الغاية تبرر الوسيلة) (وبعدي الطوفان) (وعلي وعلى أعدائي) (والناس لا تحترم إلاّ الشخص القوي) و (يا روح ما بعدك روح) و (بات غالب ولا تبيت مغلوباً)[1] . . . يتصورون أنه ألقى بهم في هذه الغابة المتوحشة عنوة وقسراً وكرهاً وبلا عدل لكي يعيشوا في وسطها .

ولكننا دائماً ، في معالجتنا للأمور الإنسانية ، لا بد وأن نأخذ في الاعتبار ما يوجد بين الناس جميعاً ، أسويائهم ومنحرفيهم ، من فروق فردية ، فبعض جرائم السرقة بدافع الحاجة وليس لجذب الانتباه ، بعض الجرائم تقع لدفع نوع معين من الضغط الذي يقع على المجرم ، وقد يؤدي الضعف العقلي feeble - mindedness إلى تورط البعض في الجرائم . ولكن الطابع الغالب على مجرمي العنف الاستجابة الشديدة وإغفال مبدأ المساواة equality ومبدأ التبادل أو المبادلة reciprocity ويسعى المنحرف لتحقيق ذاته على حساب حقوق الآخرين . هذه هي طبيعة مباراة استهداف العنف .

---

(١) د. عبد الرحمن العيسوي ، العدوان المتسلط ، دار النهضة العربية ، بيروت ـ لبنان ١٩٧٦ .

تحليل الاستجابة العنيفة :

وإذا حاولنا تحليل الاستجابة العنيفة لوجدناها تمر بعدة مراحل :

أ - يبدأ الشخص العنيف بتصنيف الضحية أو الشخص الآخر الذي سيقع عليه العنف تصنيفه « كشيء » وليس كإنسان يحس ويشعر أو تصنيفه كقوة مهددة أو خطرة أو معوقة threatening .

ب - القيام ببعض الأنشطة القائمة على أساس هذا التصنيف .

جـ - رد فعل الطرف الآخر أي الضحية إذا كانت أمامه فرصة للدفاع عن نفسه .

ولقد دلت دراسة بعض القتلة الأميركان الذين يهاجمون أصحاب المطاعم على أن بعضهم قد يقنع بإهانة صاحب المطعم والاستهزاء به دون قتله إذا ما أظهر صاحب المطعم استسلاماً تاماً . أما إذا رد وقاوم فإنه يستثير دوافع القتل في المجرم . وتتوقف هذه النتيجة على مقدار الاعتدال أو الخلل الذي يصيب ذات المجرم ego .

تعلم العنف :

وجدير بالملاحظة أن العنف إن هو إلا عادة متعلمة أو مكتسبة تتدعم كلما مارس المجرم مزيداً من العنف حيث يعتقد أرباب العنف أنهم يستطيعون إشباع حاجاتهم عن طريق العنف وينظرون للحياة كلها على أنها مباراة من العنف هم أنفسهم أعضاء فيها .

ويبدو أن عادة العنف تتكون في الفرد منذ وقت مبكر في حياته من خلال العلاقات الشخصية المتبادلة . وينتج هذا الاتجاه من فشل الوالدين في عملية التنشئة الاجتماعية socialization وعدم تحمل المسؤولية الاجتماعية . وتؤدي تربية الطفل الخاطئة إلى نقص شعوره بالثبات والاتزان وحاجته إلى التأييد العاطفي ويخلق ذلك نزعات مبالغ فيها من توكيد الذات أو الدفاع عن الذات . ومثل هذه الخبرات تجعل من الصعب تكوين مفهوم صحيح عن الذات . ويعتقد المنحرف أنه يعيش في عالم، الكلمة الوحيدة فيه للقوة وأن

الاهتمام بمشاعر الآخرين ضرب من ضروب الضعف . ولكن نظراً لكون العنف سلوكاً بدائياً ، فإن المجتمع المتحضر وأبناؤه يرفضونه رفضاً قاطعاً .

والشخص العنيف في حقيقته شخص غير آمن insecured وهو يمتاز بتمركزه حول ذاته egocentricity وهو ميال لاختيار العنف كوسيلة لحل مشاكله .

وبطبيعة الحال يبدأ المنحرف بتجربة هذا المنهج فإذا نجح فيه عممه ومال إلى الإتيان بالسلوك العنيف على طول الخط .

العنف الفردي والجماعي :

هذا ومعروف أن العنف قد يكون فردياً أو جماعياً ، كما هو الحال في حالة الحرب ، الذي يستهدف القتل والتدمير والتخريب الجماعي . كذلك قد تتعرض بعض المجتمعات لحالات جمعية من السلب والنهب والسرقة والقتل والتخريب . كما يحدث في حالات المظاهرات الصاخبة أو حالات العصيان والتمرد الجماعي . ومثل هذا العمل العدواني الجمعي يتطلب جهوداً جمعية أيضاً للتصدي له وتعبئة كل قوى الطوارىء في المجتمع .

وهناك دراسات أجريت في الولايات المتحدة الأميركية حول تحليل دوافع الاضطرابات المدنية civil disorders ودوافع العنف الجمعي the motivations of violence .

وكشفت هذه الدراسات عن وجود العوامل الآتية :

١ - إحباط الآمال الناتج عن النضال أو الصراع من أجل الحقوق المدنية .
٢ - امتلاء المناخ بعناصر قبول العنف وتشجيعه .
٣ - الشعور بالإحباط من جراء الفشل في تغيير أو تحريك النظام العام .
٤ - وجود مزاج جديد ، وخاصة لدى الشباب ، بالشعور باحترام الذات والشعور بالاعتزاز القومي أو السلالي .
٥ - رؤية البوليس كرمز لقوة « البيض » والعنصرية البيضاء ضد الزنوج white racism والقمع الأبيض أي الذي يمارسه الرجل الأبيض Repression .

ولقد قرر لفيف ممن اشتركوا في حوادث العنف في عام ١٩٦٨ أن هناك أسباباً عديدة تكمن وراء تمردهم منها ما يلي :

١ ـ وحشية رجال البوليس police brutality .

٢ ـ العامل الآخر هو الثأر ضد تسخير واستغلال البيض للسود Retaliation against white exploitation .

٣ ـ العامل الثالث هو البطالة وتفشيها بين السود Unemployment .

٤ ـ خيبة الأمل أو فقدان الأمل Hopelessness .

٥ ـ الغفلة أو عدم القصد أو النية Anonymity .

حيث قرر بعضهم أنه لا يعتقد في صحة القتل أو السرقة أو الحرق ، أنهم إنما فعلوا ذلك فقط لكي يلفتوا الأنظار إليهم ولكي يعرف العالم قضيتهم وكيف يعيشون .

٦ ـ فقدان الهوية Lack of identity .

حيث يجد المريض ذاته من خلال أعمال العنف إذا فشل في إيجادها بطريقة أخرى .

وبطبيعة الحال السلوك العنيف كأي سلوك مرضي ، توجد له مجموعتان من الأسباب :

ـ المجموعة الأولى : هي مجموعة العوامل أو الأسباب المعجلة أو المفجرة أو المهيرة precipitating وهي التي تعمل عمل البارود للوقود المعد والمهيء أصلاً للاشتعال . ولذلك فهذه العوامل عبارة عن القشة التي قصمت ظهر البعير أو القطرة التي ملأت المحيط . وقد يكون السبب المفجر هذا بسيطاً جداً إذا كان الإنسان يعاني من مجموعة أخرى من الأسباب المهيئة أو الاستعدادية أو الضغوط وخيبات الفشل والحرمان والقسوة ..... إلخ .

استراتيجية علاج العنف :

يمكن وضع استراتيجية لمعالجة حالات العنف باتباع الخطوات الآتية :

١ ـ معروف أن الشخص الذي يتسهدف العنف يثير في الناس ردود فعل عنيفة أيضاً ، ولذلك فنمط التفاعل interactions بينه وبين غيره يتسم

بالعنف . ومن هنا فإن خطة التغيير أو التعديل أو العلاج ينبغي أن تستهدف خفض الحاجات التي تدفع للعنف أو خلق بدائل للتعبير أو السلوك ، بدائل بعيدة عن العنف .

٢ - والمعروف أن السلوك العنيف يرتكبه الأشخاص الذين يشعرون بعدم الأمان إزاء هويتهم identity ومكانتهم الاجتماعية أو يرتكبه أناس يتميزون بالتمركز حول الذات ego - centric ومن هنا تلزم معالجة هذه العوامل المرضية .

٣ - يتعين على أخصائي الإصلاح Reformer أو يوفر الفهم أو الاستبصار insight للمنحرف حول سلوكه ودوافعه ويتعين أن يكون هذا الاستبصار موضوعياً ومقترناً ببرامج إعادة التدريب retraining حتى يتعلم المريض الاستجابة للمواقف التي كانت تثير فيه العنف بطريقة مغايرة وينبغي أن يقترن تطبيق برامج التدريب بتطبيق الاختبارات للتحقق أولاً بأول من جدواها .

٤ - وبطبيعة الحال لا يجوز أن نطبق نفس البرامج العلاجية remedial programmes ولكن يتعين تصنيف المنحرفين في جماعات متجانسة وتأهيلهم في ضوء طبيعة كل نوع من أنواع العنف ، ذلك لأن تصنيفهم في جماعات متجانسة homogeneous groups يعد أمراً اقتصادياً وله تأثير أقوى وذلك للاستفادة من تأثير الجماعة وللاستفادة من أبعاد العناصر المغايرة ولتحقيق نوع من التنافس في مسار التقدم .

٥ - وحيث أن العنف عبارة عن سلسلة متعددة الأطراف ومن هنا يمكن تعديلها بإشراك أشخاص آخرين غير أرباب العنف مثل الآباء والأمهات ومن في حكمهم .

وجدير بالملاحظة أن برامج الإصلاح والعلاج لا ينبغي أن تقتصر فقط على الذين تثبت إدانتهم في جرائم العنف Convicted ذلك لأن غالبية مرتكبي جرائم العنف يفلتون من طائلة العقاب ، وينبغي أن تتضمن برامج الوقاية والعلاج بناء الشخصية الناضجة .

وينبغي أن نؤكد أن في الهدى الإسلامي الحنيف خير وقاية من جرائم العنف وغيرها من الجرائم التي تهدد كيان المجتمع .

الهدى الإسلامي :

قال تعالى في تحريم القتل : ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً ﴾ « النساء ٩٣ » .

وقال تعالى في القتل وسفك الدماء ﴿ من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ﴾ « المائدة ٣٢ » .

وعن رسول الله ﷺ قوله في تحريم محاربة المسلم لأخيه المسلم : « لا يشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع يده فيقع في حفرة من النار » .

في رواية لمسلم قال : قال أبو القاسم ﷺ « من أشار إلى أخيه بحديدة ، فإن الملائكة تلعنه حتى ينزع وإن كان أخاه لأبيه وأمه » .

وعن جابر رضي الله عنه قال : « نهى رسول الله ﷺ أن يتعاطى السيف مسلولاً » رواه أبو داود والترمذي .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « إن النبي ﷺ مر عليه حمار قد وسم في وجهه فقال : « لعن الله الذي وسمه » .

في رواية لمسلم أيضاً : نهى رسول الله عن الضرب في الوجه وعن الوسم في الوجه .

الدعوة إلى الرفق : قال رسول الله ﷺ « إن الله يحب الرفق في الأمر كله »

وقال أيضاً : « إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا

---

(١) القرآن الكريم .

- راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية - د. العيسوي - الدار الجامعية - بيروت.

يعطى على العنف ، وما لا يعطى على ما سواه » « رواه مسلم » .

وقال أيضاً : « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه » « رواه مسلم » . وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله (ص) يقول « من يحرم الرفق يحرم الخير كله » « رواه مسلم » .

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ص) « ألا أخبركم بمن يحرم على النار . أو بمن تحرم عليه النار؟ تحرم على كل قريب هين لين سهل » « رواه الترمذي » .

قال رسول الله (ص) : « أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط موفق ، ورجل رحيم رفيق القلب لكل ذي قربى ومسلم وعفيف ذو عيال » « رواه مسلم » .

وقال تعالى : ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ (فصلت : ٣٤ و ٣٥) .

وقال تعالى : ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ﴾ (آل عمران : ١٣٤) .

قال تعالى في تحريم إيذاء الناس: ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾ (الأحزاب : ٥٨) .

وقال رسول الله (ص) في الدعوة لحماية المسلم : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى عنه الله » .

وقال رسول الله (ص) في الدعوة للرحمة والتراحم بين الناس : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » .

وقال أيضاً في الحض على الإخاء بين المسلمين : « المسلم أخو

---

(١) صحيح الإمام مسلم .

- راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية - د. العيسوي - الدار الجامعية - بيروت.

المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه » .

وقال تعالى في الدعوة للإخاء بين المسلمين والتصالح بينهم : ﴿ إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم ﴾ (الحجرات ١٠) .

وعن حارثة بن وهب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله (ص) يقول « ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف مضعف ولو أقسم على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر » .

قال تعالى في الدعوة للتواضع : ﴿ واخفض جناحك للمؤمنين ﴾ (الحجر ٨٨) .

وقال تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾ (فصلت ٣٠) .

وقال تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر والبغي وأولئك هم المفلحون ﴾ (آل عمران ١٠٤) .

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر ، يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ (النحل ٩٠) .

---

(١) صحيح الإمام البخاري .

ـ راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية ـ د. العيسوي ـ الدار الجامعية ـ بيروت .

الفصل العاشر

دور علم النفس في مكافحة الجريمة

* علم النفس في مجال الجريمة .
* التعرف على السلوك الإجرامي وأساليب إدانته .
* العوامل الشخصية في الجريمة .
* الشخصية والجريمة .
* الاضطرابات العقلية .
* العوامل البيئية في الجريمة .
* تأثير المخدرات والخمور .
* ضغط الدم والنبض .
* الاستجابات السيكوجلفانية .
* استعمال كشاف الكذب .
* الإحساس باللمس والألم والحرارة والبرودة .
* علاج المجرمين ووسائل منع الجريمة .
* العلاج أثناء الحبس .
* العلاج بعد الإفراج عن السجين .
* وسائل الوقاية من الجريمة .

الفصل العاشر

علم النفس في قاعة المحكمة

من الموضوعات الهامة التي يساهم فيها علم النفس الحديث دراسة الجريمة ، ومعرفة أسبابها والعوامل المتصلة بها من حيث السن والجنس والذكاء والسلالة ، وكذلك العوامل البيئية المحيطة بالجريمة كالظروف الاقتصادية والأسرية ، ومعرفة أثر أجهزة الإعلام في الجريمة . . . كما يساهم علم النفس في دراسة دوافع الجريمة ، والتعرف على المجرمين ، واستخدام الأجهزة Lie detectors التي تكشف عن الكذب وإلى جانب معرفة دوافع الجريمة وطرق التعرف على المجرمين فإن علم النفس يسهم إسهاماً فعالاً في علاج المجرمين Treating offenders وتأهيلهم Rehabilitation وخاصة علاج مدمني الخمور والمخدرات والشواذ جنسياً وعلاج جناح الأحداث وغيرهم من طوائف المجرمين .

ولنبدأ مناقشة دراسة سيكولوجية الجريمة بتحديد معنى السلوك الإجرامي Criminal behaviour وأبسط تعريف للسلوك الإجرامي أنه سلوك يعاقب عليه المجتمع ويخرق فيه الفرد القانون A breaking of man's laws, Punishing by society (١) .

والمعروف أن القانون رغم تغيره بتغير الزمان والمكان ، إلا أنه يعكس المعايير الخلقية التي يقبلها المجتمع ككل Acceptable morality of society as a group وكلما تغيرت المبادىء الخلقية في المجتمع كلما تبع

(١) Brown J.M., and others , Applied psychology .
- راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية - د. العيسوي - الدار الجامعية - بيروت.

ذلك تغير في القوانين التي يسير عليها أفراد المجتمع . وليس من الضروري أن يمتثل جميع أفراد المجتمع Conform لجميع القوانين والقواعد والتعليمات ، فهناك بعض الأشخاص مثلاً الذين يقبلون خرق القانون فيما يتعلق ببعض الأمور البسيطة كتجاوز السرعة في قيادة سيارتهم ، أو يخرقون القانون في تقدير نفقاتهم عند تقديم مستندات الضرائب ، ولكنهم لا يقبلون خرق القانون فيما يتعلق بجرائم القتل أو السرقة أو الزنا . كذلك المعروف أيضاً أن القانون قد يكون جائراً ، وقد تكون الجماعة كلها على خطأ بينما الفرد أو مجموعة الأقلية هي الصواب . وعلى ذلك فليس هناك حدود فاصلة حاسمة بين السلوك الإجرامي والسلوك غير الإجرامي . ولسهولة الدراسة فإننا نعتبر السلوك الإجرامي هو الذي تدلنا عليه الإحصاءات الرسمية أي ذلك السلوك الذي تعلم به أجهزة الأمن وتسجله .

وليس هناك من شك في أهمية دراسة الجريمة والعمل على مكافحتها وتقليل نسبة حصولها . وللجريمة آثار سيئة على الاقتصاد القومي ، وإليك بيانات إحصائية عن الجرائم في الولايات المتحدة الأميركية عام ١٩٦٣ لتوضيح حجم مشكلة الجريمة :

نوع الجريمة	العدد	
القتل	٨٥٠٤	
اغتصاب النساء بالإكراه	١٦٤٠٤	مثل Rape
السرقة	١٠٠١٥٦	
الضرب الشديد	١٤٧٧٥٧	Aggravated assault
السطو على الأماكن	٩٧٥٨٧٩	Burglary
اختلاس أموال الغير	٦١١٣٩١	Larceny
سرقة السيارات	٣٩٨٩٩٠	Auto theft
المجموع الكلي [١]	٢٢٥٩٠٨١	

(١) Hoover, J.E., Crime in the United states.

وواضح من هذا الجدول أن هناك حوالي ½ ٢ مليون جريمة خطيرة كالقتل والسرقة في عام ١٩٦٣ ، ومعنى هذا أنه كأن هناك حادثاً خطيراً يقع كل دقيقة في غضون عام ١٩٦٣ في الولايات المتحدة الأميركية وعلى الرغم من أن هذه الإحصائية وغيرها جامدة صماء إلا أننا نستطيع أن نتصور مدى الشعور الإنساني بالبؤس والشقاء الذي ترتب على مثل هذا العدد الضخم من الجرائم ، ومن المقرر أن نسبة الجرائم تزداد في الولايات المتحدة الأميركية عن نسبة المواليد ، ففي الفترة من ١٩٥٨ حتى ١٩٦٣ زادت الجرائم بنسبة ٤٠ ٪ بينما لم يزد تعداد السكان إلا بنسبة ٨ ٪ تقريباً . والمعروف كذلك أن الإحصاءات لا تشتمل على جميع الجرائم والمخالفات التي وقعت فعلاً ، فهناك بعض الحالات التي يعالجها رجال الشرطة أو رجال الأمن دون تقييدها ، وهناك حالات لا يبلغ عنها أصحابها وهناك جرائم بسيطة لا تدون في الإحصاءات الرسمية التي ترسل للحكومة المركزية في الولايات المتحدة الأميركية .

إن السلوك الإجرامي هو سلوك مضاد للمجتمع Antisocial behaviour وهو ولا شك كأي نوع آخر من أنواع السلوك الشاذ أو غير السوي Abnormal behaviour . ولذلك فإن الشخص المجرم لا يختلف عن الشخص المريض الذي يأتي أيضاً بالسلوك الشاذ .

والسلوك الشاذ من الموضوعات الهامة والأساسية في علم النفس ، ولذلك فإن علماء النفس يدعون لإمكان تعديل السلوك Modification of behaviour كما يدعو إلى فهم السلوك في ضوء مبدأ الحتمية السيكولوجية Determinism . فالسلوك يتعدل عن طريق عمليات التعلم Learaing Processes ، وكذلك عن طريق الدوافع Motivations . كذلك فإننا نستفيد من مبادىء الصحة العقلية ومن طرق العلاج والوقاية النفسية ومن وسائل العلاج والتأهيل ووسائل النهوض بالصحة العقلية للفرد . وسوف نرى أن الفرد لا يعيش في فراغ كما أنه ليس حراً في أي موقف من المواقف ، بل إنه محاط بمجموعة من العوامل التي تحتم عليه الإتيان بالسلوك الإجرامي .

إن الفرد ليس مجرماً لأنه ولد مجرماً بالوراثة . إن السولك الإجرامي

محصلة لمجموعة العوامل البيئية والوراثية التي تتفاعل وتتضافر في فرد معين .

Behaviour of a Person is the product of environmental and hereditary influence [1] .

ولذلك فإن على المجتمع أن يساعد الفرد على اكتساب الخبرات السليمة التي تجعله مواطناً ملتزماً أو ممتثلاً بدلاً من النزوع للجريمة .

وسوف نتناول دور علم النفس في التعرف على المجرمين أو اكتشافهم ودور علم النفس في قاعات المحاكم ودور الشهود والمحلفين ، وكذلك دور علم النفس في علاج المجرمين ودوره في الوقاية من الجريمة .

التعرف على السلوك الإجرامي وأساليب الإدانة :

يتمتع الفرد في ظل المجتمعات المتحضرة بقسط كبير من الحرية ومن الحماية ويتحقق ذلك عن طريق القواعد والتعليمات والقوانين التي تحمي حقوق الفرد داخل الجماعة . وعلى كل فرد أن يتنازل عن قسط من حريته عن طريق طاعة القواعد والقوانين تلك التي تحمي حقوق الآخرين والتي تحقق لهم ذلك القدر من الحرية الذي يتمتع هو به . والقواعد المكتوبة والمحددة والتي تعكس رغبات الجماعة يطلق عليها اسم « القانون » وعلى ذلك فالسلوك الإجرامي يصبح عبارة عن خرق القاعدة أو التعليمات التي تسمى قانوناً . وحيث إن الحضارة تتغير بمرور الوقت فإن القانون لا بد أن يتغير بمرور الوقت أيضاً ، كذلك فإن المعايير أو توقعات السلوك في المجتمع تنعكس في شكل قوانين ولذا فإن هذه القوانين نسبية ومتغيرة . وهناك فرق بين السلوك المضاد للقانون والسلوك المضاد لمبادىء الأخلاق العامة فالرق Slavery أو الجنسية المثلية تعد من الناحية الخلقية خطأ ولكنها ليست دائماً من الناحية القانونية Legally wrong .

ويتطلب ذلك صياغة مستمرة لقوانين جديدة تعكس المعايير الخلقية في المجتمع . ولكن إصدار القوانين الجديدة يسير ببطء شديد ، ولذلك فإن

---

(١) المرجع السابق . Brown

ـ راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية ـ د. العيسوي ـ الدار الجامعية ـ بيروت.

هناك فرصة كبيرة أمام رجال السلطة ورجال القضاء في تفسير القوانين وإصدار الأحكام على ضوء فهمهم للقانون في ضوء الظروف الاجتماعية المتغيرة . إن السلوك الإجرامي ليس مجرد خرق للقانون أو القاعدة . إن خرق القانون ما هو إلا المظهر التشريعي لوصف السلوك الإجرامي ، ولكن قد يرتكب الفرد بعض أنماط السلوك الإجرامي دون أن يتعرض لطائلة القانون ، كذلك فإن الفرد قد يستمر في أداء بعض العادات المتأصلة حتى بعد صدور بعض التشاريع التي تحرم القيام بمثل هذا السلوك . إن العادات والتقاليد لا تتغير بنفس السرعة التي تتغير بها القوانين ، ومثل هذا السلوك الاعتيادي رغم مخالفته للقانون الجديد إلا أنه ليس سلوكاً إجرامياً حقيقة ، ويعجز الفرد عن تغيير عاداته السلوكية بحيث تتمشى مع القوانين الجديدة .

ومن الناحية السيكولوجية البحتة فإن المجرمين أناس يتورطون في أنواع من السلوك الخارجي الغير قانوني نظراً لوجود بعض الضغوط الداخلية وبعض الاضطرابات المرضية ولوجودهم في وسط ظروف معينة وذلك لإشباع حاجاتهم ودوافعهم .

Finally real crimirals are people involved in acting out unlawful behaviour due to internal stress and pathological distortion , so that they can satisfy their needs , or motivations [1] .

ومن واجبات المشتغلين بالمهن القانونية فهم القوانين المتصلة بأعمالهم ، وتعتبر وظائفهم بل ووظائف القانون ضبط السلوك أي ضبط سلوك الأفراد . كذلك نحن نذكر أن موضوع السلوك يعتبر من الاهتمامات الرئيسية لعلماء النفس حيث يضعون النظريات التي تفسر دوافع السلوك عند الإنسان والحيوان .

والواقع أن الفهم الكامل للسلوك الإنساني والتنبوء به والتحكم فيه يشمل كل فروع علم النفس ، وكل فروع القانون . ولا شك أن هناك كثيراً من مظاهر الارتباط والاتصال والتعاون والاهتمام بين المهن السيكولوجية

---

(١) Ibid.

- راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية - د. العيسوي - الدار الجامعية - بيروت.

والمهن القانونية . يهتم علم النفس بالتعرف على السلوك الإجرامي كما يهتم بدراسة العوامل الشخصية والعوامل البيئية المتصلة بالسلوك الإجرامي .

وفي معظم بلاد العالم لا يعتبر الفرد مجرماً إلا إذا ثبتت إدانته ، وعلى مدعي الاتهام تقديم الأدلة الكافية أمام القضاة للبرهنة على إدانة المتهم .

هناك بعض الناس الذين ما زالوا يصرون على أن المجرم يمتاز بتكوين فسيولوجي وسلالي معين ، ومعنى هذا إرجاع النزعات الإجرامية في الفرد إلى عوامل جسمية أو سلالية .

في أواخر القرن التاسع عشر قام أحد علماء الفيزياء العسكرية الإيطاليين وهو لامبروزو بدراسة المجرمين ، كانت الأساس في الاعتقاد أن المجرمين لهم نمط معين (Lombroso سنة ١٩١١) . لقد درس Lombroso لامبروزو فراسة الوجه أي ملامح الوجه الظاهرية Physiognomy عند ٥٩٠٧ مجرمين واستنتج أن المجرم يمتاز ببعض الصفات منها طول الفك السفلي وفرطحة الأنف وله جمجمة متناسقة الأجزاء Symmetrical Cranium وغير ذلك من الصفات الفسيولوجية . مثل هذه النظرية للأسف الشديد ما زال يقبلها الكثيرون . ولكن أعمال الباحثين بعد Lombroso قد وضحت أنه لا يوجد إلا قليل جداً من الصفات الفسيولوجية للمجرمين تلك التي يمكن عزلها واختلافها عند المجرمين منها عند بقية سكان المجتمع العام . هناك بعض الأدلة التي يبدو أنها تشير أن بعض الأنماط الفسيولوجية ترتبط ببعض أنماط الجرائم ولكن هذه الأدلة ضعيفة . وعلى وجه العموم أن المجرمين ليسوا مجرمين بسبب بعض الصفات الفسيولوجية ولكنهم كذلك بسبب بعض العوامل البيئية والسيكولوجية . إن الفرد يبدي بعض مظاهر السلوك الإجرامي عندما يتعرض لبعض المؤثرات الإجرامية أو عندما يمتلك دوافع قوية نحو العدوان أو عندما تعتريه الرغبة القوية في الانتقام بسبب ما يعانيه من الشعور بالذنب . أما الأسباب النوعية للجريمة فلا يمكن عزلها وأغلب الظن أنها لن تعرف طالما ظل الباحثون يقصرون بحوثهم على الجرائم التي يدان فيها الأشخاص أو يقصرون دراساتهم على الأشخاص الذين يتم القبض عليهم ،

لأن هناك كثيراً من مظاهر الإجرام لا ينتج عنها إدانة أحد ولا يقبض فيها على أحد .

ويبدو جلياً أن المجرم ينمو نتيجة تفاعل سمات شخصية أو بعض السمات السيكولوجية مع بيئته .

وهناك بعض التحفظات التي لا بد أن تؤخذ في الاعتبار عند تفسير إحصاءات السلوك الإجرامي ، منها وجود اختلاف بين الجهات المحلية التي تقوم بتسجيل الجرائم واختلاف طرق التسجيل والحصر من جهة إلى أخرى ، كذلك لا تقع كل الجرائم تحت ملاحظة رجال الشرطة ، وليس كل الجرائم ذات أهمية بحيث تظهر في الإحصاء ، وهناك بعض الجرائم الهامة ولكنها لا تحدث كثيراً ولذلك ليس لها وجود في الإحصاءات على الرغم من أهميتها ، فهناك بعض الجرائم الهامة ولكنها نادرة الحدوث أو لا تحدث بطريقة منتظمة . إن إحصاءات الجرائم لا تأخذ في الحسبان عدد الأفراد الذين يشتركون في جريمة معينة ، فالجريمة التي يقوم بها فرد واحد تسجل جريمة واحدة وكذلك الجريمة التي يشترك فيها خمسة أفراد تعتبر جريمة واحدة أيضاً . وبالمثل فإن السرقات التي تتم بين الأصدقاء أو بين عامل وصاحب العمل فإنها لا تسجل ولا تظهر في الإحصاءات . وعلى هذا النحو الجرائم البسيطة لا تشملها إحصاءات رجال الأمن ، وعلى سبيل المثال تجاوز قائد السيارة لخطوط الوقوف أمام إشارات المرور ، أو توقف السيارة في مكان ممنوع أو وقوف السيارة في مدة تزيد عن المدد المسموح بها ، كلها أفعال غير قانونية ولكنها لا تدخل ضمن إحصاءات الجرائم .

إن تفسير الجرائم لا بد أن يكون بالرجوع إلى بعض الأسس الثابتة كنسبة عدد الجرائم إلى عدد السكان . ولتوضيح ذلك لا يعقل أن نقارن مخالفات السيارات في عام ١٩٢٠ بهذه المخالفات عام ١٩٧٠ . لا بد من الرجوع إلى عدد السيارات في هذين التاريخين أو نسبة هذه المخالفات إلى مجموع المسافات التي قطعتها السيارات جميعاً .

ويحدث خلاف في الرأي بين السيكولوجي الذي يؤمن بالحتمية السيكولوجية ، وبأن الفرد ليس حراً أو لا يمتلك إرادة حرة وبين رأي المدعي

العام أو ممثل الاتهام الذي يؤمن بأن الفرد إرادة حرة Free will ، ولكن من المهم أن نقرر مسؤولية الفرد عن السلوك الذي يقوم به . حقيقة إن الفرد ليس له إرادة حرة في كل موقف ولكنه يتصرف كما لو كان له إرادة حرة وذلك نتيجة لخبارته السابقة وللصفات الفطرية الموروثة . إننا لا نعرف كل العوامل المسؤولة عن السلوك ولا نستطيع أن نتحكم في السلوك تحكماً تاماً أو نتنبأ به تنبؤاً صادقاً وطويل المدى . ولكن هناك اتفاق بين غالبية الناس أن الشخص المريض عقلياً يحتاج إلى مساعدة ولا يستطيع أن يعالج نفسه ، وبالمثل يجب أن يمتد هذا المفهوم إلى الشخص المجرم . إن السلوك الإجرامي ما هو إلا نوع من السلوك الشاذ المرضي يحتاج إلى العلاج كما تحتاج الأمراض العقلية إلى العلاج والرعاية . إن الشخص الذي يتصرف في موقف معين تصرفاً يعتبر إجرامياً إنما يفعل ذلك نتيجة لمجموعة من العوامل الشخصية والبيئية .

العوامل الشخصية في الجريمة Personal factors :

هناك كثير من العوامل الشخصية التي تتصل بالجريمة مثل السن والجنس أو السلالة . فيما يتعلق بالسن فقط لوحظ أن السجناء في الولايات المتحدة الأميركية يغلب عليهم أن يكونوا في سن الشباب . وتدل الإحصاءات على صغر سن مجتمع السجناء عن بقية سكان المجتمع الأصلي . ولقد وجد أن أعلى نسبة من المقبوض عليهم كانت بين أرباب سن ٢١ سنة وذلك بالقياس إلى مجاميع العمر المختلفة التي تبدأ من أقل من ١٥ سنة إلى أكثر من ٥٠ سنة والجدول الآتي يوضح علاقة السن بعدد المقبوض عليهم .

السن	النسبة المئوية
٤٠ ـ ٥٠	١٧,٧
٣٠ ـ ٤٠	٢٠,١
٢١ ـ ٢٩	٢٠,ـ
أقل من ٢١	٢٦,٧

ولكن هذا الإحصاء ليس معناه بالضرورة ارتكاب صغار السن الجرائم

بنسبة أكبر من المتقدمين في السن ، وذلك لاحتمال تمكن الكبار من الفرار وإخفاء الشبهات وبذلك لا يقبض عليهم بحكم نضجهم وخبراتهم . ومن المحتمل أيضاً أن يؤدي التقدم في السن حقيقة إلى استقامة الفرد وعدوله عن الجريمة .

وهناك حقيقة أخرى متعلقة بالسن وبالأحداث الجناح Juvenile delinquents - وهي وجود نسبة عالية لعودتهم للسجن بعد أن يفرج عنهم . فنسبة العودة للجريمة بالنسبة لمجموع المجرمين تبلغ ٦٠ ـ ٧٠ ٪ أما عندما يبدأ الفرد حياته الإجرامية في سن مبكرة فإن هناك فرصة أكبر لتكرار الجريمة والعودة إليها .

وخاصية العودة هذه Recidivism من خواص جناح الأحداث . وهناك زيادة ملحوظة في نسبة جرائم الأحداث الصغار في الولايات المتحدة الأميركية . فقد زاد المعدل في المدة من ١٩٤٨ ـ ١٩٦٠ بنسبة ١٠٠ ٪ ، حدثت هذه الزيادة في عدد الحالات التي تحال إلى محاكم الأحداث هناك . ويبدو أن برامج الوقاية والعلاج لم تسفر عن أي فائدة . ولقد تمت دراسات تستهدف التعرف على الأطفال الذين يحتمل أن يصبحوا أحداثاً جناحاً في مستقبل حياتهم . وأوضحت مثل هذه الدراسات أنه يمكن تمييز الظروف الأسرية وعوامل الشخصية عند الجناح عن مثيلاتها عند الأسوياء . فقد أجرى كافاراسيوس Kvaraceus, W.C. دراسة عن التنبؤ بالجنوح (١٩٦٢) Forecasting delinquency . على أطفال المدارس ووجد أن هناك ارتباطاً بين تقدير المدرسين لسلوك التلاميذ والسلوك الانحرافي فيما بعد ، وكانت دراسته تتبعية استغرقت ثلاث سنوات .

وتوضح الدراسات الخاصة بالأحداث الجناح أن هذه النسبة عالية في المناطق المتدهورة من المدن الكبرى Deteriorated or blighted sections of large cities أكثر منها في الضواحي أو المناطق الأقل تحضراً . ترتبط الجرائم بنوع الحياة التي يحياها الناس في المجتمع . إن نمط الحياة داخل الجماعات المعينة يؤثر في قبول الجماعة أو رفضها للسلوك الإجرامي ، ولكن يجب أن نذكر أن الغالبية الساحقة من أبناء البيئات الفقيرة لا يصبحون

مجرمين بالضرورة ولذلك فلا بد من افتراض وجود عوامل أخرى بجانب البيئة الفيزيقية والاجتماعية للفرد وكذلك بجانب عامل السن .

فيما يتعلق بعنصر الجنس Sex فأيهما يتوقع أن يرتكب كثيراً من الجرائم البنين أم البنات ؟ إن الإحصاءات تدل على وجود فروق شاسعة في نسبة ارتكاب البنين والبنات للجرائم ، فلقد وجد هوفر Hoover أن نسبة جرائم البنين إلى البنات تبلغ ٨ : ١ ويسبق البنون البنات في معظم الجرائم ما عدا بعض مظاهر السلوك الإجرامي حيث تفوق نسبة البنات في جرائم مثل الزنا أو البغاء التجاري Commercialized vise وهنا نتساءل عن سبب زيادة جرائم البنين عن البنات .

ترجع هذه الزيادة إلى عدة عوامل منها اختلاف القدرات الفيزيقية عند البنين والبنات ، كذلك فإن البنات يخضعن لحياة حاسمة مقيدة Restricted life حتى في المجتمعات المحلية تسمح بنمو الجريمة فإن الآباء يرغبون في بقاء الإناث من أعضاء الأسرة قريباً من البيت ولا يسمحون لهن بالتحرر . وهناك تساهل في القبض على البنات وفي محاكمتهن حيث لا تستخدم سلطات الأمن معهن نفس الشدة التي تستخدمها مع الذكور .

عامل السلالة Race :

وهناك بعض الادعاءات أن بعض السلالات أو الجماعات البشرية ترتكب جرائم أكثر من غيرها وذلك بالقياس إلى نسبة عددهم في المجتمع الأصلي . وعلى سبيل المثال يقال إن الزنوج Negroes في الولايات المتحدة الأميركية يرتكبون نسبة عالية من الجرائم ، ولكن الأدلة على مثل هذا الادعاء تختفي عندما تؤخذ جميع العوامل في الاعتبار مثل عامل الدخل والمستوى الاقتصادي والاجتماعي والدخل والسن والذكاء ، وما إلى ذلك . يجب أن نفسر الإحصاءات بكثير من الحذر وأن نفحصها فحصاً جيداً قبل الوصول إلى استنتاج معين وخاصة إذا كنا بصدد الوصول إلى علاقة سببية أو علاقة علة ومعلول Cause - and - effect relations .

كما ينبغي أن نستفيد من الإحصاءات في إجراء مزيد من البحوث

المتقدمة . ففي إحصاء الجرائم في الولايات المتحدة الأميركية عام ١٩٦٣ وجد أن هناك حوالي ٧٠ ٪ من المقبوض عليهم بواسطة الشرطة كانوا من البيض بينما كانت نسبة غير البيض ٣٠ ٪ فقط والمعروف أن نسبة غير البيض في الولايات المتحدة الأميركية تبلغ ١٤ ٪ من مجموع السكان ومعنى هذا أن نسبة غير البيض في ارتكاب ، الجرائم نسبة كبيرة ، ولكن ينبغي أن نشير إلى أن هذه البيانات قد تتضمن بعض التحيز ضد غير البيض فهناك حالات من المخالفات يتجاهلها البوليس إذا ارتكبها شخص أبيض على حين يقبض على فاعلها إذا كان غير أبيض . ولكن بطبيعة الحال لا ينطبق هذا التساهل على الجرائم الخطيرة كالقتل أو السرقة، وإلى جانب ذلك فإن الأشخاص الملونين Non - whites يعيشون في الغالب في بيئات تشجع السلوك المضاد للمجتمع ، ومن ثم يقبض عليهم ويذهب كثير من علماء الإجرام Criminologist إلى تأكيد حقيقة شعور الملونين بالنقص وشعورهم بعدم الأمان وفقدان الشعور باحترام الذات، كذلك فإن الظروف الأسرية غير المستقرة، والوقوع تحت المؤثرات الإجرامية تزيد من حدوث السلوك الإجرامي ، ويحتمل أن تؤثر هذه العوامل . وهناك بعض الجرائم التي تزيد نسبتها عند البيض منها عند الملونين من ذلك سرقة المنازل وسرقة السيارات والجدول الآتي يوضح عدد الجرائم في شكل نسب مئوية بالنسبة للسلالة فيما يتعلق بالجرائم الخطيرة في الولايات المتحدة الأميركية خلال عام ١٩٦٣ .

نوع الجريمة	نسبة البيض	الملونين	الفرق
القتل	٤٢,٩	٥٧,١	٤,٢
الاغتصاب			
هتك العرض	٥٢,١	٤٧,٩	٤,٢
السرقة	٤٥,٧	٥٤,٣	٨,٦
الضرب الشديد	٤٣,٨	٥٦,٢	١٢,٤
سرقة المنازل	٦٨,٨	٣١,٢	٣٧,٦
الاختلاس	٦٩	٣١	٣٨
سرقة السيارات	٧٣,٣	٢٦,٧	٤٦,٦

ويوضح هذا الجدول أن نسبة الجرائم التي ترتكب ضد الأشخاص تزيد نسبتها عند غير البيض، من أمثلة ذلك القتل والإصابة وهتك العرض والسرقة .

من العوامل الهامة في دراسة الجريمة عامل الذكاء فما أثره في الجريمة ؟

الذكاء Intelligence :

استمر كثير من علماء النفس وعلماء الإجرام يعتقدون لمدة طويلة أن انخفاض الذكاء عامل أساسي في ارتكاب الجريمة وعلى سبيل المثال يذهب جودارد ١٩٢٠ H . H . Goddard 1920 في كتابه « الكفاءة الإنسانية ومستويات الذكاء » يذهب إلى القول إن جميع البحوث التي أجريت على عقليات المجرمين والأحداث ومرتكبي الجنح وغيرهم من الجماعات المضادة للمجتمع لها ذكاء منخفض . يقول إن أهم الأسباب في جنوح الأحداث وفي الجريمة هو انخفاض مستوى الذكاء ، فمعظم هؤلاء المجرمين من ضعاف العقول . ولكن مثل هذا الرأي مبالغ فيه فهناك كثير من الدراسات التي وضحت أن ذكاء الطوائف المضادة للمجتمع يقترب من الذكاء العام للمجتمع . وعلى الرغم من أن كثيراً من الدراسات توضح أن أفراد مجتمع السجناء تنخفض نسبة ذكائهم عن متوسط الذكاء العادي بالنسبة للسكان أو بالنسبة لأفراد المجتمع ولكن في الواقع هناك بعض المجرمين الأذكياء الذين لا نلاحظهم داخل مجتمع السجناء وأن الأشخاص الأكثر ذكاء يكونون أكثر قدرة في الدفاع عن أنفسهم في قاعات المحاكم ، ومن ثم لا يحكم عليهم بالإدانة ولا يدخلون السجن .

ولقد أجرى براون J . M . Brown دراسة لمعرفة قدرات نزلاء أحد السجون الريفية في الولايات المتحدة الأميركية وكان مجموع هؤلاء النزلاء ١٢٠ رجلاً وكانت أحكامهم صغيرة لا تزيد عن أربعة سنوات ثم طبق اختباراً لقياس القدرة العقلية على ٣١ نزيلاً تتروح أعمارهم بين ١٨ ، ٤١ سنة وكانت مدة تعليمهم في المتوسط ٩,٥ سنوات ووجد أن متوسط نسبة ذكائهم تبلغ ٩١ . وإذا أخذنا مستوى سنهم ومستوى تعليمهم الرسمي فإننا نقول إن السجين

المتوسط لا يختلف في ذكائه عن الفرد العادي المتوسط . ولقد درس كافارسيوس Kvaraceus العلاقة بين الذكاء وجنوح الأحداث ووجد أن معامل الارتباط بينهما يتراوح بين ٠,٠٢٨ : ٠,٢١٧ ولم تكن هذه الارتباطات ذات دلالة إحصائية . وفي دراسة أخرى وجد هذا الباحث ارتباطاً سلبياً بين الذكاء وبين جنوح الأحداث وذلك بين تلاميذ إحدى مدارس التربية الخاصة المخصصة لضعاف العقول ، بمعنى أن الطفل الأكثر ذكاء يكون أكثر ميلاً لارتكاب الجريمة ، وقد يكون ذلك ناتجاً عن شعور الطفل الذكي بعدم الرضا وبالصراع إذا ما وضع في مدرسة مخصصة لضعاف العقول .

وعلى العموم فإن العلاقة بين الذكاء والجريمة بوجه عام ليست واضحة أو خاسمة . ولكن هناك علاقة بين نوع الجريمة وبين الذكاء ، فالأشخاص أصحاب الذكاء العالي يرتكبون الجرائم التي تتطلب قدرة عقلية عالية .

مثل جرائم الاختلاس والنصب والاحتيال والغش والسرقات المدبرة تدبيراً محكماً وجرائم التزوير أو التزييف وتزييف العملة .

For example , embzzlement and fraud , well - planned robberies , forgery , and counterfeiting .

أما المجرمون أرباب الذكاء المنخفض فإنهم يتورطون في جرائم السرقة والقتل والضرب assault ولقد درس كاهان ١٩٥٩ Kahn . M . W . 1959 سمات الشخصية والذكاء والتاريخ الاجتماعي لجماعتين من المجرمين : جماعة من القتلة وجماعة من لصوص المنازل . ولقد أحيل أفراد المجموعتين إلى أحد المستشفيات العقلية لفحصهم وتقدير مدى مسؤوليتهم فيما ارتكبوه من جرائم أي لتحديد مدى إصابتهم بالجنون القانوني Legal sanity . ومعظم هذه الحالات لم تدان جنائياً بسبب الجنون . ولقد طبق عليهم اختبار وكسلر - بلفيو للذكاء - Wechsler - Bellevue Inelligence test وكان متوسط ذكاء القتلة ٩٤,٦ ومتوسط ذكاء لصوص المنازل ١٠٣ وكان الفرق بين المتوسطين ذا دلالة إحصائية ، ويوضح أن اللصوص أكثر ذكاء من القتلة . إن النشاط الإجرامي يختلف باختلاف الذكاء بالمثل كما يختلف ذكاء الأفراد باختلاف

المهن التي يشغلونها . فذكاء مديري العموم يختلف عن ذكاء « بياضي النحاس » .

الشخصية والجريمة :

إن العلاقة بين الإجرام والإضطراب الانفعالي ليست كبيرة جداً ولكن هناك بعض سمات الشخصية التي ترتبط بالسلوك الإجرامي ، ويذهب سكوسيلر وكريسي (Schuessler K . F . , and Cressey D . R . 1950) في دراستهما لسمات شخصية المجرمين إلى القول بأن سمات الشخصية موزعة في المجرمين بنفس الطريقة التي توزع بها عند أفراد المجتمع الأصلي .

ولكن بعد هذه الدراسة (١٩٥٠) ظهرت بحوث أخرى تؤكد أن هناك سمات شخصية معينة ترتبط بالسلوك الإجرامي ، وعلى سبيل المثال لقد طبق بانتون (١٩٥٩) Panton اختبار الشخصية المتعدد الأوجه MMPI ووجد أن النزلاء يحصلون على درجات عالية في مقاييس التعصب وعلى درجة سيئة في المسؤولية ، وفي السيطرة ، والاعتماد على الغير ، وفي قوة الذات الوسطى ego . وكانت درجاتهم هذه تزيد زيادة ذات دلالة عنها عند غير السجناء .

وفي دراسة أخرى لكل من موناكاشي وهاثاواي (١٩٥٧) . S . D . Monachesi and Hathaway . S , R عن شخصية الصبية فيما قبل الجنوح حيث طبقا اختبار الشخصية المتعددة الأوجه أيضاً وخضعوا لمتابعة الباحثين لمدة ٤ ١/٢ سنوات ثم طبق مقياس للجنوح ووجدا أن هناك ٣٣ مفردة من مفردات اختبار الشخصية المتعدد الأوجه والبالغ عددها ٥٥٠ مفردة وجدا أن هذه المفردات تختلف اختلافاً جوهرياً عند الجناح منها عند الأسوياء . ووجدا أن هناك سمات مثل حب الخطر والشعور بالضجر من القيود تظهر أكثر عند الجناح منها عند الأسوياء Youthful exuberance .

ولقد قرر فردمان L . Z . Freedman (١٩٦١) أن هناك ثلاثة أنواع من الشخصية في ثلاثة أنواع من السلوك الإحرامي وكان السلوك الشاذ أو المنحرف عبارة عن الآتي :

١ - الانحراف الجنسي : ويتعلق بالشهوة والمثيرات المتصلة بالنواحي التناسلية genital .

٢ - الانحراف العدواني : يتصل باستخدام القوة والعنف والسلوك الضار المؤذي الموجه إلى شخص آخر .

٣ - انحراف حب التملك acquisitive ويتعلق بالاستيلاء غير الشرعي على أملاك الغير دون استخدام العدوان aggression .

واستنتج فردمان من دراسته هذه أن الشخص المنحرف نحو حب التملك يتأثر بالجماعة أكثر من زميليه : العدواني والمنحرف جنسياً حيث يعتديان على المجتمع فردياً . أما حب التملك فعبارة عن تقليد ضد ثقافة المجتمع . أما الشخص العدواني وكذلك المنحرف جنسياً فشخص فردي .

على الرغم من أن هناك كثيراً من الدراسات التي تسجل ارتباطاً إيجابياً بين سمات الشخصية وأنماط مختلفة من الجرائم إلا أن هناك بعض الدراسات التي تلقى بعض الشك على مثل هذه العلاقة . أجريت دراسة مقارنة بين روح التعاون Cooperativeness بين مجموعة طلاب الجامعة ومجموعة من السجناء. وكلف أفراد المجموعتين بالقيام بلعب مباراة معينة بحيث يشترك كل اثنين من أفراد كل فريق في حل لغز معين ، وينجح هذان الفردان في حل المشكلات أكثر أذا تعاونا معاً . وكانت النتيجة أن الباحث لم يجد أي فرق في التعاون والتضافر بين أفراد المجموعتين بل إنه لاحظ أن أفراد المجموعتين أظهرا نوعاً من التنافس Competition .

على الجملة تدل معظم الدراسات الحالية على عدم وجود اختلاف كبير بين سمات الشخصية عند المجرمين وغيرهم ، ولكن هناك قليل من السمات التي يظهر فيها نوع من الاختلاف ، من أمثلة ذلك الاندفاعية Impulsiveness وعجز الفرد عن تقييم نفسه وتقييم الآخرين يبدو أنها تظهر أكثر عند المجرمين منها عند غيرهم . من العوامل التي ينبغي دراستها في الجريمة أيضاً الاضطرابات العقلية Mental disorders .

الاضطرابات العقلية :

المعروف أن الاضطرابات العقلية تتخذ أشكالاً متعددة فقد تظهر في شكل أعراض مختلفة ، كالفصام أو جنون الاضطهاد أو الذهان الدوري . وهناك من يزعم أن السلوك الإجرامي نوع من الحالة الذهنية psychosis condition . حقيقة أنه يبدو من المعقول أن ننظر إلى كل السلوك المضاد للمجتمع على أنه سلوك شاذ ومن ثم فهو نوع من الاضطراب العقلي . ولكن من ناحية أخرى فإنه يصعب بل يستحيل تحديد الذهان الإجرامي أي المرض العقلي الإجرامي Criminal psychosis ولقد وجد أن أقل من ٥ ٪ من مجموع السجناء كانوا حقيقة مجانين insane ، وعلى ذلك فإن تصنيف المجرمين إلى طائفة « المجرم المجنون » لا ينطبق إلا على قلة صغيرة من مجتمع المجرمين .

المفروض أن العقاب لا يفرض إلا على الشخص العاقل أما الشخص المجنون فإنه غير مسؤول عما يرتكب من جرائم . ولكن ذلك يتطلب تحديد مفهوم الجنون على أسس علمية دقيقة . وأول تعريف قانوني للجنون ظهر في عام ١٨٤٣ عندما قضت إحدى المحاكم ببراءة شخص اسكتلندي يدعى ماك نايتين Mc Nighten استناداً إلى جنونه ، وقضت بذلك على ضوء المعلومات التي توافرت لها في ذلك الوقت ووضعت قاعدة لذلك استمرت حتى عام ١٩٥٠ . وطبقاً لهذا القانون لا بد أن يثبت بالدليل القاطع أن الشخص الذي أتى بالسلوك الإجرامي كان مضطرباً عند ارتكاب الفعل الإجرامي ، ولم يتمكن من التعرف على طبيعة فعله أو على صفة هذا الفعل ، أو إذا كان يعرفه فإنه لا يعرف أنه من قبيل الخطأ أو الممنوعات . وهناك حالات كانت تتمتع بحالة عقلية سليمة ولكن كان الفرد يعاني فيها من وجود دوافع أو بواعث قوية لا يمكنه مقاومتها أو السيطرة عليها irresistible - impulse أي إن انفعالات الفرد كانت خارج قدرته في السيطرة والتحكم واعتبرت هذه الحالات الانفعالية مساوية لحالات الجنون العقلي .

فشدة الانفعال تخلي من المسؤولية الجنائية مثلها مثل الجنون (Emotions are Uncontrollable) .

ما زالت مسألة تحديد جنون الفرد ، وعدم مسؤوليته موضوع جدال وصعوبة ، وليست هناك قواعد حاسمة وفاصلة لتقرير مدى إصابة الفرد من عدمه . وهناك أقتراح أن يأخذ رأي عدد من الخبراء في مدى إصابة الفرد بالجنون ، بالمثل كما يقرر المحلفون إدانته أو عدم إدانته . وهناك رأي آخر يقول إن البيانات كلها يجب أن توضع أمام المحلفين وهم الذين يقررون مسؤولية المتهم من عدمه .

ينبغي أن تؤخذ صفات المتهم الشخصية في الإعتبار عند دراسة الحالة . وفي العلاج لا بد أن نوجه جل الاهتمام إلى شخصية الفرد أكثر من الاهتمام بالسلوك الإجرامي نفسه وضرورة العمل على معرفة مظاهر الشذوذ تلك التي قادت الفرد نحو ارتكاب الجريمة .

الدافعية Motivation :

ينبغي أن نفهم جميع مظاهر السلوك الإنساني في ضوء الأسباب الدافعة لهذا السلوك أو ذاك . وهناك كثير من علماء النفس الذين يؤكدون أهمية دراسة الدوافع في السلوك الإجرامي بنوع خاص .

والدافعية عبارة عن حالة للسعي لتحقيق أو إشباع حاجة معينة أو لإعادة التوازن لحالة داخلية فقدت التوازن . وهناك دوافع فطرية موروثة مثل الدافع الجنسي وهناك دوافع مكتسبة مثل الدافع إلى التدخين ، وهناك دوافع شعورية يفطن الفرد إليها ويدركها ويعيها ، وأخرى لا شعورية لا يعرفها الفرد ولا يشعر بها ولا يدركها بل لا يعترف بها لنفسه أو لغيره . ولا تختلف الحاجات أو الدوافع عند الأسوياء والمجرمين ، ولكن الشخص السوي يختار لإشباع حاجاته الأساليب المقبولة اجتماعياً وخلقياً ، أما الشخص المجرم فإنه لا يعبأ بالمعايير الاجتماعية .

والواقع أن إشباع الحاجات الفسيولوجية للفرد أسهل من إشباع الحاجات النفسية والاجتماعية كالحاجة إلى المكانة الاجتماعية أو التعاون مع الجماعة وإحراز الانتصارات داخل الجماعة هذه أكثر صعوبة من الحاجات المادية ، ولذلك لها أهمية خاصة بالنسبة للسلوك الإجرامي . وينمو الشعور

الإجرامي عند الفرد منذ الصغر ، فالطفل الذي يشب في بيئة تقبل سرقة الأشياء الصغيرة سوف ينهض شاباً يسرق الأشياء الكبيرة . إن الفرد يمتص القيم والعادات وأنماط السلوك السائدة في المجتمع الذي يعيش فيه . فإذا نشأ الطفل في بيئة تقبل سلوك السرقة فإنه يشب يمارس مثل هذا النشاط دون الاعتراف بأنه يرتكب فعلاً خطأ ويسود مثل هذا الشعور بين معتادي السرقة من جمرك الاسكندرية مثلاً حيث لا يعتبرون سلوكهم «سرقة» وإنما يعتبرونه «وظيفة» مشروعة لأنهم لا يسرقون من شخص معين، ولذلك هناك أطفال صغار يتدربون على هذه السرقات كما يتعلم غيرهم أي مهنة من المهن .

وليس من السهل اكتشاف الدوافع وتحديدها في الفرد لأنها توجد في أعماقه ، وأحياناً يتعجب الشخص الذي تعود طاعة القانون يتعجب كيف أتى بهذا الفعل أوذاك، وبالمثل فالمجرم أحياناً ما يجد نفسه في موقف كيف ارتكب هذه الجريمة وقد يكون المجرم حقيقة غير واع لما ارتكب من جرائم ويعجز عن الاعتراف حتى لنفسه .

وتعتبر معرفة دوافع الجريمة من الأهمية بمكان بالنسبة لأجهزة الأمن وأجهزة التحقيق فعندما تعرف دوافع جريمة معينة فإن رجال الشرطة يستطيعون أن يحددوا الأشخاص الذين يشتبه في أمرهم ، وعلى سبيل المثال في إحدى الجرائم وجد رجلاً متزوجاً وامرأة غير متزوجة وجدا مقتولين معاً في سرير واحد . كان الرجل مصاباً بعيار ناري واحد في الصدر بينما كانت المرأة مصابة بعدة أعيرة ، وكان وجهها مشوهاً من إثر عدة ضربات . كان اشتباه رجال الشرطة موجهاً نحو زوجة الرجل لأنه لا بد أن لديها دوافع قوية لمثل هذه الجريمة .

العوامل البيئية في الجريمة :

من بين العوامل البيئية الهامة في الجريمة مكانة الفرد الاقتصادية والاجتماعية Socioeconomic status .

على الرغم من ارتباط الجريمة بالمكانة الاقتصادية والاجتماعية للفرد ارتباطاً إيجابياً إلا أن هناك كثيراً من الناس الذين يشبون في بيئات فقيرة ومع

ذلك يحيون حياة مقبولة اجتماعياً . إن معدلات الجريمة عالية في البيئات المنخفضة اجتماعياً واقتصادياً وذلك بالمقارنة بمعدلاتها في البيئات العالية اجتماعياً واقتصادياً ، ولكن مع ذلك هناك كثيراً من الأفراد الذين يعيشون حياة اجتماعية مقبولة ولكن تحت ظروف معيشية فقيرة . هناك فقراء أكثر مما يوجد من المجرمين .

وهنا يجدر بنا أن نحدد للقارىء المقصود بالمكانة الاجتماعية والاقتصادية أو بعبارة أخرى أن نحدد المؤشرات التي تدل على مكانة الفرد الاجتماعية والاقتصادية . إننا نحكم بانتماء الفرد إلى طبقة اجتماعية واقتصادية معينة بناء على وظيفته أو وظيفة أبيه أو أمه أو على أساس دخله الشهري أو السنوي وعلى أساس مستوى التعليم الذي وصل إليه وعلى أساس المنطقة التي يقيم فيها . وممكن الاستعانة بعوامل أخرى مثل نصيب الفرد من الحجرات في مسكنه أو نصيبه من استخدامات النور والمياة . ويستحسن الاستعانة بأكثر من مؤشر واحد بدلاً من الاعتماد على عامل واحد في تحديد الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد .

هناك كثير من الدراسات التي تشير إلى وجود علاقة بين المكانة الاجتماعية والاقتصادية من ناحية وجنوح الأحداث أو السلوك الإجرامي من ناحية أخرى ففي دراسة أجراها كلاً من ناي وشورت وأولسن F . L . Nye , Short and V . J . Olson عن المكانة الاجتماعية والاقتصادية والسلوك الإجرامي ووجدوا أن هناك ٥٠ ٪ من الصبية في إحدى مدارس التدريب أتوا من مستويات اجتماعية واقتصادية منخفضة ، بينما لم يكن هناك إلا ٤,١ ٪ من البيئات الاجتماعية العالية . كذلك وجد كافاراسيوس Kvaraceus أن الخلفية الاجتماعية والاقتصادية ترتبط بالمعدلات العالية لجنوح الأحداث . لقد وجد أن الصبي الذي ينشب في بيئة أسرية « نسائية » حيث يتغيب الأب معظم الوقت أو لا يقحم نفسه في النهوض بأعباء الأسرة مثل هذا الصبي يجد صعوبات كثيرة في نمو الشخصية عن زميله الذي يعيش في بيئة سليمة . إن مثل هذا الصبي يفكر في الأب بطريقة سلبية . وقد ينمو عنده شعور سلبي تجاه الدور الذي يقوم به الكبار الذكور عامة . وقد ينتج ذلك من عبارات اللوم

والتوبيخ التي يعتاد سماعها (متبقاش خايب زي أبوك) . وعندما يبحث مثل هذا الصبي عن شخصية يتمثل بها ويتوحد معها أو يتقمصها فإنه لا يجد في محيط الأسرة من يتخذه مثالاً له . ولذلك يلجأ إلى زمرة الشارع ويختار مثله الأعلى من بينهم . وعندما يريد أن يمتحن أو يختبر رجولته فإنه يلجأ إلى السلوك المضاد لمعايير المجتمع .

كذلك اقترح جاردنر G . F . Gardener في دراسته عن انفصال الأبوين والحياة الانفعالية للطفل ـ اقترح أن الأسر المنخفضة في المستوى الاقتصادي والاجتماعي تغلب فيها البيوت المحطمة Broken families ، وأن قيام الأم ، دون الأب ، بتحمل العبء الاقتصادي للأسرة يمثل مشكلة حقيقية ، وفي الغالب ما تربط الأم الأب بالصفات السيئة وتطبع طفلها على تعود تغيب الأب ، ويستجيب الطفل لمساعي أمه هذه بمزيد من السلوك الذي يخرق فيه المعايير الاجتماعية .

إن غالبية الأحداث ينحدرون من الأماكن السيئة في المدن الكبرى . إن خلفية سكان هذه المدن مختلفة أو غير متجانسة ، وفي الغالب يعيشون في وسط تنخفض فيه المعايير الأخلاقية وفي وسط تقل فيه الإمكانيات المتاحة لمناشط الشباب . إن الشباب الذي ينحدر من بيئات قليلة الدخل يعانون من نقص الفرص في الحصول على النجاح الاقتصادي والاجتماعي ، إنهم دائماً يعانون من الحرمان وينقصهم الشعور باحترام الذات Iaking in self - esteem ولذلك فإنهم يبتكرون قيماً جديدة . هذه القيم لا يقبلها المجتمع الكبير ، ولذلك ينتج عنا سلوكاً يعتبر خرقاً للمعايير المتعارف عليها .

إن الظروف الفقيرة اجتماعياً واقتصادياً تشجع الشباب على الإتيان بالسلوك الخارج عن المعايير عن طريق الآباء وغيرهم من الشخصيات ذات القيمة عندهم . ولكن ما زلنا نتساءل هل المعيشة في وسط ظروف منخفضة اجتماعياً واقتصادياً تؤدي إلى السلوك الإجرامي أم أن لكل من السلوك الإجرامي وانخفاض المستوى الاقتصادي والاجتماعي لهما سبب واحد مشترك .

منذ سنوات قرر أحد الباحثين (F . K . Berrien) أن العجز في

الكفاح الاقتصادي وبالتالي انتقال الفرد إلى المعيشة في وسط بيئات اجتماعية فقيرة Slums عبارة عن انعكاس الدافعية غير المناسبة عند الفرد ، ونقص في القوى العقلية وفقر في التدريب المهني ، أو نتيجة لحياة انفعالية مضطربة وفاسدة . هذه العوامل نفسها من الممكن أن تكون عوامل مسببة للسلوك الإجرامي . فليس من الضروري أن نستنتج أن انخفاض المستوى الاقتصادي والاجتماعي هو بالضرورة سبب معدل الجريمة المرتفع . ولكن لا شك أن محاولة النهوض بالمستويات الفقيرة اجتماعياً لكثير من الناس تعد على القليل خطوة في الطريق لتقليل النشاط الإجرامي .

الظروف الأسرية :

هناك كثير من الدراسات التي أسفرت عن وجود علاقة بين معدل الجريمة والظروف الأسرية ، فهناك نسبة أعلى من مرتكبي الجرائم ينحدرون من البيوت المحطمة أكثر منها من البيوت السوية المتكيفة تكيفاً حسناً . عندما تصاب الأسرة بالتفكك والانحلال ، لأي سبب من الأسباب ، فإن الأطفال يحرمون من العلاقات والاتصالات السوية التي تساعدهم على النمو نمواً صحيحاً وعلى طاعة القانون . وعلى ذلك فإن الشلل المنحرفة أو جماعات الأحداث الجناح تصبح مغرية بالنسبة للطفل الذي ينحدر من بيئة منزلية محطمة . في هذا الصدد يقول روبنسون R . Robinson إن الأسر المحطمة ينتج عنها نقص الحماية الأسرية ويعد هذا عنصراً هاماً في جناح الأحداث . ووجد أن عدداً قليلاً جداً من الأحداث الجناح كانوا يتمتعون بالحماية الزائدة في مرحلة الطفولة overprotected ، والحماية الزائدة من الأساليب الخاطئة في تربية الطفل مثلها مثل القسوة الزائدة .

هناك ظروف أخرى تؤدي إلى السلوك الإجرامي ، منها أن تدفع الظروف الأسرية الطفل للبحث عن إشباع لدوافعه في مكان آخر خارج المنزل . فقد يطلب الآباء من الأطفال القيام بأعباء أزيد مما تحتمل طاقة الطفل وقدراته أو قد يحيطونه بحماية زائدة عن الحد ، وقد لا يشعرون بأية مسؤولية إزاء تعليم أبنائهم وتدريبهم على الحياة السوية الاجتماعية . ففي إحدى الدراسات التي تناولت الظروف الأسرية وجناح الأحداث وجد أن هناك

٨١ ٪ من الأحداث الجناح أتوا من أسر لا يوجد بين أفرادها مشاجرات عنيفة ، وكان هناك ٩٤ ٪ من بينهم قرروا أنهم يحبون أسرهم .

إن وصف الظروف الأسرية « بالبيوت المحطمة وغير المحطمة » يعتبر تقسيماً واسعاً وغير دقيق . لقد أجريت بعض الدراسات التي استهدفت معرفة أثر أنماط مختلفة من تربية الطفل على السلوك الإجرامي . ولقد تبين أن انعدام الشعور بالعطف والحب ، وكذلك عدم الثبات في طرق تربية الطفل ترتبط بالجنوح .

وهنا نذكر أن البيوت المحطمة بالمعنى القانوني ليست بالضرورة أخطر البيئات في خلق السلوك الإجرامي. إن البيوت المحطمة سيكولوجياً Psychologically broken homes هي البيئة الخطيرة حيث لا يتوفر للفرد فيها الفهم والتعاطف وهي التي تؤدي إلى السلوك المضاد للمجتمع . ولكن من الصعب وضع مقياس شامل للبيوت المحطمة سيكولوجياً وبالتالي هناك صعوبة في التنبؤ بالسلوك الإجرامي . يجب وضع مقاييس دقيقة وشاملة لتحديد صفات البيئة المحطمة سيكولوجياً ، يتناول العلاقة بين الطفل والأبوين، وبينه وبين بقية الأخوة ، واتجاهه نحو أفراد الأسرة ، وطرق معاملة الكبار للطفل ، وأسلوب التربية المتبع ، وعلاقة الكبار بعضهم البعض ، ومدى توفر الحاجات المادية والنفسية للطفل وفرص إشباعها . . . الخ .

المكانة المهنية Occupational status :

يبدو أن هناك علاقة بين « نوع » الجريمة أو نمطها وبين مهنة الفرد أكثر من ارتباط المهنة بالسلوك الإجرامي بصفة عامة . هناك بعض الجرائم التي يميل مرتكبوها أن يشغلوا وظائف معينة . فأرباب المهن التخصصية Professional persons تساعدهم مواقعهم الوظيفية على ارتكاب جرائم مثل الاختلاس والنصب والاحتيال والتزوير والتزييف والغش والسرقات الكبيرة ، أما العمال فإنهم يكونون في موضع يصعب معه القيام بعمليات الاختلاس . على حين يسهل عليهم الوقوع في جرائم مثل التشرد وبؤس الأطفال وهجرتهم وعدم رعاية الأسرة وما إلى ذلك . وتنتج هذه الفروق عن الفرص المتاحة للإجرام والقدرات اللازمة لكل نوع من أنواع الجرائم .

في دراسة كافارسيوس Kvaraceus :

وجد أن هناك علاقة أكيدة بين مهنة الآباء وبين جناح الأحداث . هناك نسبة كبيرة من هؤلاء الآباء يعملون عمالاً في المصانع أو عمالاً عاديين أو عاطلين كلية . وبالطبع لم يكن هناك إلا نسبة قليلة من جناح الأحداث من أبناء أرباب المهن المتخصصة وأصحاب الأملاك والمهن الكتابية والحرف الماهرة عن أرباب المهن غير المهارة . إن عامل المهنة هذا يعد عاملاً من العوامل الإضافية بالنسبة للعامل الأساسي وهو المكانة الاجتماعية والاقتصادية للأسرة .

الظروف المناخية :

هل للظروف المناخية والتغيرات الجوية أثر في وقوع الجرائم ؟

هناك بعض الإحصاءات التي تشير إلى اختلاف معدل الجريمة باختلاف درجات الحرارة والرطوبة Temperature and humidity وتوضح مثل هذه الإحصاءات في الولايات المتحدة الأميركية أن نسبة جرائم القتل وهتك العرض والضرب تحدث أكثر في ظروف الحر أو الجو الدافىء بينما السرقات تحدث في ظروف جوية باردة نسبياً . فجرائم القتل تحدث أكثر في شهور الصيف والسرقة والسطو على المنازل تحدث أكثر في شهور الشتاء . إن العوامل المناخية تعمل كعامل مهيء أو مثير Precipitating factor في وقوع الجريمة إلى جانب العوامل المهيئة أو الاتسعدادية الأخرى . في ظروف البرد الشديد تصبح الجرائم ضد ممتلكات الغير ضرورية وهامة بالنسبة للمجرم ، أما الجرائم ضد الأشخاص الآخرين فهناك احتمال حدوثها بنسبة أكثر في ظروف الحر حيث تثار الانفعالات والأعصاب بينما تكون ضرورات الحياة متوفرة أو سهل الحصول عليها فلا تدفع الفرد نحو الجريمة من أجل الحصول عليها . إن ظروف البرد القارس والثلوج تعوق بعض الأفراد عن الحصول على ضرورات الحياة ولذلك قد يلجأ إلى السرقة .

الراديو والتلفزيون والصحافة والسينما :

على الرغم من الإدعاءات الكثيرة التي تعزي وجود تأثير كبير للإذاعة

المرئية والمسموعة ، وكذلك الصحف والمجلات والسينما على تربية الأطفال ، إلا أنه لا يوجد أدلة علمية قاطعة تحدد نوع هذا التأثير ، حقيقة إن اتجاهات الأفراد بل وسلوكهم قد تتغير بعد رؤيتهم لفيلم معين أو بعد قراءة مادة معينة . ولكن رغم هذه الحقيقة هناك صعوبة في تحديد الشخص أو الهيئة التي تحدد بالضبط المادة التي يمكن عرضها على الطفل وتلك التي تحرم عليه . إن ذلك يحتاج إلى خبرة سيكولوجية واسعة بمراحل النمو وبشخصية الطفل وبقدراته وميوله واستعداداته وظروفه الجسمية والاجتماعية والاقتصادية ، كما يحتاج إلى إلمام بظروف المجتمع وفلسفته ورسالته وأهدافه .

على الرغم من أننا لا نعرف قيمة التعلم في السلوك المضبوط وسلوك الفرد في المستقبل إلا أننا نعلم جيداً أن اتجاهات الناس وآراءهم تتغير بسهولة . عن طريق عمليات التعلم نستطيع أن نغير من اتجاهات الناس ومن مفاهيمهم . ويسهل هذا التغير كلما كان الفرد واعياً ومدركاً لعملية التعلم .

إن الأفلام وبرامج التليفزيون وكذلك القصص وبرامج الإذاعة لها بعض التأثير على سلوك الأفراد . وهناك احتمال تقليد المجرمين لما يرونه على شاشة السينما أو يسمعونه أو يقرأونه وقد يستخدم المجرمون المعلومات التي يحصلون عليها من مثل هذه المصادر ، بعض الكتابات تمجد وتزهو بالعمل الإجرامي . وهناك بعض المجرمين الذين يسعون لاكتساب الشهرة عن طريق جرائمهم ولقد تنبه الكتاب إلى هذه الحقيقة ولذلك لا يظهرون المجرمين في رواياتهم بأي صورة جذابة أو بارقة . ومهما بدا من انتصار المجرم في بداية القصة فإنها تنتهي بعقابه وعلى وجه العموم إن وسائل الإعلام ، وكذلك القصة والسينما تؤثر في سلوك الأفراد ، ولكن ما زال من الصعوبة بمكان تحديد المادة الصالحة للمستمع أو المشاهد .

تأثير المخدرات والخمور :

إلى أي مدى تؤثر الخمور والمخدرات في ارتكاب الجرائم ومخالفة القانون ؟

لا شك أن للخمور والمخدرات تأثيراً ملحوظاً على مخالفة القانون ، ففي عام ١٩٦٣ كان هناك نسبة ٤١,٢ ٪ من بين المقبوض عليهم، تم القبض عليهم بسبب مخالفة قانون المشروبات الكحولية أو بسبب قيادة السيارات أثناء السكر أو بسبب السكر وذلك في داخل المجتمع الأميركي .

وهناك مخالفات لقوانين كثيرة تحدث من مدمني الخمور والمخدرات . ومعظم المخالفات التي ترتكب بواسطة مدمني الخمور مخالفات بسيطة ولكنها كثيرة العدد . ولكن خرق قانون المخدرات كانت نسبته المئوية بين مجموع المقبوض عليهم في ١٩٦٣ هي٠,٧٪ فقط . إن أهم أثر لتعاطي المخدرات هو سلوك المدمن من أجل الحصول على المال اللازم لشراء المخدر . وعلى ذلك فإن هذه النسبة الصغيرة لا تعكس حقيقة مدى خطورة المخدرات . هناك كثير من الإحصاءات التي توضح أن هناك نسبة ٩٠-٩٨٪ من مدمني المخدرات يتورطون في جرائم أخرى على القليل من أجل الحصول على المال اللازم لتمويل عادتهم هذه . إن مشكلة المخدرات أكثر خطورة وأقل قبولاً بالنسبة لأفراد المجتمع وذلك بالقياس بالخمور .

وكذلك فإننا يجب أن نوجه عناية أكبر لمشكلة المخدرات . وأبسط تعريف لإدمان المخدرات هو أنه رغبة ملحة أو رغبة قوية أو حاجة قوية قهرية للاستمرار في تعاطي وفي الحصول عليه بأي وسيلة ممكنة ، مع رغبة في زيادة الجرعات التي يتعاطاها المريض ، ويعرف الإدمان أيضاً بأنه نزعة ذهانية وأحياناً تكون نزعة فيزيقية للاعتماد على تأثير المخدر ، بصورة تجعل موارد المدمن كلها توجه نحو الإنفاق على شراء المخدر[1] .

في الولايات المتحدة الأميركية معظم الإدمان يتركز في الأفيون ومشتقاته « الهورين وصبغة الأفيون المعطرة . . . » وكذلك المورفين وهو أحد مشتقات الأفيون . ومن المخدرات التي يشملها قانون المخدرات هناك الكوكايين وهو مشتق من أوراق الكوكا ، والمروانا وهو مشتق من نبات القنب الهندي ولكنها لا تمثل الإدمان الفسيولوجي أو اعتماد خلايا الجسم عليها .

---

(١) لمزيد من المعلومات راجع كتاب المؤلف « علم النفس في الحياة المعاصرة » دار المعارف .

كيف يصبح الفرد مدمناً ؟

إن الإدمان يحتاج إلى تكرار تعاطي الجرعات حتى يصبح الفرد مدمناً . وهنا نتساءل عن حجم هذا التكرار اللازم لتكوين عادة الإدمان في الفرد . هناك اختلاف في الرأي حول هذا التكرار ، ولكن يبدو أنه يلزم تكرار الشراب يومياً لمدة أسبوعين . من السهل أن تتكون هذه العادة وبعدها ينمو اتجاه نحو قبول هذه العادة والتسامح إزائها لدى الفرد . ويصبح المدمن مدركاً لحدوث بعض الاستجابات الفسيولوجية المرغوب فيها التي تحدث بعد تعاطي المخدر ، ولكنه يجد نفسه مضطراً إلى إضافة جرعات أخرى لكي يحدث في نفسه نفس رد الفعل أو نفس الاستجابات الفسيولوجية السابقة .

إن أول جرعة من المخدر تحدث نوعاً من غثيان النفس مثل المرحلة الأولى من شرب الخمر . وبعد تعاطي عدة جرعات تختفي حالة الغثيان ويصبح هناك شعور بالحسن والفرح والبهجة والسرور Feeling of goodness or euphoria .

إن المخدرات تسبب نوعاً من الهبوط ورغبة جنسية ، ونوعاً من النعاس أو الخمول والتخلص من الآلام الجسمية وشعور عام بالاسترخاء والرضا .

هناك كثير من الشباب الذين يقعون في حبائل المخدرات بسبب الرغبة في التجريب أو المحاولة الأولى التي يقصد بها مجرد المذاق أو المرور بالتجربة أو رغبة في التحدي أو نتيجة لإيحاء جماعة الجيران أو الأقران والأنداد . كلما شعر الشاب بالآثار « السعيدة » ، « السارة » كلما نما لديه الميل في تكرار الجرعة . وبعد حوالي أسبوعين من تعاطي المخدر بصورة منتظمة ينمو عند الفرد حالة الاعتماد الفسيولوجي . ومعنى ذلك أنه لا بد أن يتعاطى المخدر بصورة ثابتة ودائمة حتى تدخل جسمه وإلا تعرض لحالة شديدة من الهبوط والإنزواء والانعزال والانسحاب .

يصف كولمان J. C. Coleman هذه الحالة في كتابه علم نفس الشواذ والحياة الحديثة بقوله : إن أول هذه الأعراض هو التثاؤب والعطاس والعرق وفقدان الشهية، ويتبع ذلك رغبة متزايدة في تزايد الجرعات ، وشعور بعدم

الراحة والاكتئاب الذهاني ومشاعر بالهلاك المحيق وشعور بالتهيج وضعف العضلات وزيادة في معدل التنفس . وبمرور الوقت تزداد هذه الأعراض حدة وعنفاً وربما يشعر المريض بالبرودة الشديدة التي تتناوب مع بعض الاضطرابات في الأوعية الدموية وزيادة حمرة الوجه وزيادة إفرازات العرق واحمرار الجلد بحيث يصبح مثل عرف الديك الرومي ، وكذلك القيء والإسهال ومغص بطني وآلام في الظهر والشعور بالتطرف وصداع عنيف مع الاهتزاز أو الترنح والرجفة والرعشة . ويرفض المريض الطعام والماء يضاف إلى ذلك حالة الجفاف الناتجة عن القيء المستمر والإسهال والعرق ويسبب ذلك حالة جفاف شديدة ونقص في الوزن شديد يصل إلى ٥ ـ ١٥ رطلاً في اليوم . وفي بعض الأحيان يصاب المريض بالهذيان أو الخطرفة والهلوسة وبعض الحركات العشوائية السريعة . إن الأعراض الإنسحابية تزداد حدة لمدة ٣ أو أربعة أيام ثم تختفي ببطء ، ثم تختفي جميع الأعراض الحادة بعد حوالي ٥ أو ٧ أيام من أخذ آخر مخدر . وغالباً ما يصاب المريض بعدم الراحة والتعب والأرق مع شعور بالضعف الجسمي العادي لمدة ٣ أو ٤ شهور بعد تعاطي آخر مخدر . يظل الفرد عبداً لهذه العادة ويحتاج إلى زيادة الجرعات لكي يحتفظ لنفسه بالتوازن ويصبح ذلك المخدر عنصراً أساسياً وضرورياً لحفظ توازن الجسم .

إن اعتماد جسم المريض على المخدر بالإضافة إلى أعراض الانسحاب الشديدة ترغمه لشراء جرعات من المخدر بصفة مستمرة . في خلال الستينات الماضية كان المريض يحتاج لمبلغ يتراوح ما بين ٦٠ و١٠٠ دولار يومياً لإشباع عادته هذه . ومن هنا يضطر المدمن إلى السلوك الإجرامي للحصول على المال اللازم . ولهذا أهمية كبيرة بالنسبة للسلوك الإجرامي . ونظراً لانغماس الفرد في المناشط الخاصة بالحصول على المخدر وحتى ينغمس في السلوك الغير قانوني للحصول على المال اللازم فإنه نادراً ما يجد الفرصة للحياة السوية أو الحصول على مهنة ثابتة .

وهنا يجدر بنا أن نتساءل عن سبب لجوء الفرد إلى إدمان المخدرات . هناك كثير من علماء النفس الذين درسوا مشكلة الإدمان يقررون أن السبب في

الإدمان يرجع إلى وجود مشكلات نفسية لدى الفرد ولكن بطبيعة الحال هناك كثير من الناس الذين يعانون من المشكلات النفسية ولكنهم لم يتحولوا إلى الإدمان .

أما عن كيفية تخليص المريض من هذه العادة فيقال إن إبعاد المريض عن المخدر قد يؤدي إلى علاجه من هذه العادة من حيث إنه لم يعد ليتمكن من تعاطي المخدر . ولكننا ما زلنا لا نستطيع أن نحكم على هذه الطريقة بأنها علاج ناجح من عدمه . وللأسف لا يوجد في المجتمع اهتمام كافي لتوفير وسائل العلاج الناجحة لهؤلاء المرضى وما زلنا في حاجة إلى كثير من الجهود في التشخيص والعلاج . لا بد من فهم جميع جوانب مشكلة الإدمان النفسية والاجتماعية والطبية . وما زال هناك كثير من البحاث الذين لا يقدرون أهمية الجانب الطبي في المشكلة . ولذلك فإننا يجب أن نهتم بأي أسلوب من أساليب العلاج مهما كانت نسبة شفائه قليلة . وإذا علمنا أن الشخص المدمن أصلاً لا يتمتع بشخصية سوية متكيفة وإنما هو يسعى للحصول على المساعدة عن طريق المخدر . ولذلك فلا عجب أن تنخفض معدلات الشفاء . فنسبة الشفاء التي يمكن اعتبارها معقولة لا تتجاوز ٣٥ ٪ من مجموع المرضى . وما زالت نسبة ارتداد المرضى الذين شفوا عالية ، ولم تزد نسبة الذين يمنعون أنفسهم كلية عن المخدر على مدى فترة زمنية طويلة ١٢ - ١٥ ٪ .

هناك بعض المرضى الذين لا يعودون إلى المخدر ولكن لأسباب غير معروفة لنا وذلك لعدم وجود البحوث العلمية الصحيحة . لقد وجد أن هناك ٤٠ ٪ من المرضى أتوا لإحدى المستشفيات الأميركية أكثر من مرة وبعضهم قد أتى للمستشفى أكثر من ٢٠ مرة . وكان هناك حوالي ١٤ ٪ من المرضى هم الذين يكونون ٤٢ ٪ من مجموع المرضى الذين دخلوا المستشفى . وبعض هؤلاء المرضى كان يذهب للمستشفى بقصد تقليل نسبة تعاطي المخدر أي تقليل حجم الجرعات التي يتناولونها .

وعلى كل حال فإن النتائج الضعيفة لعلاج الإدمان لا ينبغي أن تثبط همتنا أكثر من نتائج علاج ذهان الفصام أو السرطان مثلاً . إن المشكلة

الأساسية تكمن في عدم اهتمام الشعب بمشكلة إدمان المخدرات وبعلاجها . إن وجود مراكز رعاية المدمنين تبشر بكثير من النجاح في تخفيف حدة هذه المشكلة .

طرق اكتشاف الجرائم :

كيف يمكن التعرف على المجرمين واكتشافهم ؟ إن معظم السلوك الإجرامي دائماً ما يتصل بأناس لا يرغبون في العقاب ولا يرغبون في الإحالة إلى المحاكمة أصلاً . ولذلك تهتم أجهزة الأمن بجمع المعلومات من جميع المصادر الممكنة بما في ذلك المجرمين أنفسهم . ولكننا لا نعرف عما إذا كان الفرد يقول الحقيقة أم لا . ولذلك يلجأ علماء الإجرام الحديث لاستخدام كشاف الكذب Lie detector للتأكد من صدق أقوال المتهم من عدمه . ولكن لسوء الحظ لا يوجد آلة أو ماكينة تعرف باسم كشاف الكذب ، لا يوجد مثل هذه الآلة التي تكشف الكذب بصورة مباشرة . ولكن هناك آلات ومعدات توضح للأخصائي مدى انفعال الفرد عندسماع بعض القضايا أو العبارات أكثر منه عند سماع بعض العبارات الأخرى[1] .

كشاف الكذب The lie detector :

كشاف الكذب عبارة عن آلة تسجل عدداً من الخصائص والصفات الفسيولوجية التي تتغير في الفرد أثناء عملية الاستجواب أو التحقيق معه .

إن كشاف الكذب يقيس التغيرات الفسيولوجية التي تحدث في داخل الفرد تلك التغيرات المصاحبة للتغيرات الانفعالية التي تحدث في حالته الانفعالية .

إن هذا المقياس ليس جديداً كلية فمنذ قرون طويلة كان هناك محاولة لاكتشاف الكذب . فقد حاول الملك سليمان King Solomon التعرف على أمومة الطفل عن طريق ملاحظة الشعور بالخوف الشديد عند الأم الحقيقية عندما يتظاهر بالانتقام الشديد من جسم الطفل . وفي العصور الوسطى كان

---

(١) لمزيد من المعلومات راجع كتاب المؤلف « علم النفس ومشكلات الفرد » .

هناك معدات للتعذيب والتنكيل Torture devices كوسيلة للحصول على الاعترافات الحقيقية .

أما معدات اكتشاف الكذب وتمييزه عن القضايا الحقيقية فإنها تقيس ضغط الدم Blood pressure ، معدل النبض Pulse rate وإنتاجية الجلد من الكهرباء Electrical conductivity of the skin ومعدل التنفس Breathing rate . هذه العوامل غالباً ما تختلف باختلاف الحالة الانفعالية للشخص . والحالة الانفعالية تتغير عندما يكذب الفرد . ومعنى هذا أن تقدير سلوك الكذب يسجل عن طريق التغيرات المصاحبة التي تحدث في الجسم عندما تتغير الحالة الانفعالية . ولكننا يجب أن نعترف أن نفس التغيرات في الظروف الانفعالية تحدث نتيجة لظروف كثيرة أخرى خلافاً لسلوك الكذب . فقد يخاف الشخص من وجود الأشخاص الآخرين معه وقد يشعر بالقلق نتيجة لتأثير أي عنصر من العناصر الموجودة . وهناك أشخاص يأتون بالاستجابات العادية للخوف كما يستجيب غالبية الناس . على كل حال فإن الجهاز يسجل استجابات الفرد والتغيرات الفسيولوجية ثم يفحصها أخصائي القياس النفسي ومعه المحقق لتحديد معناها ومدى صدق المفحوص .

ضغط الدم والنبض :

هناك كثير من الدراسات التي أوضحت أن ضغط الدم يتغير لوصول بعض التيارات العصبية من الجهاز العصبي السمباثاوي Sympathetic Nervous System . ضغط الدم هذا عندما تكون صمامات القلب Valves مفتوحة يمكن أن يقاس بسهولة ويمكن قياس التغيرات التي تحدث في الضغط . وعندما تكون تغيرات ضغط الدم متمشية مع إجابات المتهم في التحقيق فإننا نحصل على مؤشر لصدق المتهم أو كذبه . وهناك افتراض أن الفرد عندما يروي رواية كاذبة فإن هناك تغيرات تحدث في التيارات العصبية من الجهاز العصبي السمباثاوي . ويوجد كثير من الأجهزة الحديثة التي تسجل ضربات القلب بصفة مستمرة وضغط الدم . وليس هناك صعوبة في تفسير مثل هذه النتائج عند المجرمين الذين اعتادوا الجريمة .

إن المتهم الذي يشدد من قبضة يده ، ويصلب رجليه ويشدهما أو يخلق توتراً عضلياً في جسمه بأي طريقة من الطرق يستطيع أن يجعل تفسير هذه النتائج صعباً أو يفسد مدلول هذه النتائج . كذلك فإن الأشخاص الذين تعودوا على استخدام كشاف الكذب يستطيعون أن يحوروا من إجاباتهم بطريقة تجعل من الصعب تمييز الاستجابات الصادقة من الكاذبة .

يقاس أيضاً معدل التنفس Breathing rate عن طريق جهاز يسمى Pneumograph ويتكون من خرطوم من المطاط يلف حول صدر المتهم ويوجد به جهاز يسجل الشهيق والزفير . ونسبة الزمن الخاصة بالشهيق إلى الزفير تتغير بتغير التيارات العصبية الصادرة من الجهاز العصبي . وفي الغالب ما يتبع الكذب تنفس عميق وشهيق غير منتظم .

الاستجابات السيكوجلفانية Psychogalvanic responses :

يمكن قياس الاستجابات الجلفانية وهي عبارة عن كمية الكهرباء التي تظهر على سطح الجلد وذلك بطريقتين ، الأولى عن طريق تزويد الجسم بكمية صغيرة جداً من الكهرباء عند نقطة معينة من سطح الجسم ثم قياس كمية الكهرباء التي تنتج على سطح الجلد في نقطة مجاورة أخرى . ويمكن التعرف على التغيرات التي تحدث في إنتاج مثل هذا التيار الكهربائي . والطريقة الثانية هي قياس النشاط الكهربائي الحقيقي الذي يظهر على سطح الجلد . ولكن الاستجابة الجلفانية حساسة للغاية وصعبة التفسير .

موجات المخ Brain waves :

ينتج المخ بعض الموجات الكهربائية ويمكن قياسها عن طريق أجهزة خاصة ، وتوضح مثل هذه الأجهزة نمطين من الموجات : موجات الألفا وهي بطيئة ومتناسقة Alpha wave وموجات بيتا Beta wave وهي أكثر سرعة . والمعروف أن موجات الألفا تختفي في حالة التهيج الانفعالي . فقياس موجات المخ أحد الطرق المستخدمة للتعرف على الكذب . ولكن هذا القياس يحتاج إلى أجهزة دقيقة وخبرة كبيرة في تفسيره .

إلى جانب هذه الطرق المستخدمة في التعرف على الكذب تستخدم

أيضاً حركات العين Eye movements عند المتهم وذلك عن طريق ملاحظة عين المتهم وحركاتها أثناء الاستجوابات وبعدها .

استعمال كشاف الكذب :

هناك صعوبات في استعمال كشاف الكذب منها أن هناك حالات وعوامل كثيرة من الممكن أن تحدث في الفرد هذه التغيرات الفسيولوجية آنفة الذكر (زيادة ضغط الدم ، التنفس ، الاستجابة الجلفانية . . . إلخ) ، من ذلك الخوف والغضب والارتباك والدهشة أو المثيرات القوية الصادرة عن البيئة . مثل هذه العوامل قد تفسر النتائج التي نحصل عليها من استعمال كشاف الكذب ، ولكن حتى مع وجود مثل هذه الصعوبات إلا أن كشاف الكذب يأتي بكثير من المعلومات ذات القمية الكبيرة في تقدير سلوك الكذب .

في كثير من الأحيان يتردد القضاة في قبول النتائج المستمدة من استخدام البيليوجراف أي كشاف الكذب . ولا يقبلونها كأدلة موضوعية وفي بعض الأحيان تستدعي المحكمة الخبير الذي استخدم الجهاز وفسر نتائجه للإدلاء بشهادته . ويمكن الحصول على نتائج صادقة إذا استخدم كشاف الكذب أخصائي مدرب تدريباً كافياً . وفي حالة استخدام كشاف الكذب فإن هناك منهجاً خاصاً بالاستجواب أيضاً كأن يستخدم ترابط الكلمات أو سلسلة من الأسئلة بحيث يجيب المفحوص بكلمة على كل مثير : A series of questions are asked or a word - association techmique requiring the response of a word to each stimulus word is used [1] .

وتجري عملية الاستجواب في أثناء تسجيل التغيرات الفسيولوجية ويمكن إعزاء التغيرات التي تلاحظ في الاستجابات الفسيولوجية إلى ذات السؤال الذي حدثت التغيرات على أثر سماعه .

وهناك في الوقت الحاضر كثير من الأجهزة الجديدة التي تستخدم في

---

(١) Brown, J. M,. Applied pyschology.
- راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية - د. العيسوي - الدار الجامعية - بيروت .

مكافحة الجريمة . من ذلك كشاف السكر Breathalyzer وهو جهاز يكشف مقدار الكحول في الدم ، ويفيد في التعرف على السكارى . إن أعراض السكر أو التسمم تشبه أعراض الصرع Epilepsy النوبات القلبية Heart attack ومرض السكر Diabetes أو تعاطي الجرعات الزائدة من الأنسولين Insulin أو المسكنات أو المهدئات Tranquilizers . ويعد هذا الجهاز واحداً من كثير من الأجهزة العلمية التي تستخدم في مجال الجريمة . ولذلك فللبحث العلمي أهمية كبيرة في مجال منع الجريمة وتوجيه الاتهام .

الإجراءات داخل قاعة المحكمة :

تحدثنا حتى الآن عن بعض العوامل المتصلة بالسلوك الإجرامي والتعرف على الكذب أو الغش ، وينقلنا ذلك إلى الحديث عن إثبات إدانة أو براءة المتهم . في كثير من بلاد العالم ، بما في ذلك الولايات المتحدة الاميركية ، يعتبر المتهم بريئاً إلى أن يثبت أنه مذنب .

وتوفر المحاكم فرصاً لتقديم الأدلة على الإدانة والبراءة ثم الحكم بعد ذلك . ويتصف جو قاعة المحكمة بالجدية والهدوء وكثير من الحركات الشعائرية أو الطقوسية ويساعد هذا الجو في البحث عن العوامل الحقيقية المتصلة بالجريمة .

والمعروف أن هناك نوعين من القضايا : قضايا جنائية وتتضمن اتهام شخص أو أشخاص معينين بخرق قاعدة مرعية أو قانون من قوانين المجتمع . ويعمل مدعي الاتهام Prosecuting attorney على إثبات أن المتهم مذنب ، أما ممثل الدفاع أو مدعي الدفاع Defense attorney فيعمل كل ما يستطيع من أجل إثبات براءة المتهم .

أما النوع الآخر من القضايا فهو القضايا المدنية Civil cases فيوجد المدعي Plaintiff وهو شخص يسعى لعقاب أو مجازاة شخص آخر لقيامه بعمل ما . فالمدعي يطلب من القاضي أو المحلفين أن يقرروا أنه قد تأثر تأثراً ضاراً وبغير حق عن طريق شخص آخر ، وإذا ثبت ذلك أن يوصي القاضي ببعض التعويضات نظير الخسائر التي لحقت به . ويمثل المدعي محامي

يحاول إثبات أن المدعي قد أصابه الضرر ، بينما محامي المدعي عليه يحاول إثبات عدم صحة هذه الدعوى .

وفي علم النفس معظم الاهتمام يوجه نحو القضايا الجنائية وإن كانت نفس المبادىء تنطبق على هذين النوعين من القضايا معاً أي القضايا المدنية والقضايا الجنائية .

إن هدف المحكمة هو حماية المواطنين وصيانة حرياتهم . ولذلك يحاول مدعي الاتهام إثبات أن المتهم قد خرق قاعدة قانونية معينة ؛ وعلى المدعي أن يقنع القاضي والمحلفين أن المدعى عليه مذنب .

في حالة القضايا الجنائية يمثل المتهم والادعاء أخصائيون هم وكلاء . ممثل الاتهام يمثل الناس أو الشعب ممثلين في شكل حكومة محلية أو ولاية أو الحكومة الفدرالية ، ولذلك تصاغ القضية مثلاً على أنها من حكومة فنزويلا ضد جون كوكس مثلاً . ودائماً ما يؤكد المدعي هذه الحقيقة لكي يوضح أنه في جانب أفراد المجتمع محاولاً حمايتهم من المتهم . وفي الغالب ما تنظر القضية أمام أفراد محترمين من أبناء المجتمع الذين تم انتخابهم أو تعيينهم كقضاة وفي بعض الأحيان تنظر القضية أمام هيئة من المحلفين Jury . ويختار القاضي في الولايات المتحدة الأميركية نتيجة لتعليمه وخبرته الواسعة بالقانون . ومن واجباته الاستماع إلى كلا الطرفين وأن يصدر حكماً ببراءة المتهم أو إدانته . وأن يوجه المحلفين وأن يستمع إلى قرارهم ثم يصدر الحكم .

ويتدخل علم النفس في نشاط المحلفين والشهود والأدلة وأحكام المحلفين .

المحلفون :

في القضايا الجنائية يكون من حق المتهم أن يحاكم بواسطة محلفين أو يطلب محاكمة بدون محلفين . وفي حالة المحاكمة التي تتم عن طريق المحلفين يصبح من حق مدعي الاتهام ومدعي الدفاع اختيار أعضاء فريق المحلفين الذين سوف يستمعون إلى القضية من كلا الجانبين المتعارضين .

إن اختيار المحلفين وعملهم يعد من المجالات الهامة التي يدخل فيها علم النفس. إن وظيفة المحلفين تتلخص في تقرير الحقيقة من خلال الأدلة المتعارضة التي يقدمها الطرفان . ويستطيع القاضي بعد ذلك أن يطبق القانون على النتيجة التي توصل إليها المحلفون ، وأن يتأكد من تطبيق الإجراءات القانونية ، وأن يتأكد من مطابقة الحكم للقانون .

ونظام المحلفين ابتكر لكي يعضد من النظام القضائي القديم الضعيف . في العصور المبكرة كان للوردات الحكومة الفيدرالية سلطة مطلقة فوق جميع المواطنين . وبمرور الزمن أصبح من الواضح أن جماعة من المواطنين يستطيعون أن يحكموا حكماً صائباً على سلوك جماعة أخرى من المواطنين المتهمين . وكان يتم اختيار المحلفين لأنهم يعرفون الظروف الفردية والجماعية المحيطة بالنزاع موضوع التقاضي . ولقد نجح هذا النظام عبر العصور ، وأدى إلى تجنب عدداً كبيراً من حالات الظلم التي كانت تحدث في العصور السابقة .

وفي الوقت الحاضر يواجه نظام المحلفين كثيراً من المشكلات منها أنه على المحلف أن يقرر أي من الحقائق المقدمة تعطي وزناً أكثر ، وعليه أن يقرر أحياناً في قضايا مدنية متصلة بالحرية أو السرقة أو القتل . وعلى المحلف أن يقيم الشهادات التي يدلي بها جميع أنواع الناس من جميع أنواع التخصصات ومن جميع المستويات الثقافية والتعليمية . ولكنه من المستحيل أن نجد المحلف الذي يستطيع أن يقيم بكفاءة جميع الشهادات التي تعرض عليه . وفي بعض الحالات يختار القاضي المحلفين ويوجه إليهم الأسئلة . وفي معظم الأحيان يشترك ممثل الادعاء والدفاع في اختيار المحلفين من بين قائمة كبيرة بأسماء الأشخاص الذين يمكن الاختيار من بينهم . ولكل من ممثل الاتهام وممثل الدفاع الحق في إيقاف أي محلف إذا أظهر أنه متشبث برأي معين ، كما يستطيع كل منهما أن يوجه إليه الأسئلة بقصد خدمة أغراضه في القضية . وليس هناك طريقة محددة في اختيار المحلفين واعتمادهم لنظر القضايا المختلفة ، وعلى أساس من بعض العوامل يمكن استبعاد بعض المحلفين كما هو الحال في حالة التعصب الديني أو السياسي أو الاجتماعي

وما إلى ذلك من الأمور التي يمكن أن تؤثر في القضية . وفي أثناء الاستجوابات يحارل ممثلو الاتهام والدفاع وضع انطباع أو تأثير معين في أذهان المحلفين ، ويحتاج ذلك إلى عناية فائقة وحذر شديد من قبل المحلفين . وإذا أرادوا استبعاد أحد المحلفين فيجب أن يكون ذلك بأسلوب رقيق وحذر حتى لا يثيروا سخط أو تعاطف بقية المحلفين الذين يحتمل أن يتوحدوا مع زميلهم المستبعد . ويوجه ممثلو الادعاء والدفاع المحلفين في بداية القضية بصورة تخلق عندهم اتجاهاً إيجابياً نحو موجه السؤال .

أما قرارات المحلفين بالإدانة أو البراءة فتعتمد على كثير من العوامل إلى جانب الأدلة الخاصة بالقضية . ولذلك فلا بد أن يأخذ ممثلو الدفاع والاتهام في الاعتبار عند اختيار المحلفين ، جنسية الشهود ومستواهم التعليمي وخبراتهم وخلفيتهم ، وكذلك هذه الأمور بالنسبة للمتهمين و عند المحلفين وغيرهم . ولا يعقل أن يتغير تعصب المحلف السابق من مجرد المناقشة في القضية ومثل هذا التعصب له أهمية عند أخذ أصوات المحلفين أو الاقتراع السري .

إن الصعوبة تكمن في إمكان إيجاد المحلفين الذين يستمعون إلى الأدلة وأن يقرروا بالإدانة أو البراءة طبقاً للحقائق المعروضة عليهم . إن التعصب وكذلك الاتجاهات والأحوال العقلية تلك التي تختفي داخل الفرد تصبغ القرارات بصيغة معينة . وفي الغالب لا يدرك المحلفون أنهم متعصبون كما لا يدركون أن تعصبهم يؤثر في القضية وفي فكرتهم عنها . إن ممثل الدفاع وكذلك الادعاء ينبغي أن يكون « سيكولوجياً » عندما يختار المحلفين . ومعنى ذلك أن يأخذ في الاعتبار جميع العوامل النفسية والاجتماعية والاقتصادية وكذلك سمات شخصية المحلف ، والمتهم ، ونوع القضية وكذلك ثقافة المحلف وتخصصه ودوافعه النفسية والشعورية واللاشعورية فالمحلف ينتمي إلى جماعة الأقلية غير المحلف الذي ينتمي إلى جماعة الأكثرية .

تبدأ المحاكمة بعبارة افتتاحية يقولها مدعي الاتهام مخاطباً بها المحلفين يحاول فيها إعطاء فكرة أساسية عما سيدور في المحاكمة . وفي الغالب لا يقحم نفسه في أمور انفعالية أو عاطفية وإنما يعطي صورة صريحة ومباشرة عن

الإجراءات التي ستحدث لكي يوضح للمحلفين نوع العقوبة الجنائية ضد المتهم . وهنا مرة أخرى يوجد كثير من المعلومات السيكولوجية في نظر القضية وفي أسلوب العرض ، ولكن لا يوجد لدينا أدلة علمية توضح لنا الأسلوب المثالي في العرض .

بعد أن يدلي مدعي الاتهام بكلمته الافتتاحية يستطيع ممثل الدفاع أن يلقي بكلمته الافتتاحية أو ينتظر حتى يبدأ في تقديم أول شاهد من شهوده ، فيقدم مع ذلك عبارته الافتتاحية ، ولكننا لا نعرف الأسباب السيكولوجية وراء هذا وإن كان هذا الترتيب يبدو منطقياً .

الشهود Witnesses :

في القضايا الجنائية يصبح من مسؤوليات مدعي الاتهام أن يستدعي جميع الشهود الذين يستطيعون أن يزودوا المحكمة بالمعلومات إزاء الأحداث التي وقعت ، وعندما يقف الشاهد على منصة الشهود فإنه يقسم أن يقول الحق على افتراض أن الشخص يصبح أكثر إجباراً على قول الحق إذا أقسم أن يقول الحق . وقديماً كان هناك قسم قوي مع تقبيل الإنجيل أو الكتاب المقدس ولم يعد هذا منتشراً الآن ولكن ما زال هناك شعور عاطفي أو انفعالي قوي في قاعة المحكمة عندما يقسم الأفراد بقول الحق ، ولكننا لا ندري إن كان ذلك يزيد من صدق أو صحة العبارات التي يدلي بها الشهود أم لا . ولقد كشفت بعض الدراسات أن الأشخاص الذين أدلوا بشهادات غير صحيحة بنسبة تتراوح بين ٢٠ ، ٢٥ ٪ هؤلاء الأشخاص في تجربة معملية أدلوا بشهادات خاطئة تبلغ ١٠ ٪ فقط وذلك بعد أن أدوا القسم اللازم ، ومعنى ذلك أن القسم أدى إلى انخفاض نسبة الشهادة الخاطئة بنسبة ٢٥ - ١٠ = ١٥ ٪ . وهناك تجارب معملية أخرى تتفق على وجه العموم مع هذه النتيجة ، ولكن للأسف لا نستطيع أن نجري التجارب في قاعة المحكمة ولذلك فلا يتوفر لدينا الأدلة الموضوعية والعملية . ويبدو واضحاً أن القسم يؤدي إلى قول الحق [١] Oath taking is apparently conductive to truth

---

(١) المرجع السابق Brown.

telling وخاصة إذا لم يكن للشاهد مصلحة في القضية .

لا توجد أدلة علمية كثيرة توضح طريقة سرد الأدلة التي يستفيد منها ممثل الاتهام ويصبح عليه هو أن يستخدم أسلوبه السيكولوجي الخاص وأن يختار الشهود وأن يقدمهم بالطريقة التي يفيد منها إفادة كبيرة في قضيته . وفي الغالب ما يبدأ مدعي الاتهام باستجواب شخصية قوية تكون قادرة على الوقوف أمام الامتحان القاسي الذي توجهه إليه هيئة الدفاع . ثم بعد ذلك يستخدم بقية الشهود المتوفرين لديه لكي يعرض القضية بالطريقة التي يظن أنها منظمة وفي الغالب ما ينتهي أيضاً بشهادة شاهد قوي . ويؤسس هذا الإجراء على افتراض مؤداه أن شهادة الشاهد الأخير سوف يتذكرها المحلفون عندما يذهبون إلى قاعة المداولة (الانطباع الأخير) .

لقد درس أحد الباحثين أثر ترتيب عرض المعلومات والأدلة على هيئة المحكمة وذلك في أحد معامل علم النفس . ولقد أوضحت هذه الدراسة أن هناك انتقالاً في الحكم بالإدانة أو البراءة في أثناء توالي الإدلاء بالشهادات أمام جماعة من (المحلفين) . وكانت درجة شعور المحلفين باليقين بإدانة المتهم، كانت تختلف كلما عرضت عليهم الأدلة المختلفة بل إن اختلاف ترتيب عرض الأدلة أدى إلى اختلاف في الحكم النهائي .

لا شك أن ترتيب عرض الشهادة له أثره في أذهان المحلفين . وهناك دراسات أخرى أوضحت أن العبارات الختامية للمدعين لها أهمية في اتجاهات المحلفين .

أما ممثل الدفاع فيبذل كل جهده لكي يوضح أن المتهم بريء وليس سيئاً كما صوره ممثل الاتهام . وفي الغالب ما تثار كثير من الجوانب العاطفية أكثر من الحقائق المادية . وهناك طرق متعددة أمام هيئة الدفاع لإثارة العواطف نحو موكلهم . فإذا كان من الممكن فإنه يثير الشك في أذهان المحلفين حول جرم المتهم كما يحاول ممثل الدفاع أن يوضح أن موكله شخص طيب ، وقد يحاول أن يوضح أن ممثل الاتهام كان غير عادل مع المتهم ، وقد يوضح أن الشخص الذي وقع عليه الضرر كان شخصاً شريراً في المحل الأول وقد يلجأ

إلى روح الفكاهة والمزاح لكي يسفه من آراء المدعي الخصم . وللأسف أيضاً لا يوجد لدينا أدلة علمية عن أفضل هذه الطرق .

ولقد وجد أن استجواب الشاهد أو التحقيق معه هو خير وسيلة لاختبار صحة شهادته ويستطيع المدعي أن يسأل أسئلة المعارضة أو الخصوم لنفس الشاهد ولا ينبغي أن يسأل أسئلة موجهة أو فيها إيحاء بالإجابة Leading questions . ينبغي أن تكون الأسئلة عامة ثم يترك المدعي الفرصة للشاهد لكي يعرض معلوماته . وبالمثل بالنسبة للدفاع ينبغي أن تكون أسئلته مباشرة بنفس الطريقة . وفي أثناء تبادل الأسئلة بين مدعي الاتهام والدفاع للشهود فمن الممكن استخدام الأسئلة الموجهة وأسئلة للخداع والحيل Trik questions ، وكذلك من الممكن القيام بالمحاولات التي تستهدف إبطال مفعول شهادة الشاهد . ويتدرب المحامون في أثناء إعدادهم على استعمال مثل هذا الحوار .

ويخلق جو المحكمة والسلطات الممنوحة للقاضي والمحاماة جواً من عدم الأمان في نفس الشاهد ونوعاً من الشعور الانفعالي بعدم الراحة . فالشاهد يقع تحت ضغوط نفسية كثيرة .

الشهادة Testimony :

هناك كثير من البحوث السيكولوجية التي تناولت موضوع الشهادة وتفاعل الفرد مع عناصر بيئته المادية والاجتماعية . ومن بين هذه الدراسات معلومات عن كيفية استعمال الفرد للمثيرات أو تفاعله معها واستجاباته لها . ومثل هذه المعلومات ذات قيمة كبيرة في نشاط المحاكم . ويقصد بالشهادة إعطاء تقرير بواسطة شخص ما عن موقف خاص أو سلسلة من الأحداث التي سبق أن وقعت في حضوره . ولذلك هناك كثير من العمليات السيكولوجية الهامة التي تتدخل فيها ، منها الإدراك والانتباه وإعطاء التقارير والتذكر . . . الخ .

Thus the processes of perception , attention , reporting , and memory are involved in testimony [1] .

---

(١) Brown .

وهناك كثير من العوامل السيكولوجية التي تؤثر في دقة الشهادة . ويذهب بيرين F . K . Berrien إلى القول بأنه من الواضح أن الشهادة الدقيقة في قاعة المحكمة سوف تعتمد على دقة ملاحظة الحدث أولاً . أما العوامل التي تفسد الملاحظة الأولى فهي عوامل الخطأ في الإحساس والخداع البصري وغير ذلك من العوامل التي يدرسها علم النفس العام ، ومنها عوامل موضوعية تتصل بموضوع الإدراك نفسه كالشكل والأرضية وعوامل التشابه أو التقارب الزمني والمكاني والاتصال والإغلاق والنمط ، والعوامل الذاتية كالحالة الجسمية والنفسية للشخص المدرك واتجاهاته وميلوه وذكائه وعامل الإلفة أو الخبرة وعامل التوقع . . . الخ . كل هذا يؤثر في دقة الملاحظة (٢) .

الرؤية Vision :

من الواضح أن هناك أخطاء كثيرة في رؤية الإنسان للأشياء المحيطة به ، وهناك كثير من العوامل التي تؤثر في دقة الملاحظة . فقدرة الإنسان على الرؤية فيها كثير من وجوه النقص الذي يدركه الناس عامة وكذلك هيئة المحكمة . إن الأشخاص المجاورين للحدث لا يمكن أن نتوقع منهم أن يعطوا أدلة غير قابلة للشك للأحداث التي وقعت على بعد معين منهم وذلك ما لم يرتدوا نظارات مصممة للرؤية . وتتوقف درجة الدقة على درجة سلامة الرؤية . والأشخاص الذين شاهدوا الحدث من بعد يجدون صعوبة في عمل التمييز بين الأحداث والوقائع وعناصر الموقف . ومعظم الأحداث في الواقع تقع على بعد ما من الشهود .

كذلك عمى الألوان Colour blindness يوجد حوالي ٤ ٪ بين الذكور و ١ ٪ في النساء قد يفسد شهادة بعض الشهود دون أن يدري الشاهد نفسه . وبعض الناس الذين يعانون من عمى الألوان البسيط لا يكتشفون ذلك إلا بعد سن متقدمة على الرغم من وجود الحالة عندهم منذ الميلاد . وهؤلاء الناس لا يستطيعون التمييز بين الألوان الحمراء والخضراء بسهولة .

ومن السهل اكتشاف الضعف البصري بواسطة اختبار إشاهرا Ishahara

(١) راجع ذلك في كتاب المؤلف ، دراسات سيكولوجية .

Test الذي يتكون من عدد من الكروت أو البطاقات المغطاة بالنقط الملونة . ويوجد في وسط المجال المنقط نقط ذات ألوان متشابهة تكوّن أعداداً يمكن إدراكها ، والشخص المصاب بعمى الألوان لا يرى الأعداد أو يراها بصورة مختلفة عن الوضع الطبيعي العادي .

كذلك يؤثر ضعف الإضاءة Illumination على دقة الرؤية وكذلك على رؤية الألوان ولا بد أن يدخل في تقدير الشهادة . من المعروف أن الإضاءة المنخفضة تقلل من الرؤية Visibility . كذلك فإن درجة لمعان أو بريق الألوان تتغير بتغير الإضاءة . إن أكثر الألوان بريقاً هو اللون الأصفر وذلك في ضوء النهار . ولكن عندما تقل درجة الإضاءة في أثناء الليل أوداخل الحجرات المظلمة تنخفض درجة بريق اللون الأصفر والأحمر ويصبح اللون الأخضر والأزرق أكثر بريقاً بالنسبة لبقية الألوان الأخرى ذات نفس الطيف . وعلى ذلك فمن المحتمل جداً أن الشاهد يقرر بكل إخلاص أن المتهمة كانت ترتدي جاكتة خضراء مزرقة وجونلة سوداء ، بينما كانت الجونلة في الحقيقة أحمر غامق .

ولقد أثارت مسألة الألوان هذه مشكلة بين شركتين من شركات التاكسي . كان سائقو إحدى الشركات يرتدون « كاباً » أبيض بينما كان سائقو الشركة الأخرى يرتدون غطاء للرأس لونه برتقالي . في أثناء ضوء النهار لم يكن هناك مشكلة فقد كان من السهل تمييز سيارات الشركيتن ، أما في أثناء الليل في الشوارع المضاءة بغزارة من لمبات النيون ذات اللون البرتقالي المحمر فإن « كابات » الشركتين كانت تبدو في نفس اللون . ولذلك ينبغي أن يؤخذ في الاعتبار عند تقدير الشهادة درجة الإضاءة وكذلك نوع الألوان في الليل .

من الحقائق المعروفة عن الرؤية أننا إذا انتقلنا فجأة من مكان مضيء جداً إلى مكان مظلم جداً فإننا لا نستطيع الرؤية الجيدة ، ولكننا إذا مكثنا بعض الوقت في مكان معتم أولاً قبل أن ننتقل إلى المكان المظلم فإننا نستطيع أن نرى بطريقة أفضل ، هذه الزيادة في الرؤية الليلية تحدث بسرعة فائقة في الثلاث دقائق الأولى ثم تسير ببطء في النصف ساعة التي تلي ذلك .

وتدلنا المعطيات المتوافرة لدينا أن الشهادة عن الأحداث التي تقع في ضوء أحمر باهت في أثناء الليل أو في الأماكن المظلمة تكون عرضة للشك أكثر من الشهادات التي تتناول أشياء حدثت في أضواء زرقاء أو بنفسجي . وكذلك نتشكك في صحة ما رآه الفرد عندما قفز من مكان مضيء إلى مكان مظلم .

من بين العوامل التي تفسد شهادة الشهود أيضاً نزعة الفرد للمبالغة في تقدير المسافات الرأسية على حين تقليل المسافات الأفقية . كذلك فإن الخطوط المستقيمة مثل السلك أو الحبل المشدود تبدو أقصر من مثيلاتها في الطول إذا كانت الأخيرة تتقاطع مع خطوط رأسية . كذلك فإن حبل الغسيل الخالي يبدو أقصر من مثيله إذا كان معلقاً به مشابك الغسيل . وبالمثل فإن المكان الفارغ ، كقطعة الأرض الفراغ ، تبدو أصغر حجماً عن مثيلتها المملوءة بالمباني مثلاً . كذلك فإن الخطوط الطويلة والمستقيمة استقامة كاملة التي تتقاطع مع سلسلة من الخطوط القصيرة المقامة على زاوية حادة أو منفرجة سوف تبدو هذه الخطوط كما لو كانت منحنية أكثر منها مستقيمة [1] .

إن التقدير البصري للسرعة يعد مثاراً للجدال والتناقض في قضايا حوادث السيارات وفي غيرها من القضايا . يدرك علماء النفس وكذلك القضاة أن تقدير المسافات يكون أقل دقة إذا كانت الحركة وقعت في اتجاه الملاحظ مباشرة أو بعيدة عنه عما لو كانت تقع في دائرة رؤيته أو في مواجهة مجال الرؤية عنده . إن تقدير سرعة القطار الذي يسير في اتجاه نحوك يختلف عن تقدير سرعته وهو يمر أمامك . إن سرعة القطار يختلف تقديرها باختلاف الموقع الذي يرقبه فيه الشخص . وتؤمن المحاكم بأن الخبرة والمران والتدريب في تقدير السرعة تؤدي إلى تحسن آداء شهادة الشاهد .

وهناك عوامل أخرى تؤثر في تقدير سرعة المركبات ، ففي إحدى الدراسات طلب من مجموعة مكونة من ٢٩ شخصاً أن يقدروا السرعة التي تمر بها سيارات ذات « ماركات » وأحجام مختلفة وذلك في أثناء مرورها من نقطة معينة . وكان هناك سيارات صغيرة ذات ٤ سلندرات وسيارات صالون فاخرة

---

(١) راجع كتاب المؤلف ، دراسات سيكولوجية ، منشأة المعارف .

وضخمة ، واتضح أن سرعة السيارات كانت تقدر على أساس الضوضاء التي تحدثها السيارة وعلى أساس حجمها ، وعلى أساس معدل سرعة السيارات التي سبقت السيارة في المرور .

تقدير المسافات Distance judgments :

في حالة تقدير المسافات القصيرة فإن الناس عامة يميلون إلى المبالغة في تقدير المسافات Overestimate بزيادة تتراوح بين واحد بوصة و ٣ بوصة ، ويميلون إلى تقليل هذه المسافة بمقدار يتراوح بين ٤ بوصات و ٤٠ بوصة أما بالنسبة لتقدير المسافات الطويلة التي تقاس بالياردات والأقدام فليس لدينا أدلة علمية للحكم على حجم الخطأ في تقديرها ، وعلى كل حال فإن تقدير المسافات الطويلة يعتمد على عدد كبير من المثيرات . وبالنسبة للمسافات المتوسطة أي التي تتراوح ما بين ١٠ و ١٠٠ قدم فإن تقديرها يعتمد على الإشارات التي تصدر من كلا العينين . إن العينين ينفصلان عن بعضهما بمسافة تتراوح بين ½ و ٢ بوصة وهذا يجعل من المستحيل لكل عين أن ترى بالضبط نفس الصورة التي تراها العين الأخرى . والفروق الموجودة في الصور التي تدركها العينان يمكن التعرف عليها بوسائل خاصة في حالة النظر إلى أشياء تبعد بمسافات تصل إلى الميل الواحد ، ومن هذه الصور نستطيع أن نقدر المسافة ، وكلما ابتعد الشيء المرئي عنا كلما اتجهت العينان إلى الخارج وقل انحرافهما . ولقد اتضح أن الشخص ذا العين الواحدة أقل قدرة على الحكم على المسافات المتوسطة عن زملائه أصحاب الأبصار العادي .

الإحساسات السمعية Auditory sensations :

تكمن الصعوبة في الشهادات التي تتضمن الإحساسات السمعية في تقرير الاتجاه الذي صدرت عنه الأصوات . إن قدرة الفرد على تحديد مكان مصدر الصوت يمكن أن تضطرب بسهولة عن طريق الصدى والسطوح الواسعة التي تعكس الأصوات .

ففي إحدى القضايا أدلى شاهد معين بأنه أثناء سيره في أحد الشوارع سمع صوتاً بدا له أنه صادر من الشارع المتقاطع مع الشارع الذي يسير فيه من

ناحية الشرق وعندما تم فحص الواقعة تبين أن الصوت كان صادراً حقيقة من ناحية الغرب . ويرجع السبب في ذلك إلى أن الرجل كان يسير في شارع توجد به أبنية عالية يتراوح ارتفاعها ما بين ٤ ـ ٦ أدوار . ولقد نتج هذا الخطأ في تحديد مصدر الصوت إلى حقيقة انعكاس الصوت من المباني القائمة على الجانب الآخر . وهناك حالات كثيرة يمكن أن تفسد فيها الشهادة عن طريق التحديد الخاطىء لمصدر الصوت .

أما في الحالات التي لا يوجد فيها تأثير للانعكاس والصدى فإن مصادر الأصوات يمكن أن تحدد بدقة معقولة وذلك فيما عدا الأصوات التي تصدر من نقطة تبعد بعداً متساوياً عن كل أذن من الأذنين . وفي مثل هذه الحالة لا يكون الخطأ في تحديد موضع الصوت يميناً أو شمالاً ، ولكن في تحديد ما إذا كان الصوت صادراً من الأمام أم من الخلف أم من أعلى أم من أسفل بالنسبة للملاحظ المستمع . مثل هذه الأخطاء نادرة الحدوث ولكنها تقع خاصة إذا كان الصوت غير متوقع وإذا حدث للحظات قصيرة .

وفي بعض الشهادات يكون لمدى الذبذبات ولتكرار الأصوات أهمية كبيرة . وعلى وجه العموم كلما تقدم الناس في السن كلما أصبحوا أقل حساسية للذبذبات العالية ، وهناك أشخاص لأسباب فسيولوجية ، لا يستطيعون سماع إلا الذبذبات العالية والذبذبات المنخفضة . وأحياناً تأتي الذبذبات في نفس المدى الذي يعتبر الفرد أصماً فيه فلا يسمع شيئاً . شهادة مثل هذا الشخص لا تعد صحيحة .

وكذلك فإن الضوضاء التي توجد في خلفية الصوت تعمل على إخفائه ولا يستطيع الفرد أن يسمعه .

الإحساس باللمس والألم والحرارة والبرودة :

تعرف هذه المجموعة من الإحساسات باسم الكاتانيوس Cutaneous وتشمل اللمس Touch ، والألم Pain ، والحرارة Heat ، والبرودة Cold . وفي العادة لا تلعب هذه الإحساسات إلا دوراً محدوداً في الشهادات أمام المحاكم . وللإحساس المضاد وكذلك لفكرة التكيف أو التلاؤم أثرهما في

هذه المجموعة من الإحساسات . ويقصد بالتضاد Contrast الاختلاف في الخبرة في نفس مجال الإحساس وعلى ذلك فإن الشيء الدافيء قد يحس به الفرد « ساخناً جداً » إذا كانت يد الفرد ممسكة قبل ذلك مباشرة بقطعة من الثلج مثلاً ، أما التلاؤم Adaptation أو التأقلم فيشير إلى النقص التدريجي في الحساسية التي تأتي من خلال التغير التدريجي في الظروف المحيطة أو نتيجة لتعرض الفرد لمثير معين لمدة طويلة فأنت لا تشعر بضغط ملابسك عليك إلا عندما تلبسها لأول مرة أما بعد ذلك فإن جسمك يتأقلم ويتحمل ضغط الملابس دون أن تحس بهذا الضغط وعندما تضع يدك في وعاء الماء يبدو أولاً ساخناً ولكن عندما يتكيف الإحساس الجلدي يصبح مجرد دافيء دفئاً لطيفاً منعشاً . إن الشهادات التي تتضمن مثل هذه الإحساسات يجب أن تسبق بعبارة تصف المثيرات السابقة والظروف المحيطة التي تمت في ضوئها عمليات الإحساس (١) .

إحساس الذوق والشم :

إن الشهادة أمام المحاكم التي تتصل بالذوق ذات أهمية كبيرة وخاصة في جرائم دس السم . وتتمثل الصعوبة في الخلط بين الشم والذوق . في الحقيقة لا يوجد إلا أربعة مذاقات : الحلو ـ الحادق ـ المر ـ الحامض . إن الأطعمة التي تبدو أساساً ذات طعم الفاكهة أو المحروقة أو لها طعم غير الحامض والمالح والمر فإننا ندركها بواسطة الشم أكثر من الذوق . كذلك فإن المذاق السابق يؤثر في إدراك المذاق اللاحق وعلى ذلك ينبغي معرفة نوع الطعام أو الشراب الذي تناوله الشخص قبل عملية الإدراك .

عامل التوقع Expectation :

من المعروف أننا ندرك ما نتوقع أن ندركه . إن الطالب الذي يهوى ماركة معينة من ماركات سيارات السباق يقرر أنه يرى كثيراً من هذه السيارات حول مبنى الجامعة في كل صباح أما الطلبة الآخرون فإنهم يقررون أنهم لم يروا مثل هذه السيارات قطعياً حول مبنى الجامعة . إن الشخص الذي يبحث

(١) راجع كتاب المؤلف علم النفس بين النظرية والتطبيق ـ دار الكتب الجامعية .

عن سيارة معينة « يراها » قادمة في الطريق في عشرات من السيارات بينما تكون في الواقع غير موجودة بينها . وأنت إذا كنت تقف في الطريق تنتظر صديقك « تراه » قادماً من بعيد في عشرات المارة وذلك بسبب عامل التوقع .

ولا يؤثر عامل التوقع في إدراك ما يريد الفرد أن يدركه وحسب ولكن يؤثر أيضاً في تذكر الوقائع Remembering وفي تفسير هذه الوقائع Interpreting والمثيرات التي يتلقاها من البيئة الخارجية . إذ كنا نتوقع أن شخصاً معيناً قام بعمل معين فإننا نكون مستعدين لأخذ أي مثير غامض أو نصف غامض ونفسره كأدلة بأن الفرد قام فعلاً بهذا العمل الذي نتوقعه منه . منه .

وهناك كثير من التجارب التي تمت داخل الفصول الدراسية وأوضحت أثر الانتباه Attention والتوقع ، أثرهما في عملية التذكر أو الاسترجاع Recall .

ففي إحدى معامل الأحياء ، وفي أثناء إلقاء المحاضرة على الطلبة دخل أحد الطلاب وتقدم نحو الأستاذ وأخبره أنه فقد بعض الفئران وأنه يبحث عنها . ثم سار ببطء في قاعة الدراسة أمام الطلاب ثم استدار ثم تحدث مع المحاضر لبعض الوقت عن فئرانه الضائعة . وعلى الرغم من أن هذا الطالب كان معروفاً معرفة جيدة لطلاب هذه الفرقة إلا أنهم أخطأوا عندما طلب منهم إعطاء أوصاف له ، فقد تراوح وزنه في نظرهم ما بين ١٤٥ ، ٢١٠ رطلاً بينما كان وزنه الحقيقي ١٩٠ رطلاً ، وأخطأ حوالي ٢٠ ٪ من العينة في وصف ملابسه والغالبية الكبرى من العينة قررت أنه بحث عن الفئران في أركان قاعة المحاضرات بينما هو لم يفعل ذلك . مثل هذا التقرير من جانب الطلاب كان قائماً على أساس التوقعات حيث كان معظم طلاب الجامعة في ذلك الوقت يرتدون نفس الملابس التي قرر الطلاب أن زميلهم كان « يلبسها » . كذلك تقرير قيامه بعملية البحث كان متوقعاً لأنه أعلن في البداية أنه يبحث عن فئرانه المفقودة .

إن الدراسات التي أجريت على موضوع الإدراك Perception أوضحت بكل جلاء أن إدراك الفرد يتأثر بالخبرات السابقة وبالتوقعات . فالناس يرون

في الصور الغامضة أشياء مألوفة لديهم حتى إذا أخبرناهم أن الصور المعروضة عليهم ليست صوراً حقيقية . فتفسير الصور المرئية غير الواضحة يرجع إلى خبرة الفرد فأطفال المجتمعات البدائية يفسرون هذه الأشياء على أنها أكواخ وأشجار نخيل وغير ذلك مما يوجد في بيئاتهم الريفية أما لأطفال الأميركان فإنهم يفسرونها على أنها « صواريخ فضاء » .

الانفعالات Emotions :

إن المحلفين يقبلون شهادة الشاهد لأسباب نفسية ، أو انفعالية أكثر منها حقيقية . فالشهادة تقبل من الشخص الذي يحسن تقديم نفسه والتعبير عن ذاته تحت ظروف الضغط المختلفة .

إن الانفعال يفسد عملية الإدراك بمعنى أن الشخص المنفعل لا يستطيع أن يدرك التفاصيل والدقائق إدراكاً سليماً . فإذا هاجم لص مسلح أحد المحلات العامة وأثار الرعب والفزع وسط العملاء واستولى على نقود وممتلكات بعضهم ، فالغالب أن الملاحظين يتذكرون السمات الفيزيقية للص ولا يتذكرون الشخص أو الأشخاص الذين كانوا ضحية هذا اللص .

وعلى الجملة فإن الشهادة في حاجة إلى الدراسة والبحث وخاصة جوانبها السيكولوجية . إننا في حاجة إلى إقناع المحامين والقضاة والمحلفين لقبول نتائج البحوث السيكولوجية في ميدان القضاء . فما زال الكثير منهم يترددون في الأخذ بهذه الحقائق وإن كان هناك تغيراً كبيراً في اتجاه المحاكم حدث في خلال الخمسين عاماً الماضية ومعظم هذا التغير يسير مع اكتشافات علم النفس والطب العقلي والخدمة الاجتماعية وغير ذلك من التخصصات . ويميل المحاماة إلى القول إن هذه التغييرات حدثت نتيجة للذوق العام أو نتيجة للخبرة العملية للمشتغلين بالقانون والمشرعين ولكن طالب علم الاجتماع وطلاب الفلسفة وخاصة المهتمون بنظرية المعرفة يدركون أن الذوق العام أو الفهم العام يعتمد اعتماداً كبيراً على اكتشافات العلماء وعلى النظريات العلمية التي اكتشفها أبناء الجيل السابق من العلماء وأرباب النظريات وما زال المستقبل ينبيء بمزيد من استخدامات علم النفس في مجال القضاء .

رأي المحلفين :

إننا ما زلنا لا نعرف بالضبط كيف تصل جماعة المحلفين إلى نتيجة معينة إزاء قضية معينة ، وإن كان هناك كثيراً من المحاولات لإلغاء نظام المحلفين أو تغييره ، وهناك كثير من وجوه التعصب والتحيز Prejudices and biases التي تؤثر في اتخاذ قرار المحلفين . ويقال إن نظام المحلفين نظام صائب في حوالي ٩٩٪ من مجموع القضايا التي تعرض على المحلفين . وهناك رأي يسود بين المحلفين ورجال الإدارة وأجهزة التنفيذ أن نظام المحلفين أكثر ثباتاً في حالة القضايا الجنائية أكثر منه في حالة القضايا المدنية .

إلى جانب وجود التعصب والقصور في نظام اختيار المحلفين ، هناك مشاكل أخرى . إن المدعي دائماً ما يختار المحلف الذي يخدم أغراضه هو ، ومعنى هذا أن المحلف يوضع في موقف يتوحد فيه مع أحد الأطراف أو الخصوم في القضية ويتعاطف معه . وعندما يستمع المحلفون إلى شهادة الشهود في أثناء عرض القضية فإنهم يتعرضون لكثير من عوامل الضعف منها قصور قدرات الإنسان في الإدراك والانتباه Attention spans لكي يدرك كل ما يدور في قاعة المحكمة من تفاصيل ودقائق وخاصة في المحاكمات الطويلة .

إلى جانب ذلك فإن المصطلحات القانونية واللغة القانونية تستخدم بكثرة في قاعة المحكمة لدرجة قد تربك القضاة أنفسهم ، والمحلفون لا يعرفون كل المصطلحات القانونية ... ويحاول المحامون أن يؤثروا في المحلفين وأن يستميلوهم ولا بد أن يمر المحلفون بفترات من عدم الانتباه [1] .

إن فترات الاستراحة التي تأخذها المحكمة لها أثر كبير في سير المحاكمة . حقيقة إن الراحة وتناول الطعام لازملن ، ولكن أحياناً يكون رفع

---

(١) راجع كتاب المؤلف علم النفس بين النظرية والتطبيق ، دار الكتب الجامعية بالإسكندرية .
ـ راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية ـ د. العيسوي ـ الدار الجامعية ـ بيروت.

الجلسة نتيجة خطة مدبرة عندما يرى المحامي أو المدعي أن خصمه على وشك عرض شهادة قوية أو أدلة مؤثرة فإنه يطلب رفع الجلسة . إن ذاكرة المحلف لا يمكن أن تستوعب كل الأحداث والتفاصيل من يوم إلى آخر عبر مدى التقاضي .

إن تحيز المحلف يلعب دوراً أساسياً في المحاكمة ، وقد يكون التحيز داخلياً لاشعورياً لا يدركه الفرد نفسه ولا يفطن إليه ولا يعيه ولكنه يؤثر في سير القضية وفي اتخاذ القرارات . ففي الولايات المتحدة الأميركية يوجد كثير من التعصب العنصري العميق بالرغم من انتشار فكرة تساوي الأجناس . في بعض مناطق الولايات المتحدة الأميركية يتم التقرير في بعض القضايا لا على أساس الأدلة المتوفرة ولكن على أساس تعصب المحلفين لأحد طرفي النزاع . وليس لدينا أدلة علمية عن كيفية تأثير الحكم باتجاهات المحلفين ، ولكن لدينا أدلة توضح أن الفرد يميل إلى تقدير وتقييم السمات والصفات التي توجد في الآخرين والتي تشبه صفاته وسماته هو شخصياً . وعلى ذلك فالمحلف قد ينحو نحو الطرف المجني عليه أو المتهم إذا كان أحدهما يشبهه . إننا نتوقع أن يتصرف الناس بطريقة معينة وإذا تصرفوا بمثل هذه الطريقة فإننا نميل إلى تصديق ما يقولونه. وليس التعصب قاصراً على المحلفين ولكنه يوجد أيضاً لدى القضاة ومدعي الاتهام والدفاع والشهود .

وتكشف لنا الدراسات أيضاً أن الفرد لا بد وأن يمتثل To conform ويقبل آراء الجماعة حتى وإن كانت هذه الآراء في نظره آراء خاطئة وإذا أصر أفراد الجماعة على موقفهم . وبالمثل فإن المحلف سوف ينتهي به الأمر في النهاية إلى الموافقة على رأي الجماعة ، فالمحلف قد يوافق جماعته على الرغم من إيمانه أنهم على خطأ .

إن القرار النهائي للمحكمة يتوقف على عدد كبير من العوامل منها كلمات مدعي الاتهام وممثل الدفاع والجو السائد في قاعة المحكمة ودرجة الحرارة والرطوبة أثناء المحاكمة ، وعلى نوع الأطعمة التي يتناولها المحلفون قبل نظر القضية وعلى لون شعر مدعي الاتهام وعلى كثير من العوامل الأخرى .

إن نظام المحلفين يبدو أنه أحسن الأنظمة المعروفة في تقرير براءة المتهم أو إدانته . وسوف تضيف البحوث المقبلة كثيراً من المعلومات والنظريات السيكولوجية التي تؤدي إلى تقدم وتحسن الفهم القانوني للسلوك الإنساني وتحسن المحاكمة عن طريق المحلفين . ولا ينبغي أن نيأس ونحن في مجال البحث العلمي السيكولوجي لأن التطور القانوني مستمر وهو يأخذ من اكتشافات علماء النفس التي تمت في السنوات الماضية [1] .

---

(١) Brown, F. M. and others Applied psychology, A merind publishing , Co. Ltd, N. Delhi 1966 .

ـ راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية ـ د. العيسوي ـ الدار الجامعية ـ بيروت.

الفصل الحادي عشر

علاج المجزمين ووسائل منع الجريمة

* العودة للجريمة
* علاج المجرمين والمنحرفين .
* العوامل السيكولوجية في التأهيل .
* العلاج أثناء الحبس .
* العلاج بعد الإفراج عن السجين .
* استخدام المبادىء السيكولوجية في الإصلاح .
* وسائل الوقاية من الجريمة .



علاج المجرمين ووسائل منع الجريمة

نتناول في هذا الفصل الطرق المختلفة التي تستخدم في علاج المجرمين والمنحرفين الخارجين على القانون وطرق تأهيلهم بمختلف طوائفهم من أحداث جناح إلى مدمني خمور ومخدرات وقتلة ولصوص .

العودة إلى الجريمة :

هناك حالات كثيرة يرتد فيها المجرم إلى السلوك الإجرامي بعد قضاء العقوبة المقررة على الجريمة الأولى ، وهناك حالة لرجل أميركي يبلغ من العمر حوالي ٦٠ عاماً ارتكب طوال حياته حوالي ٣٠ جريمة وحكم عليه فيها بمدد مختلفة وعقوبات وغرامات متباينة ، ولقد ارتكب عدداً كبيراً من الجرائم ، منها اختلاس أموال الغير والعمل كبائع متجول بدون رخصة ، والنصب والاحتيال . ولما دخل الجيش الأميركي صدر قرار بطرده وتسريحه ، ثم اتهم بسرقة بعض الشيكات الحكومية وانتحال شخصية موظفي الدولة وخاصة شخصية الصيارفة وتزييف بعض الشيكات الحكومية وتقديم شيكات باطلة والادعاءات الكاذبة ، وغش أصحاب الفنادق واتهم بالتشرد ، واستخدام شيكات بدون رصيد وتهريب ونقل منقولات مسروقة ، وسرقة سيارات . وكانت العقوبات التي صدرت ضده تترواح بين وضعه تحت المراقبة والسجن والغرامة . مثل هذه الحالة تجعلنا نفكر في مدى فاعلية المنظمات العقابية Penal Institutions ومدى ما تقدمه من إصلاح حقيقي للفرد . ولم يكن ذلك المجرم الأميركي من النوع الغليظ أو القاسي ، ولكنه كان حسن السير والسلوك داخل السجن مطيعاً للأوامر متعاوناً هادىء الحديث ، ولكنه كان يعبر في أحاديثه ومناقشاته عن الحنق والسخط المر تجاه المجتمع ، وتجاه السجن

وأنظمته . عندما كان يفرج عنه كان يخطط لنفسه أن يحصل على وظيفة في ولاية أخرى ويستقر بمعاونة بعض الأصدقاء الذين سبق لهم التورط في أعمال بسيطة مخالفة للقانون . وكان يعرف أنه سيقبض عليه إذا ضبط مع هؤلاء الزملاء ولكنه لم يجد طريقاً آخر . وحالة هذا الرجل توضح لنا مشكلة هامة هي عودة المجرم إلى السجن . إن نسبة عودة المجرم إلى السجن مرتفعة بصورة مزعجة للغاية فتصل هذه النسبة إلى حوالي ٦٠ ـ ٧٠ ٪ .

وليس من الضروري أن يعود المجرم إلى السجن بسبب نفس الجريمة التي سجن من أجلها في أول مرة وإنما قد يرتكب جريمة جديدة . ما لم يتغير اتجاه المجتمع إزاء السجن والسجناء ونحو فهم السلوك الإجرامي فإن تأهيل المجرمين وخفض معدلات الجريمة سيظل أمراً صعباً .

إن المجتمع ككل ينبغي أن يتحمل مسئولية علاج المجرمين في ضوء الإيمان بإمكانية تغيير السلوك ، وعلى المجتمع أن يوفر البيئة الصحية التي تمنع من حدوث الجريمة . لا بد أن يقدم المجتمع الوسائل التي تؤدي إلى خفض الجريمة وإلى تأهيل المجرمين . ولا ينبغي أن يدفعنا هذا إلى الشعور باليأس ذلك لأن اتجاهات المجتمع يمكن أن تتغير .

علاج المجرمين والمنحرفين :

ينبغي أن نحدد أهداف علاج المجرمين حتى يمكن تحقيق هذا العلاج . تستهدف برامج الإصلاح تحقيق ما يلي :

١ ـ حماية المجتمع من خطر المجرمين وأضرارهم .
٢ ـ إعداد النزلاء لكي يصبحوا رجالاً نافعين بطريقة سريعة واقتصادية .
٣ ـ تعويدهم على طاعة القانون واحترامه .
٤ ـ تعويدهم على الاعتماد على النفس وتحمل الفرد أعباء نفسه .
٥ ـ تنمية الكفاية الذاتية والقدرة الذاتية للفرد .
٦ ـ خلق المواطن المستقل .
٧ ـ خلق المواطن الذي يطيع القانون لا لأنه خائف من القانون ولكنه يرغب في طاعة القانون رغبة تلقائية ذاتية .

على الرغم من تحديد هذه الأهداف الخاصة بالإصلاح والتقويم إلا أن هذه الأهداف لا تتحقق . إن عمليات الإصلاح تجد كثيراً من الإعاقة لأن المجتمع لا يقدم المصادر الكافية والضرورية لإعادة تأهيل المجرمين . حقيقة أن أفراد المجتمع أنفسهم لا يعرفون ماذا ينبغي أن تفعل مع الخارجين على القانون . إنهم لا يعرفون ماذا يريدون هم أنفسهم أن يفعل المجتمع مع المجرمين . وفي كثير من الأحيان لا تتفق خطوات العلاج وإجراءاته مع أهداف التأهيل . فهناك أشياء كثيرة تجعل عملية التأهيل عملية صعبة بل مستحيلة من ذلك الإجراءات القانونية والخبرات السابقة للجهات التنفيذية، وموظفي السجن والاتجاهات العامة لدى أفراد المجتمع . وهناك كثير من مظاهر الاضطراب وعدم الثبات وفقر المعرفة العلمية والذبذبة في تحقيق الأهداف وما إلى ذلك من العقبات التي تقف في سبيل التأهيل والعلاج .

العوامل السيكولوجية في التأهيل :

يجب أن تستهدف برامج العلاج أن يصبح العملاء أفضل عما كانوا عليه قبل دخول السجن ، وعلى ذلك فلا يمكن الأخذ بسياسة « الأخذ بالثأر » أو إذلال النزيل ومعاملته بالمثل أو تبعاً لمبدأ العين بالعين والسن بالسن Eye - for - an - eye or vengeance . وقديماً كان المجرمون يعاملون تبعاً لنظرية مؤداها أنهم لا بد أن يقاسوا الذل والعذاب والانتقام نتيجة لأخطائهم السابقة . وبالإضافة إلى ذلك كان العقاب يفرض كردع للسلوك الإجرامي على افتراض أنه يمثل نوعاً من العبرة للآخرين ، وبذلك تمنع الجريمة . ولكن البحوث التي أجريت في ميدان التعليم ونظرياته توضح أن العقاب لا يؤدي إلى زيادة القدرة على السلوك المرغوب فيه . إن التعلم يحدث بطريقة أفضل تحت ظروف المكافأة أو التعزيز . فالكائن الحي يميل إلى تكرار السلوك الذي يناله منه الجزاء والإشباع والرضا . ولكن بعض المجتمعات ما زالت تمارس سياسة العقاب بما في ذلك عقوبة الإعدام كنوع من العقاب والردع والعبرة . ولكن على الرغم من استخدام العقاب إلا أن نسبة العودة إلى الجريمة Recidivism ما زالت عالية ومعنى ذلك أن العقاب لا يردع المجرم ولا يمنعه من العودة إلى ارتكاب الجريمة . إن نظام العقاب يبدو أنه

ليس فعالاً . ينبغي أن تكون مثل هذه النتيجة كفيلة بتحويل الاهتمام من العقاب إلى التأهيل Rehabilitation .

أما فيما يختص بالوقت الذي يتم فيه العلاج ، ففي الولايات المتحدة يتم العلاج أثناء المراقبة Probation وأثناء الحبس Incarceration وبعد إخلاء السبيل أو الإفراج عن المتهم Parole . في بعض الحالات يقضي على المتهم بالسجن ويوصف بأنه ليس خطراً أن يعيش في مجتمعه الأصلي . وفي الغالب ما تكون هذه الحالات من المجرمين الجدد وأولئك الذين كانت سمعتهم طيبة قبل الاتهام . مثل هؤلاء الناس يضعون تحت المراقبة على أساس أن المعيشة في المنزل تحت إشراف دقيق Close supervision ووضع قيود شديدة على مناشطه مثل هذه المعيشة أفضل من الحبس . إن البيئة المنزلية تجعله يعيش في جو عادي ويتعود على الاختلاط بالمجتمع الأصلي ولا ينعزل عنه وفي معظم هذه الحالات لا تصدر المحكمة مثل هذا الحكم إلا بعد الاطلاع على بحث دقيق عن الحالة ، وعند وجود احتمال كبير في التنبؤ بتأثير إيجابي لعمليات الإصلاح . يجب أن يخضع الفرد في أثناء المراقبة للإشراف الدقيق وأن يوجه سلوكه ، كما ينبغي أن يقوم بعملية المراقبة شخص مؤهل تأهيلاً فنياً كافياً . في ضوء ذلك يظل الفرد يعمل كعضو يشارك في مناشط المجتمع وفي نفس الوقت تتحقق أهداف التأهيل .

ولكن لسوء الحظ لا تتوفر جميع الإمكانات المطلوبة للمراقبة . فضابط المراقبة دائماً ما يحمل بالأعباء الثقيلة ويكلف بالإشراف على عدد كبير من الحالات مما يقلل من فرص الإرشاد . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن القواعد والتعليمات الموضوعة للمراقبة في الغالب ما تكون جامدة وجافة وصارمة وشديدة بدرجة تجعل الحياة غير مريحة بالنسبة للشخص المراقب ، مما يجعل اتجاهه وميوله نحو هذا النظام اتجاهات سلبية .

وبعض ضباط المراقبة ليسوا مؤهلين في ميدان السلوك الإنساني وعلى ذلك فإن أهداف المراقبة لا تتحقق جميعها .

العلاج أثناء الحبس :

عندما يتهم شخص ما بخرق القانون أو القاعدة المرعية في المجتمع ، وعندما يحكم عليه بأنه غير صالح للبقاء في المجتمع تحت المراقبة فإنه يودع في إحدى مؤسسات الإصلاح Correctional institution أما نوع الحبس Confinement فإنه يعتمد على عدة عوامل منها نوع الجريمة التي ارتكبها الفرد ، وجنس المتهم وسنه . ويؤخذ في الاعتبار أيضاً مدد السجن السابقة ونوعها وسلوكه عندما كان يفرج عنه .

ومن الناحية المثالية يجب أن يودع الشخص مؤسسة إصلاحية تستطيع أن توفر له التدريب الذي يجعل منه مواطناً أفضل بعد الإيداع عنه قبل الإيداع . ولكن لسوء الحظ معظم المؤسسات لا تحقق هذا الغرض .

إن دخول السجن يعتبر حدثاً مؤلماً بالنسبة لغالبية السجناء . معظم السجون تضع نزلائها في عنابر جماعية أو صالات جماعية . وعندما يدخل السجن لأول مرة العنبر فإنه يفتش تفتيشاً دقيقاً خشية أن يحمل أو يخفي في جسمه أو ملابسه بعض الأشياء الممنوعة أو المحظورة بحكم القانون ، ثم تؤخذ بصماته Finger - printed ثم تؤخذ له صورة فوتوغرافية ثم يعطى رقماً معيناً بدلاً من اسمه ويطلب منه أن يملأ عدة استمارات وهكذا . ثم يرتدي ملابس المؤسسة ويؤخذ ما معه من محتويات وتحرز وتوضع خزينة السجن . « وقد يربت حارس السجن على ظهره » وهو يعطيه بعض الإرشادات والنصائح إزاء حياته داخل السجن وكيف يعد نفسه لمثل هذه الحياة وفي الغالب ما لا يتجاوز هذا الإعداد لتلك الحياة بضع كلمات من المشرف أو مساعده مع الإيحاء بأنهم هنا في السجن من أجل مساعدة السجناء ، وأنها ليست مسؤوليتهم أو غلطتهم أنه أودع هذه المؤسسة ، وينبغي عليه أن تظل « أنفه » نظيفة وفمه مغلقاً ، وأن يعمل عندما يطلب منه ذلك ، وأن التعاون هو في النهاية أحسن سياسة يتبعها هو[1] .

---

(١) راجع كتاب المؤلف اتجاهات جديدة في علم النفس الحديث دار الكتب الجامعية ـ الإسكندرية .

ـ راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية ـ د. العيسوي ـ الدار الجامعية ـ بيروت.

لا يوجد إلا عدد قليل من المؤسسات التي تحتوي على مراكز للاستقبال وقليل فقط من المؤسسات يوجد بها عمليات للتشخيص أي لدراسة الحالات ومعرفة ظروفها وأمراضها ونوع الاضطرابات التي يعاني منها العميل ودوافع الجريمة وما إلى ذلك . وفي حالة توفر مثل هذه المناشط فإنها تستغرق وقتاً طويلاً . وعندما تطبق مثل هذه البرامج التشخيصية فإن وضع النزيل في وظيفة معينة أو تدريب على وظيفة معينة أو برنامج للتأهل داخل السجن تصبح أكثر دقة وأكثر إيجابية ويرتفع مستواها بصورة ملحوظة . ولسوء الحظ لا توجد مثل هذه المراكز والبرامج إلا في السجون الفدرالية في الولايات المتحدة الأميركية ونادراً ما توجد في السجون الريفية أو السجون المحلية التي لا تتبع الحكومة المركزية .

في معظم المؤسسات يوضع السجين في زنزانة لكي يعيش فيها بمفرده خلال فترة فحصه وتقييمه . وإذا حالفه الحظ فإنه يودع في مؤسسة إصلاحية تقدم نوعاً من العلاج ثم يكلف القيام بوظيفة معينة . وفي الغالب هناك بعض الإرشادات الدينية وبعض التعليم وبعض العمل أو التدريب .

يقوم أخصائي التأهيل بالسجن بالإشراف على تدريب السجناء في برامج التدريب . ويؤدي هذا إلى حدوث صراع بينه وبين الحراس الذين يهتمون في المحل الأول باستتباب الأمن والنظام داخل السجن . وفي بعض الأحيان تبدو برامج التدريب كأنها عبء ثقيل على الحراس لأنها تتطلب منهم القيام ببعض الأعباء . ولذلك فإن المشرفين على العلاج يعملون في ظروف غير مشجعة أو غير منتجة . وسرعان ما يكتشف السجناء هذا التوتر القائم بين الأخصائيين في العلاج والحراس ولذلك يظهرون عدم الاهتمام ببرامج التأهيل أو يقفون منها موقفاً حذراً لأنهم لا يريدون أن يثيروا غضب الحراس .

عندما نتذكر أن إحداث تغيير في سلوك الناس وهم يعيشون تحت ظروف طبيعية كالمنزل أو المدرسة، إحداث مثل هذا التغيير أمر صعب فما بالك بإحداث التغيير تحت ظروف السجن ، لا شك أن هذا التغيير أمر صعب وربما يكون مستحيلاً . إن التحسن الذي يطرأ على سلوك السجين يرجع إليه ، هو نفسه ، فالسجين لا يكلف القيام بأعباء كثيرة إنما يقوم ببعض

التدريبات الرياضية ، ولذلك يجد متسعاً من الوقت لكي يقرأ ويفكر ويتحدث مع زملائه ويستفيد من أصدقائه الأكبر منه سناً . وفي الغالب ما يكون السجين في نفسه كثيراً من الأفكار الخيالية الوهمية عن العالم الخارجي . ويعتقد السجناء أنهم سوف يحصلون على وظائف « عالية » عندما يخرجون من السجن ، وخاصة إذا التحق السجين بإحدى الفصول الدراسية أو البرامج التدريبية . من الصعب عليهم أن يتصوروا أن العمل بطريقة طبيعية يحتاج إلى جهد كبير ولكنه يعود على الفرد بالشعور بالرضا وليس لمجرد العائد النقدي . إن للعمل قيمة في حد ذاته بصرف النظر عن المقابل المادي .

في بعض الولايات الأميركية وعلى وجه الخصوص في نيويورك وكاليفورنيا هناك بعض المحاولات الخاصة بالتأهيل في بعض السجون ، حيث يوجه الاهتمام نحو التأهيل والعلاج النفسي أكثر من مجرد الاعتقال أو الحبس ، في مثل هذه السجون عندما يصدر الحكم على المتهم فإنه يحال إلى مكان للعلاج حيث يخضع لإشراف أحد الأطباء العقليين وأحد الأخصائيين النفسيين . وعندما يلاحظ على السجين علامات التقدم والتحسن فإنه ينقل إلى عنبر آخر للنوم حيث يسمح له بالزيارة وحيث يتمتع بجو طبيعي يعده للحياة في العالم الخارجي . إن السجين يتكيف مع الحياة الخارجية بطريقة أسهل كلما كانت بيئة السجن قريبة الشبه من الحياة في المجتمع الخارجي .

إن مناهج العلاج كثيرة ومعروفة وهناك كثير من النظريات والاكتشافات لدى أرباب العلوم السلوكية ولكنها لم تطبق بعد ، إن ما هو موجود في مجال النظر يزيد بكثير عما هو موجود في مجال التطبيق . وكثير من المنظمات لا تعير اهتماماً كبيراً للمفاهيم الجديدة في التأهيل .

العلاج بعد الإفراج عن السجين :

يمكن توفير العلاج للسجين أيضاً بعد قضاء العقوبة المقررة. وتشبه أساليب العلاج في هذه الحالة أساليب العلاج في حالة المراقبة فيما عدا أنه في حالة الإفراج يكون السجين قد قضى فعلاً فترة ما للعقوبة . بعض

المحاكم تقضي بأن يقضي السجين بعض الوقت لتلقي العلاج اللازم وذلك بعد أن يقضي فترة معينة من عقوبة الحبس على أن يظل تحت الإشراف الفني الدقيق للتأكد من أن الشخص قد تعود على احترام القانون .

ويرى كثير من علماء الإجرام ضرورة انطباق العقاب على حالة المجرم وليس على حجم الجريمة . وينادون بضرورة إجراء بحث واسع وشامل ودقيق لكل حالة من حالات الإجرام التي يرتكبها المجرم الجديد ، ويجب أن تعرض نتائج مثل هذا البحث على المحكمة . وهناك بعض القضاة ، بعيدي النظر ، يهتمون بمثل هذا المفهوم وربما يقودون المجتمع للاهتمام بالعلاج المتواصل للشخص ، والاهتمام به أكثر من الاهتمام بالجريمة .

وهناك بعض الولايات الأميركية التي تأخذ ببعض القوانين الجديدة والمفاهيم الجديدة في تفسير القوانين . وهناك من يطالب بتقديم العلاج للسجين بمجرد القبض عليه ، وليس من الضروري الانتظار حتى يحين موعد التأهيل والعلاج . وهناك اتجاه-جديد نحو تقليل مدة العقوبة وقضاء مدد الحبس في أثناء العطلات الرسمية ، وفي نهايات الأسابيع أو في غير ساعات العمل اليومية بدلاً من قضائها في أثناء أيام العمل . فالمدد التي تتراوح ما بين ٦٠ و ٩٠ يوماً من الممكن أن تقضى من الساعة السابعة صباح يوم السبت حتى الساعة السابعة صباح يوم الإثنين وتستغرق مدة العقوبة هذه من ٣٠ إلى ٤٥ أسبوعاً .

هناك صعوبات في تطبيق نظام السجن في عطلة نهاية الأسبوع هذا . فنظام السجن اليومي يضطرب بعض الشيء . وبالطبع يستطيع السجين أن يتصل بالبيئة الخارجية أسهل من اتصالاته داخل السجن ، كذلك فإن « التنميم » على المساجين داخل وخارج السجن يضيف جهوداً كثيرة على موظفي السجن ، ويتطلب هذا النظام عمل كثير من التقارير والسجلات . كذلك هناك احتمال عدم عودة السجين لقضاء المدة في نهاية الأسبوع . فقد يخرج من السجن على أساس أن يعود من تلقاء نفسه في نهاية الأسبوع ولكنه قد لا يعود .

ولكن بطبيعة الحال هناك كثيراً من المزايا لهذا النظام ، منها أن أسرة السجين سوف تنقذ وتحمى من التحطيم والدمار ، لأن السجين سوف يتمكن من إعالة أسرته والإنفاق عليها . فالشخص الذي يشغل وظيفة مناسبة سوف يظل يشغلها ، وسوف يتمكن من تقديم العون لأسرته . وبذلك يعفى المجتمع من تقديم المعونة الاجتماعية لزوجته وأبنائه . وإلى جانب ذلك فإن هذا النظام يضمن استمرار عضو من أعضاء المجتمع في الإسهام في الإنتاج ، ودفع الضرائب وإلى جانب ذلك فإن السجين في ظل هذا النظام يحيا حياة طبيعية أو شبه طبيعية . وحيث أن هذا النظام يتيح للسجين فرصة الإلمام بحياة السجن وفي نفس الوقت الإلمام بالحياة خارج السجن فإنه يتعلم ألا يقضي أي وقت إضافي داخل السجن . إنه يشعر بالحرية ولذلك يحرص على التمتع بها . ويحتمل أيضاً أن يعلم غيره هذه الفكرة بذلك يحد من انتشار السلوك الإجرامي . كذلك فإن سجين نهاية الأسبوع (The weekend Prisoner) سوف يشجع غيره من السجناء المستديمين على الاستقامة بعد قضاء عقوباتهم .

استخدام المبادىء السيكولوجية في الإصلاح :

يمكن استخدام المبادىء السيكولوجية المستمدة من نظريات التعلم في عمليات الإصلاح Correction . إن السلوك الإجرامي ، كغيره من مظاهر السلوك ، هو سلوك متعلم . إن تغيير السلوك الإجرامي يجب أن يتم بتطبيق نفس المبادىء التي تطبق في تغيير أي مظهر من مظاهر السلوك الأخرى ، وعلى ذلك فإن برامج التأهيل وكذلك نظام المراقبة والإفراج كلها تستهدف تغيير السلوك الغير مرغوب فيه وتحويله إلى سلوك مرغوب فيه. هذه البرامج يجب أن تتضمن عمليات تعلم .

عندما نتأمل في المعدلات العالية في العودة للجريمة فإننا نتبين على الفور أن محاولات التأهيل الحالية ليست كما ينبغي ، أي ليست ملائمة . ومن أسباب ارتفاع نسبة العودة للجريمة عدم صلاحية نظام السجون . إن معظم السجون تترك السجناء لمدد طويلة عاطلين بلا عمل أو على الأكثر يطلب منهم القيام ببعض المناشط البسيطة . إن نظام البطالة هذا يفرض فرضاً

على السجناء . إن الحراس لا يريدون أن يشغلوا أنفسهم طوال الوقت ، وعلى ذلك فإن المساجين يتعلمون كيف لا يعملون إلا القليل ، ويقدم لهم الحراس التشجيع على هذا . إن أي نشاط يسبب أعباء إضافية للحراس لا يلقى أي تشجيع من قبلهم .

ويتفق هذا الاتجاه مع الإعداد المهني والفني للعاملين بالسجن من حراس ومشرفين . إن هؤلاء لا يشغلون وظائفهم هذه تبعاً للكفاءة في عمليات تأهيل المجرمين ، ولكن يشغلون هذه المناصب لأسباب أخرى وحتى في السجون التي يوجد بها برامج للتأهيل منفذة هناك صعوبات مختلفة في تعديل السلوك بصورة ذات قيمة للسجين نفسه .

فهناك صعوبة في انتقال الخبرة من الموقف التعليمي داخل السجن إلى الحياة في العالم الخارجي . إن المجتمع ليس مستعداً لإقامة سجون تشبه البيئة الخارجية ، وربما هناك تبرير معقول لهذا الاتجاه لأن الحياة داخل السجن إذا كانت تشبه الحياة الخارجية فإن قيمة السجن الإصلاحية قد تنعدم . إن المثيرات داخل السجن تختلف عن مثيرات التعلم خارج السجن . فإذا تعلم السجين القيام بوظيفة معينة داخل السجن أو إذا تعلم نوعاً معيناً من العلاقات داخله فإن قليلاً من هذه الخبرة المتعلمة ، إن كان هناك على الإطلاق ـ هو الذي ينقل إلى المواقف خارج السجن .

وبالإضافة إلى ذلك فإن توفير الإمكانات اللازمة للتعلم الفعال أو الحرية اللازمة له في داخل السجن أمر صعب التحقيق لارتفاع تكاليف هذه الإمكانات . وعلى سبيل المثال فإن حارساً واحداً يكلف بحراسة عدد كبير من السجناء ولكي يضمن المحافظة عليهم فإنه يقيد حرية تحركاتهم واتصالاتهم بالآخرين .

وإلى جانب هذا فإن العقوبات أو الأحكام تصدر تبعاً لحجم الجرائم ، وفي ذلك إهمال لمبدأ الفروق الفردية التي توجد بين أفراد السجناء في الذكاء والقدرات والاستعدادات والميول والاتجاهات وعناصر الشخصية الأخرى . إن الفروق الفردية في قدرة السجناء على التعلم تهمل في إصدار الأحكام .

إن العقوبات يجب أن تكون مرنة بحيث يفرج عن الأشخاص الذين يستفيدون من برامج التعليم أو التأهيل بأسرع ما يمكن بحيث يعودون إلى الحياة الطبيعية في المجتمع . إنه ليس من الحكمة أن نفرج عن شخص ما بعد قضاء عامين مثلاً في السجن إذا لم يكن بعد قد استفاد من التأهيل ، كما أنه ليس من الحكمة أن يستمر حبس شخص آخر لمدة عامين إذا كان قد أتم بنجاح برامج التأهيل اللازمة في مدة ١٨ شهراً ، يجب أن تكون العبرة في تحديد مدة العقوبة مدى تعلم الفرد للمهارات والمعايير الجديدة التي يتلقاها في السجن . هناك أشخاص يتعلمون أسرع من غيرهم وهذه الحقيقة يجب أن تؤخذ في الاعتبار عند إصدار الحكم .

وسواء كان يوجد بالسجن برامج تأهيل أم لا فإن الحياة داخل السجن تختلف عن الحياة خارجه . وفي الولايات المتحدة الأميركية يعزل الجنسين في جميع السجون ، ولذلك فإن نسبة شذوذ الجنسية المثلية Homosexuality تتراوح ما بين ٣٠٪ و ٨٥٪ وليست هذه النسب مبالغ فيها ، وذلك بسبب الحرمان الجنسي الذي يعاني منه السجناء . ونسبة الجنسية المثلية في المجتمع الخارجي أقل من ٣٠٪ . إن مجتمع السجن نفسه يخلق نوعاً من السلوك الغير مرغوب فيه ولحسن الحظ يصعب نقل مثل هذا السلوك السيء إلى المجتمع الخارجي .

وللأسف لا نعالج مشكلة الجنسية المثلية علاجاً مناسباً في معظم سجون العالم . ومعظم دول العالم لا تفضل نظام اتصال السجناء بزوجاتهم عن طريق الزيارة داخل السجن . ولا يسمح بالاتصال بين الأزواج والزوجات السجناء إلا في سجون موسكو .

ولكن ما هي الأسباب التي تدعو معظم المجتمعات للإحجام عن السماح بتزاور الأزواج والزوجات ؟

١ - إن هذه الزيارات لا تشجع إلا الجوانب الفيزيقية من الجنس .

٢ - إن السجناء الذين يستطيعون التمتع بهذه الزيارات هم أكثر السجناء تكيفاً بدون هذه العلاقات ، أما المصابون بالجنسية المثلية وغيرهم من أرباب

الشذوذ الجنسي فإنهم أقل الطوائف استفادة من هذه الزيارات .

٣ ـ إن الزوجات خارج السجن قد يصبحن حوامل نتيجة لهذه الزيارات وهذا يضيف إلى مشكلات المجتمع والدولة والسجناء على حد سواء .

وفي الولايات المتحدة يوجد مؤسسة واحدة هي التي تسمح بتزاور الأزواج وهي مؤسسة بارشمان The Parchman Institution of The Mississippi State ولكن برنامجها يوفر تسهيلات عامة لكل الحياة داخل المؤسسة وتقسم هذه المؤسسة إلى معسكرات صغيرة كل معسكر يعتبر مستقلاً تقريباً ، ويذهب الزوار مباشرة إلى المعسكر الذي يرغبون زيارته . ولا يوجد إلا عدد قليل من النزلاء في كل معسكر أقل من نصفهم من المتزوجين ، ولذلك لا يزور المعسكر الواحد عدد كبير من الزوجات دفعة واحدة . ويسمح النظام للزوجة بزيارة زوجها لمدة قصيرة كل أسبوع وفي هذه المؤسسة تنخفض نسبة الجنسية المثلية « اللواط » ولا تمثل إلا مشكلة بسيطة ، كما أن هذا النظام يمتدحه كل من رجال إدارة السجن والنزلاء معاً . ولكن نظام التزاور هذا يحتاج إلى كثير من البحث والدراسة في ضوء العلاقات الأسرية المختلفة وتحت ظروف مختلفة وذلك لمعرفة أثر هذا النظام في تكيف النزلاء .

ونجاح برامج مؤسسة بارشمان لا يعني اختفاء عيوب نظام التزاور . يجب أن نعترف أن المجتمع نفسه يضع بعض الاعتراضات على نظام التزاور . إن المجتمع حقيقة يستمتع بوجود بعض أعضائه في السجن . إن في ذلك إعطاء للفرصة لغير المجرمين في المجتمع للتنفيس عن مشاعرهم في الإحباط والفشل . وبصرف النظر عن مثل هذا الغرض فإن المجتمع يرغب في عقاب المجرمين عن طريق المعيشة غير السعيدة ، وعلى ذلك فلا يمكن جعل السجون مجتمعات مثالية ، ولا بد من أن تظل أقل من الحياة العادية الخارجية . إن تأكيد المجتمع اليوم لا ينصب على التأهيل وإنما ينصب على حماية المجتمع من المجرمين وعقابهم وتوفير المثال والعبرة لما يحدث للشخص الذي يرتكب الجريمة حتى لا يقبل الناس على ارتكاب الجريمة .

لقد طبقت أساليب العلاج النفسي في السجون ، وعلى وجه العموم فإن

الموقف العلاجي هو في جوهره موقف تعليمي ، ونفس مبادىء التعلم هي التي تنطبق على العلاج . وفي الواقع تنجح أساليب العلاج النفسي مع بعض المجرمين .

إن المعالج النفسي كثيراً ما يتبين أن المجرمين لا يريدون أن يكونوا مرضى وعلى ذلك فالعلاج النفسي لا يحل كل مشاكل السجناء . وكما سبق القول فإن أساليب العلاج النفسي تكون أكثر نجاحاً مع المجرمين الجدد الذين يرتكبون الجرائم لأول مرة . مثل هذه الأساليب ذات قيمة بالغة لكثير من جناح الأحداث وخاصة قبل أن يقع هؤلاء في المشكلات بصورة خطيرة وقبل أن يصطدموا اصطداماً كبيراً بالقانون .

وعلى كل حال يصبح التأهيل صعباً مع المجرمين الذين يعتقدون أن الأحكام التي صدرت ضدهم أحكاماً جائرة أو الذين يعتقدون أنهم أبرياء أو يعتقدون أن الأعمال التي قاموا بها ليست جرائم ، أو عندما تصدر بعض المحاكم حكمها بالبراءة لأشخاص ارتكبوا نفس الفعل الذي وضعوا هم من أجله في السجن ، وحينئذ يفقدون الثقة والإيمان بكل النظام القضائي . في معظم بلاد العالم تتوقف أساليب العلاج على شخصية السجين وعلى سنه ومستواه التعليمي والاقتصادي والاجتماعي . وليس معنى هذا أن الأغنياء سوف يلقون معاملة خاصة في السجن اللهم إلا إذا كان بعض موظفي السجون في الولايات المتحدة الأميركية يقبلون أخذ الرشوة منهم . ولكن على وجه العموم يحاول رجال السجون أن يكونوا عادلين وأن يعملوا طبقاً للضمير الحي . ولكن القيام بعملهم على أطيب وجه يتطلب أن يمنح الشخص الأكثر تعلماً موقفاً أحسن من غيره في السجن . فيستطيع المتعلم أن يعمل في تحرير جريدة السجن أو في مكتبة السجن أو الإشراف على صرف التعيينات للمساجين وما إلى ذلك ، لأنهم هم الذين يستطيعون القيام بهذه الأعمال .

أما الشخص غير المتعلم فإنه يكلف بأعمال لا تتطلب أي مهارات أو خبرات أو لا يعطي أعمالاً على الإطلاق . يجب أن نتذكر أيضاً أن أبناء الطبقات الاجتماعية والاقتصادية يتعلمون كيفية الابتعاد عن دخول السجن عن طريق عدم الإتيان بالأعمال التي تقود إلى السجن .

وسائل الوقاية من الجريمة Prevention :

على الرغم من أهمية موضوع الوقاية من الجريمة إلا أنه لا يوجد لدينا إلا قليل من الأدلة العلمية التي تساعد في خفض الجريمة ، ويمكن استخدام كثير من أساليب العلاج الفعلي في علاج المجرمين ويستطيع القارىء أن يراجع هذه الأساليب في مراجعها . ويستخدم العلاج في حالتي المجرم العائد والمجرم الجديد وعلاجهما يتوقف على المجتمع والفرد نفسه ، فمن الضروري تغيير اتجاهات المجتمع . ويمكن وصف اتجاهات المجتمع إزاء جماعات المجرمين بأنها اتجاهات متعصبة Prejudice كالشأن في اتجاهات المجتمع إزاء كل الأقليات . وعلى ذلك تصبح المشكلة هي التفكير في الوسائل اللازمة لتغيير اتجاه التعصب نحو المجرمين .

وينبغي أن يدرك المجتمع طبيعة السلوك الإجرامي من حيث أنه إشباع للحاجات الداخلية أو الدوافع الداخلية للمجرمين . والفكرة الشائعة لدى المجتمع عن الشخص المجرم أنه شخص غير مرغوب فيه وأنه لا يستطيع أن يكون محبوباً أكثر ، وينبغي أن يؤمن المجتمع بإمكان تغيير السلوك الإجرامي كما ينبغي تغيير الاتجاهات الشائعة من أن المجرم شخص ولد مجرماً أو أنه شخص فظ غليظ أو أنه غير قابل للتغيير أو أن المجرمين كالحيوانات في دوافعهم .

١ - ويقترح علماء النفس من أمثال ألبورت Allport كثير من المبادىء التي تصلح لتغيير اتجاهات التعصب ، من بين هذه العوامل إثارة أفراد المجتمع بصورة متزايدة تدريجياً . فعرض مثير واحد أو برنامج واحد كالفيلم السينمائي يؤدي إلى تأثير بسيط بينما عرض مجموعة من البرامج المترابطة تؤدي إلى نتائج كبيرة وواضحة .

٢ - من المبادىء الهامة أيضاً تخصيص وتحديد نوعية التأثير بحيث ينظم البرنامج لخدمة فكرة معينة إذ ليس من الضروري أن ينتقل أثر ما يتعلمه الفرد في موقف معين إلى المواقف الأخرى .

٣ - إن الناس الذين لا يعتقدون اعتقاداً ثابتاً وراسخاً في فكرتهم عن الجريمة يمكن تحويل اتجاهاتهم بسهولة عن طريق الوسائل الإعلامية الجماعية .

٤ - إن الدعاية وغيرها من وسائل المعلومات تكون أكثر فاعلية إذا لم يكن هناك دعاية مضادة لها .

٥ - إن الدعاية تكون أكثر فاعلية إذا كانت تثير في الفرد الشعور بالأمان أكثر مما تثير فيه الشعور بالحصر والقلق .

٦ - استخدام الشخصيات ذات المكانة الاجتماعية له أثر كبير في تغيير عقائد الناس وآرائهم فالشخصيات البارزة في المجتمع تستطيع أن تتحدث وأن تدعو إلى تحسين نظام السجون أو إلى تطبيق نظم التأهيل فيها ويتأثر بدعوتهم هذه كثيراً من أفراد المجتمع .

وهناك كثير من الوسائل التي تستخدم في تغيير معتقدات الناس من ذلك الإعلانات والملصقات والمحاضرات والندوات والمناظرات والمعارض والمتاحف والمهرجانات والإذاعة والصحافة والكتب والكتيبات والنشرات والأغاني والأناشيد وزيارة السجون . ويقوم بهذه العملية رجال الإعلام وإخصائيو الدعاية والمعالجون النفسيون والمعلمون والمعلمات ورجال الدين والإدارة .

ومسألة إمكانية التغيير مسألة لا جدال فيها ولكن المهم هو تحديد تلك الآراء الخاطئة التي تسكن في عقول الناس والتي تدور حول المجرمين والسجناء . هذه الآراء الخاطئة هي التي ينبغي أن يلحقها التغيير والتعديل . وإذا آمن المجتمع بأن السجناء يجب أن يعاد تأهيلهم فإن فرص التأهيل سوف تزداد .

وهنا نتساءل هل يؤدي التأهيل إلى انخفاض نسبة العودة للجريمة Reducing recidivism .

إن برنامج التأهيل يعتبر ناجحاً إذا أدى إلى انخفاض عودة المجرم إلى ارتكاب الجريمة وعلى العكس يعتبر فاشلاً إذا ارتفعت نسبة العودة للجريمة . وفي الظروف العادية تصل نسبة العودة للجريمة إلى ٧٠٪ في الولايات

المتحدة الأميركية . مع العلم بأن السجين يخدم سنوات أطول في السجن عندما يدخله للمرة الثانية .

وبالمثل يحكم عليه بعقوبة أطول لجريمته الثالثة عما قضى به عليه في الجريمة الثانية . ومن الطبيعي نتيجة لذلك أن يتجمع في السجن السجناء المترددين أكثر من السجناء الجدد ، وهناك إحصاءات أخرى تحدد نسبة أقل من ذلك تتراوح بين ٣٠ ، ٥٠ ٪ (١) .

---

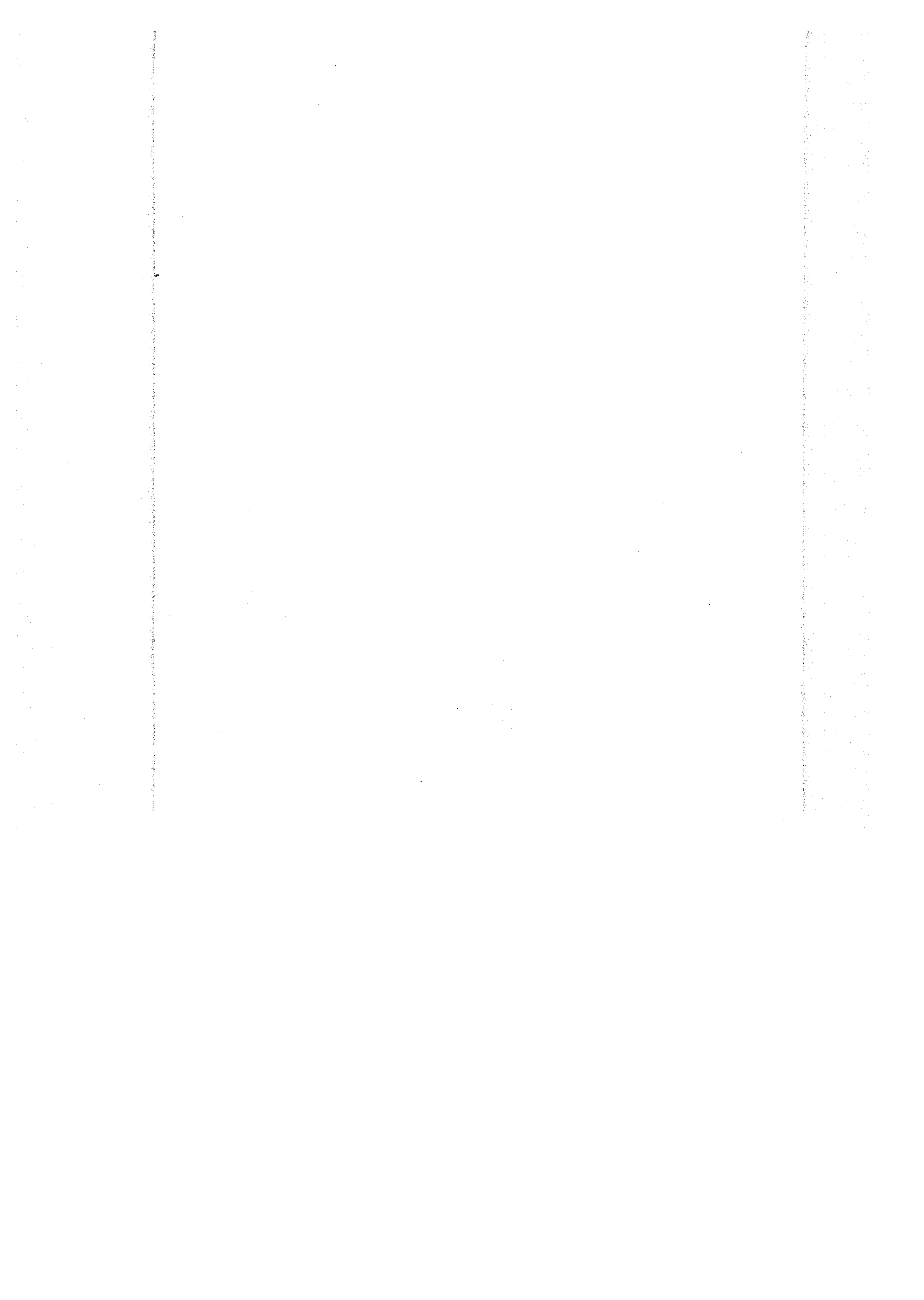
(١) Brown J , M . and others , Applied Psychology . Publishing Co. pat , L t d . New York London 1966 .

- راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية - د. العيسوي - الدار الجامعية - بيروت.

الفصل الثاني عشر

أساليب الوقاية والعلاج من السلوك المنحرف

* الشخصية المضادة للمجتمع .
* سمات الشخصية السيكوباتية .
* أسباب الجنوح .
* العوامل الوراثية في نشأة الجريمة .
* علاج السلوك المنحرف .
* أثر الإرشاد والتوجيه في نطاق المؤسسات التربوية .
* الوظيفة التكاملية للمدرسة .
* أساليب التصدي للجريمة .
* دور التربية في التصدي للسلوك المنحرف .



أساليب الوقاية والعلاج من السلوك المنحرف

مقدمة :

لا تقتصر رسالة التربية الحديثة على مجرد تلقين طلابها مجموعة من الحقائق والنظريات العلمية ، وإنما يمتد أثرها ليشمل تنمية شخصية الطالب بكل جوانبها الروحية والخلقية والاجتماعية والنفسية والعقلية والجسمية والفنية مما يعبر عنه بالتربية الشاملة . فالتربية ، في معناها الواسع ، وهو المعنى الذي يتعين أن تتبناه مؤسساتنا التربوية في عالمنا العربي - عبارة عن إعداد للحياة ، ومؤدى ذلك قيامها بمهام تكوين المواطن الصالح المؤمن بربه ووطنه وعروبته ، والقادر على الإسهام في ملحمة الإنتاج ومعارك التحرير والاستقلال من كافة مظاهر التبعية والسيطرة .

وانطلاقاً من هذا المفهوم الموسع للتربية، نلمس رسالتها في حل مشاكل المجتمع والعمل على تطوير شكل الحياة على أرض المجتمع وتنمية مشاعر الانتماء في نفوس الناشئة وتحريرهم من مظاهر السلوك الشاذ أو المنحرف سواء اتخذ هذا الانحراف شكل خروج على القانون وعلى قيم المجتمع أو كان في شكل الاضطرابات والأمراض والأزمات النفسية والعقلية والأخلاقية .

والتربية بما فيها من قوى بشرية وإمكانات قادرة على التصدي لمشاكل المجتمع في العنف والتعصب والتطرف والإدمان أو الجريمة والجنوح ، بل إن المجتمع يطمح في أن تمد مؤسساته التربوية إشعاعها إلى خارج جدرانها فتشع نور العلم والثقافة في بيئاتها المحلية وتحمل مشعل التقدم والتطوير والازدهار ، ونقل حضارة العصر مع الاحتفاظ بتراثنا وقيمنا وأصولنا الثقافية بل والعمل على إحياء التراث الأصيل وتبديد ظلام الجهل والخرافة .

والتربية ، وهي بصدد نقل حضارة العصر ، لا بد وأن تكون انتقائية ، فتنتقي الصالح وتطرح الطالح ، بمعنى انتقاء كل ما يتمشى مع تراثنا الحضاري وإبعاد كل ما هو غريب عن روح الإسلام والعروبة أو مجاف لهما . حتى لا تكون حركتنا في النهوض معوجة أو عرجاء وإنما لا بد لها من الارتكاز على تراثنا الخالد .

وفي هذا المقال المتواضع استعراض لما يمكن أن تقوم به المؤسسات التربوية ، على اختلاف مستوياتها ، في سبيل التصدي للسلوك المنحرف : وقاية وعلاجاً وفي سبيل ذلك يتناول المقال التعريف بالظاهرة الإجرامية ومظاهرها وكذلك الانحراف وأسبابه أو علله ونظريات تفسيره ثم دور التربية : إدارة ومنهجاً وتدريساً ونشاطاً ، في تحرير الفرد من نزعات الانحراف والميول الإجرامية والتخريبية والعدوانية ومظاهر الشغب والسب والقذف والتدمير والتسيب واللامبالاة والهروب والشذوذ والإدمان وما إلى ذلك من الأضطرابات النفسية كالقلق والاكتئاب والوسوسة والشك والريبة والإهمال وشرود الذهن وتشتته والسرحان والاستغراق في أحلام اليقظة والشعور بالغيرة والغضب والثورة والتمرد والعصيان والمخاوف الشاذة . . . الخ .

ويقودنا هذا إلى التعرف على الشخصية المضادة للمجتمع .

الشخصية المضادة للمجتمع The antisocial personality :

في نشأة الطب العقلي ، لم يكن السلوك المضاد للمجتمع ضمن الأمراض العقلية . وكان المجرمون والأحداث الجانحون يوضعون في السجون أو في الإصلاحيات Prisons and reformatories وكان يشار إلى الشخصية المضادة للمجتمع بأنها توصف بالعته أو الجنون الأخلاقي Moral insanity . وفي القرن التاسع عشر ظهر اصطلاح الشخصية السيكوباتية Psychopathic personality . على يد كوك Koch عام ١٨٩١ م (١) . ليشير إلى الأشخاص الذين لا يمكن وضعهم في فئة من فئات المرض العقلي . وظل هذا الاصطلاح سائداً حتى عهد كريبلين Kraepelin في عام ١٩١٥ م حيث ميز سبعة أنواع من هذه الشخصية السيكوباتية لتعني حالة تقع بين السواء

والمرض العقلي . وفي عام ١٩٣٠ م وضع الكسندر Alexander اصطلاح الشخصية العصابية Neurotic character ليحل محل الشخصية السيكوباتية . وكان يقصد من ذلك التوكيد على الأصل السيكولوجي لاضطراب الخلق هذا . وفي هذا الوقت تقريباً اقترح باتريدج Patridge إصلاح الشخصية المضادة للمجتمع Sociopathic personality ليؤكد أن هذا الاضطراب عبارة عن سوء تكيف اجتماعي أكثر منه سوء تكيف سيكولوجي أو نفسي . ومنذ ذلك الوقت ويشيع استخدام الاصطلاحين معاً : الشخصية السيكوباتية والشخصية السيسوباتية [1] Psychopathy and sociopathy . ولكننا نميل إلى استخدام اصطلاح الشخصية السيكوباتية نظراً لارتباط هذا الاضطراب بكثير من السمات والدوافع النفسية . وقد يقودنا هذا العرض للتعرف على سمات الشخصية السيكوباتية وخصائصها مثل هذه الشخصية التي قد توجد بين طلاب المدارس والمراهقين عامة .

سمات الشخصية السيكوباتية :

تمتاز هذه الشخصية بعدم قدرة صاحبها على فهم القيم والمثل والقواعد والقوانين الأخلاقية Echical codes السائدة في المجتمع الذي يعيش فيه ، على الرغم من ادعائه ، الباطل ، بانتهاجه أرقى المستويات الأخلاقية . فهو إنسان ممثل يصوغ القواعد دون عاطفة ودون تطبيق . وكثيراً ما نراه يتشدق بالمعاني والمثل الأخلاقية بينما هو في الواقع أبعد الناس عن السلوك الخلقي . ومما يميز هذه الشخصية كذلك افتقارها إلى الشعور بالقلق أو الشعور بالذنب أي لوم الذات أو تأنيبها أو تعنيفها على ما يرتكب صاحبها من المخالفات والجرائم وعلى ما يلحق الناس الأبرياء من أضرار وأذى . فهي شخصية جوفاء عاطفياً .

ومهما بلغت ضحاياه من الضعف أو العجز ، فإنه لا يشعر بالذنب على إيذائها . إنه لا يعير اهتماماً بحقوق الآخرين أو سعادتهم أو مشاعرهم أو

---

(1) Shanmugam , T, E. Abnormal psychology, Tata Mcgraw - hill co. New Delhi , 1981 .
ـ واجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية ـ د. العيسوي ـ الدار الجامعية ـ بيروت.

راحتهم . إنه أناني بطبعه لا يسعى إلا لتحقيق مصالحه الذاتية ، وإن كان على حساب مصالح الآخرين . فهو نفعي يمتص دماء كل من يعاشره . ويتسم كذلك بحب المغامرة والجرأة ولا يعبأ بخرق القانون ولا يهتم بالنتائج .

وميوله واهتماماته وقتية ، حيث تنحصر اهتماماته في اللذة الآنية ، وليس لديه أهداف طويلة أو بعيدة المدى ، ولا يقوى على تحمل المسؤولية ، ولذلك نراه يتهرب دائماً منها ولا يصمد في أداء العمل الروتيني ، ولذلك يميل إلى تغيير وظائفه بين الحين والحين . إنه يسعى لمعرفة الناس وخصائصهم بغية استغلالهم لصالحه . ومن هذه الطائفة التاجر المستغل الجشع والموظف المرتشي والحدث الجانح . ويصطدم السيكوباتي مع السلطة منذ الطفولة ، ولذلك يتأخر في دراسته . وهم طائفة تجمدت فيهم العاطفة وضعف لديهم الضمير الخلقي ذلك الضمير الذي يقوم فنياً مقام القاضي فيحاسب صاحبه على كل كبيرة وصغيرة فهو السلطة الداخلية الرادعة في الإنسان وهو سلطة الرقابة التي تمنع وقوع الجريمة قبل حدوثها حيث يقاوم إغراءات الشيطان .

من خلال دراسته للعديد من الحالات السيكوباتية يضع كيكلي [1] Checkley ١٩٥٩ عدداً من السمات أو الخصائص التي تميز الشخصية السيكوباتية من ذلك السمات والخصائص الآتية :

١ ـ لديهم جاذبية سطحية وذكاء متوسط أو أعلى من المتوسط . ولعل ما يساعدهم في استغلال الغير .

٢ ـ لا يوجد لديهم أعراض التهيج أو الثورة أو أي من أعراض الذهان العقلي « الجنون » كما لا يوجد لديهم شعور بالقلق أو الحصر ويشعرون بالراحة والاسترخاء في المواقف التي قد تزعج الشخص السوي .

٣ ـ لا يتحملون المسؤولية ولا يشعرون بالمسؤولية تجاه المسائل الكبيرة أو الصغيرة .

---

(1) Checkley, H. M. psycholopathetic State, cited in Arieti, S. psychiatry, N.-Y. 1959.
ـ راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية ـ د. العيسوي ـ الدار الجامعية ـ بيروت.

٤ - لا يشعرون بالخجل أو العار .
٥ - لا يميلون إلى قول الصدق ولا يهتمون باحتمال اكتشاف أمرهم .
٦ - الشعور المضاد للمجتمع دون إبداء أي مظهر من مظاهر الأسف أو الذنب أو اللوم .
٧ - قدرة ضعيفة على الحكم على الأشياء وقدرة ضعيفة أيضاً على الاستفادة من الخبرات السابقة .
٨ - يفتقرون إلى الاستبصار أو الفهم الصائب والأصيل .
٩ - عجز عن الحب مع شعور بعدم الأمان والقسوة وجمود القلب .
١٠ - لا يهتمون إلا قليلاً باعتبار الآخرين والعطف أو تقدير الناس الآخرين .
١١ - لا يوجد لديهم تاريخ لمحاولات الانتحار الجادة . كما أنهم يحيون حياة جنسية غير سوية أو غير تقليدية حياة ليس فيها قيود .
١٢ - يفشلون في أن يعيشوا بأي طريقة منظمة فيما عدا خضوعهم لنمط من الدفاع عن الذات .
١٣ - لا تظهر هذه الاضطرابات في بدايتها إلاّ بعد سن العشرين من العمر .

ويكشف لنا هذا الوصف عن مدى خطورة هذه الشخصية واتصافها بالقسوة والانتقام والتبلد العاطفي والوجداني وضعف الضمير الخلقي والرغبة في الاستغلال والابتزاز والكذب والنصب والاحتيال . وفي نطاق الأطفال الميل للمشاغبة والعدوان والتخريب والفشل الدراسي والتشرد .

ولعله يروق للقارىء أن نتعرف - سوياً - على العوامل السببية التي تكمن وراء مثل هذا السلوك المنحرف والخارج على القانون وعلى المجتمع وعلى القيم والمثل والأعراف والعادات المرعية والسوية (٢) .

أسباب الجنوح :

يحفل التراث السيكولوجي والاجتماعي والجنائي والإجرامي بكثير من النظريات والدراسات التي تحاول أن تفسر نشأة السلوك الإجرامي أو المنحرف . من هذه النظريات ما يؤكد على العوامل الوراثية أي تلك الصفات

أو الاستعدادات التي يرثها الفرد عن طريق الآباء والأجداد عبر ناقلات الوراثة ، أي الجينات ، إلى الذرية وهناك من يرجعها - أي الجريمة - إلى العوامل البيئية كما تتمثل في ظروف القسوة والحرمان والإهمال والتسلط والنبذ والطرد والفشل وتحطيم الأسرة والحرمان من العطف والحب والحنان والرعاية والدفء ومن انعدام الفرص التربوية التي تنمي ضمير الفرد وتكسبه الوعي والبصيرة ، فيدرك عواقب الأمور والتي تعمل على تنمية روح الانتماء في نفسه ، وكذلك تقدير المسؤولية وتحملها والإيثار والتضحية والفداء والشعور بالواجب وما إلى ذلك . وهناك اتجاهات ترجع الانحراف إلى الضعف العقلي أو إلى المرض العقلي أو العته الخلقي ، ولكن لهذه الظواهر أسباباً أخرى تكمن ورائها بدورها إذ هي نتيجة وليست سبباً قائماً بذاته . وعلى ذلك نستطيع أن نبحث في العوامل الفرعية الآتية عن أسباب تكمن وراء السلوك المنحرف .

١ - الأسرة Family :

ويبدو هذا التأثير أكثر ما يبدو في حالة البيوت المحطمة Broken homes حين يتعرض الطفل لصدمة أو لخبرة قاسية ، كأن يفقد أحد والديه أو كليهما . وبالطبع يتوقف تأثير هذا العامل على مدى حرمان الطفل من العطف والرعاية ، أما إذا توفر الأم أو الأب البديل أو توفرت الرعاية والحماية ، فإن تأثير هذا العامل ينتفي . وإن كانت تجدر الإشارة إلى أن هناك بيوتاً محطمة داخلياً وواقعياً حتى وإن لم تتصدع أركان الأسرة من الوجهة الرسمية .

ففي دراسة أجراها جرير S . Greer عام ١٩٦٤ وجد أن هناك ٦٠ ٪ من بين أرباب الشخصيات السيكوباتية قد فقدوا أحد الوالدين في عهد الطفولة المبكرة بينما كان هناك فقط ٢٧ ٪ من أرباب المرض النفسي (العصاب) قد فقدوا أحد الوالدين [٣] .

وليس من الضروري أن يفقد الطفل أحد والديه لكي يصاب بالانحراف ، وإنما مجرد إهمال الوالدين أو طردهما ونبذهما Rejection للطفل وحرمانه من العطف Affection يكفي لتحقيق ذلك . ولقد أكد هذا العامل ماك كورد ، ١٩٦٤ [٤] .

ومن العوامل المساعدة على نشأة الاضطراب في الطفل كذلك عدم اتباع نظام تأديبي أو تعليمي ثابت ومستقر ومستمر مع الطفل Inconsistent discipline حيث يخضع الطفل لنمط متذبذب في التربية يتراوح بين القسوة الزائدة والتدليل الزائد ، أو يلقى الصرامة من جانب أحد الوالدين والتدليل المفرط من قبل الآخر . مما يفقد الطفل فرصة انتهاج نموذج محدد يسير على منواله . ولقد وجد أن آباء الأطفال السيكوباتيين كانوا هم أيضاً سيكوباتيين . ولذلك قدموا نموذجاً سيئاً للطفل لكي يقلده . وكذلك تلعب العلاقات الأسرية دوراً هاماً في نشأة الطفل على السواء أو الانحراف . فالعلاقة الإيجابية التي تسود بين أعضاء الأسرة مدعاة إلى تمتع أعضاء الأسرة بالسعادة والسواء (١) .

العوامل الوراثية في نشأة الانحراف :

يذهب كثير من علماء النفس والإجرام والاجتماع إلى إرجاع السلوك المنحرف إلى العوامل الوراثية Hereditary Factors من ذلك دراسات كل من هاتشنجز Hutchings ومدنيك Mednick عام ١٩٧٤ وسكولسنجر Schulsinger ١٩٧٢ حيث درسوا دراسة تتبعية عدداً من أطفال التبني Adoptees والذين أصبحوا مجرمين فيما بعد .

كما درسوا السجلات الإجرامية لآبائهم الحقيقيين وكذلك لآبائهم في التبني Foster parents ووجدوا نسبة عالية من الإجرام أو الإجرامية Criminality بين الأقارب الحقيقيين للمجرمين عنها لدى أطفال التبني ككل . وحتى في الدراسات المبكرة التي ترجع إلى عام ١٩٢٩ والتي أجريت على الأطفال التوائم Twins والتي أجراها لانج Lange وتلك التي أجراها كرانز Kranze في عام ١٩٣٦ أيدت وجود عامل وراثي أو عوامل وراثية (١) في الجريمة .

ومن الأدلة الحديثة على وجود عامل وراثي في السلوك الإجرامي وجود

---

(١) Greer, S. Study of parental lossin The neurotic and Sociopaths Archives of General psychiatry , 1964 , 11 — 177 — 180 .

- راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية - د. العيسوي - الدار الجامعية - بيروت.

كروموزوم ذكري إضافي او زائد An extra Y male sex Chromosome في الرجال الذين يرتكبون جرائم العنف Violent crimes .

ومن الأدلة على صحة هذا الفرض الدراسة التي قام بها وتكن Witken وزملاؤه حيث درسوا جميع الرجال الذين ولدوا في مدينة كوبنهاغن Copenhagen في الفترة من ١٩٤٤ حتى ١٩٤٧ م وبلغ عددهم ٣١٣٤٦ رجلاً ولقد اختاروا من بين هؤلاء كل الذين بلغ طولهم ستة أقدام ، حيث يفترض أن الرجال طوال القامة جداً تزيد لديهم فرصة امتلاك كروموزوم X Y Y وبلغ عدد هؤلاء ٤٥٩١ رجلاً . ولقد تم استخدام الاختبارات والمقاييس اللازمة على الدم والغشاء المخاطي للتعرف على مدى وجود الكروموزوم الزائد . كما جمع هؤلاء الدارسون بيانات عن السجلات المدرسية وعن الجرائم والمخالفات وتقديرات هؤلاء الأفراد في الذكاء . وأخيراً استطاعوا أن يتعرفوا على ١٢ رجلاً من أرباب كروموزوم X Y Y وتبين لهم أن هناك خمسة رجال من هؤلاء الرجال الاثني عشر سبق إدانتهم في جريمة أو أكثر ولقد وجدوا النسب المئوية الآتية من أرباب السجل الإجرامي :

أرباب الـ	X Y	٩,٣٠ ٪
أرباب	X Y Y	٤١,٧ ٪
	الفرق المئوي	٣١,٨٧ ٪

ولكننا لا نستدل استدلالاً قاطعاً من وجود هذا الكروموزوم الإضافي على السلوك الإجرامي ، ذلك لأن الدراسة الأكثر عمقاً والتي تناولت مستويات الذكاء كشفت عن أن الذكاء المنخفض يرتبط أيضاً بالسلوك الإجرامي لدى هؤلاء الرجال .

ومن العوامل العضوية أيضاً عامل نشاط الدماغ أو موجات الدماغ .

الموجات الدماغية Brain Waves :

حيث لوحظ وجود علاقة بين الموجات الدماغية غير السوية بين المجرمين ، وعلى وجه التحديد ، موجات الدماغ عندهم من النوع البطيء .

كذلك لوحظ اضطراب النشاط الدماغي في الفصوص الصدغية في

التصفين الكرويين للدماغ في أرباب الشخصيات السيكوباتية والذين يتسمون بالاندفاعية والسلوك العدواني . ولعل هذا الاضطراب هو الذي يجعل من الصعب على السيكوباتي أن يتعلم قمع أو منع أو إخفاء أو كف السلوك الذي يقود إلى العقاب . هذا ما عبر عنه هير Hare ١٩٧٨ م [١] . فالسيكوباتي عاجز عن السيطرة على سلوكه وعلى انفعالاته حيث يجد نفسه مدفوعاً نحو الأذى والانتقام . ولكن الحقيقة أن هناك دراسات أخرى تشير إلى عدم وجود أي اضطراب في وظائف الدماغ لدى المجرمين .

ومن الحقائق المعروفة عن السيكوباتي أنه لا يستفيد من تجاربه وخبراته السابقة . ولقد وجد ايزنك Eysenck ١٩٦٠ أن السيكوباتي يتعلم تعلماً شرطياً بصورة بطيئة ونتيجة لذلك فإن عملية التطبع الاجتماعي لديه تصبح ضعيفة . وغني عن البيان أهمية عملية التطبع الاجتماعي Socialization في اكتساب الفرد لقيم الجماعة ومثلها وأعرافها ونظمها وقواعدها وعقائدها وعاداتها وتقاليدها . بل إنها العملية التي يكتسب الإنسان من خلالها إنسانيته ، حيث تحيله من كائن حيوي بيلوجي لا يهتم في الصغر إلا بإشباع حاجاته بصرف النظر عن الواقع ، تحيله إلى كائن اجتماعي يقدر المصلحة العامة ويمثل لقيم الجماعة ومبادئها . ومعروف أن للمدرسة دوراً رئيسياً في عملية التنشئة الاجتماعية أو التطبع الاجتماعي هذه بما توفره للتلميذ من القيم والمثل والعادات والتقاليد ، وبما تكسبه من العلوم والمعارف ، وبما تنميه فيه من الخصال والخلال الحميدة وما تغرسه فيه من مشاعر الانتماء والوطنية والإخاء والعدل والمساواة والتضحية والإيثار . . . الخ [١] .

بل إن السيكوباتيين لا يتعلمون حتى من العقاب ، ولذلك تكثر بينهم نسبة العودة للجرمية . ويفتقر السيكوباتي لمشاعر القلق Anxiety ومشاعر الخوف Fear وهذا ما أكده كيكلي Checkley ١٩٦٤ حيث قارن بعض السمات بين المجموعات الآتية :

---

(١) Mccord, W. and Mccord . J . The psychopath - an essay on The criminal mind, Van Nostrand , N . York 1964 .

- راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية - د. العيسوي - الدار الجامعية - بيروت.

١ ـ مجموعة أسوياء من بين طلاب الجامعة .
٢ ـ مجموعة مجرمين ولكنهم ليسوا سيكوباتيين .
٣ ـ مجموعة سيكوباتيين .

ووجد أدلة مؤداها افتقار السيكوباتيين إلى الشعور بالقلق ، حيث لم يشعروا ـ كما يشعر الأسوياء ـ بأثر الصدمة التي كانوا يتعرضون لها . حيث تم قياسهم في مقدرتهم على تعلم تحاشي السلوك المؤذي . ولقد أظهروا اهتماما ضعيفاً بالمعايير الاجتماعية Social norms .

وإذا تأثر السيكوباتيون بالعقاب ، فإنهم لا يتأثرون إلا وفقاً لنظامهم القيمي ، ومن ذلك تأثرهم أكثر بفقدان أموالهم عند تأثرهم بالصدمات . وهم أناس تسهل إثارتهم الانفعالية ، ولذلك وضعهم ايزنك في طائفة الانبساطيين Extraverted وهم اندفاعيون .

إلى جانب هذه العوامل في نشأة الانحراف نستطيع أن نتبين عامل آخر يكمن في الثقافة المحلية للحدث الجانح .

أثر الثقافة المحلية :

فالأشخاص الذين يعيشون في المناطق المتدنية المستوى الاجتماعي والاقتصادي أو الأحياء القذرة Slums يتعرضون لنوع خاص من المعايير الاجتماعية ، كما أنهم يتعرضون لمرافقة رفقاء السوء Peers .

وفي بحثه للسلوك المضاد للمجتمع Antisocial behaviour يتساءل باركلاري مارتن Barclary Martin في كتابه علم نفس الشواذ Abnormal psychology ١٩٧٧ .

١ ـ هل تعرف أن هناك بعض الأشخاص الذين يعاودون الغش والخداع والنصب والاحتيال والكذب والرياء والنفاق والسرقة والقتل ولا يشعرون بأي ذنب أو لوم للذات Remorseويتساءل هل نستطيع أو تستطيع المجتمعات مساعدة مثل هؤلاء الناس ؟

٢ ـ كما أننا في سعينا للتعرف على جذور الإجرام أو السلوك المضاد للمجتمع

نتساءل هل كان المجرمون الكبار مجرمين أيضاً في طفولتهم ؟

٣ - ما الذي يمكن أن يقود الإنسان الرقيق المهذب إلى العنف Violence ؟ ويشير هذا إلى ما يعرف في مصطلحات علم الإجرام بالمجرم بالصدفة .

٤ - وهل في الإمكان إخضاع المجرمين للمعالجة ؟

٥ - وهل حقيقة أن الآباء المنحرفين ينتجون أطفالاً منحرفين أيضاً ؟

هذه التساؤلات وما شابهها تفيد الإجابة عليها في إلقاء الضوء على السلوك المضاد للمجتمع بغية تمكين المجتمع من إحكام السيطرة عليه وضبطه والقضاء عليه أو على القليل للتخفيف من وطأته . ومما يضيف إلى صعوبة اكتشاف أمر السيكوباتي أن ذكاءه لا يتأثر بمرضه ، وأنه قادر على إعطاء صورة براقة وكاذبة عن شخصيته (٥) أمام الآخرين .

ويرجع مارتن الجنوح إلى ضعف القدرة على التعلم الاجتماعي وعلى امتصاص القيم واكتسابها Interalization of Values مما يبرز معه دور المؤسسات التربوية في تحقيق التعلم الاجتماعي وكذلك عدم امتصاص قيود المجتمع ، ولذلك يميل السيكوباتي إلى الانفجار في الانتقام من الآخرين ، ويعجز عن ضبط ذاته . والحقيقة أن إيجاد النمط السيكوباتي خالصاً وخالياً من الاضطرابات الأخرى أمر صعب ، إنما الغالب أنه عبارة عن خليط من الاضطرابات العصابية أي النفسية والاجتماعية ، حيث قد ترتبط الجريمة مع الفقر في الأحياء الفقيرة والبطالة والحقد تجاه أبناء الطبقات الوسطى إلى جانب الأقران . كما يرتبط الجنوح بوجود جو العدوان في الأسرة ومواقف الإحباط والفشل وتعزيز السلوك العدواني وتأييده .

علاج السلوك المنحرف :

وفي علاج الانحراف يؤكد كثير من العلماء على ضرورة تحاشي العلاج بالجراحة المخية أو الصدمات أو العقاقير إلا في الحالات التي يثبت فيها بالدليل العلمي أن الاضطراب يرجع إلى سبب عضوي أدى إلى فساد وظائف الدماغ . ولذلك يقترح الاعتماد في العلاج على الأساليب التربوية والنفسية سواء أكانت مناهج علاجية تحليلية أي قائمة على أسس من مدرسة التحليل

النفسي أم أكانت سلوكية قائمة على آراء أصحاب المدرسة السلوكية ، وخاصة آرائهم في عملية التعلم وتفسيرهم للمرض النفسي حيث ينظرون إلى الاضطرابات النفسية على أنها نوع من التعلم الخاطىء ومن ثم يتم الشفاء منه عن طريق محو هذا التعلم الخاطىء وتعليم الفرد أنواعاً أخرى من السلوك الإيجابي . وهذا ما يمكن للمدرسة الحديثة أن تضطلع به .

كذلك يتناول علاج الحدث علاج جوه الأسري أو بيئته الأسرية وحالته أو مستواه الدراسي .

ومما لا شك فيه أن حركات الإصلاح الاجتماعي ورفع المستوى الاقتصادي والتعليمي والثقافي والقضاء على مظاهر الظلم الاجتماعي والحرمان والعزلة والتمييز لها أثر كبير في الوقاية من الجريمة والانحراف . والنظم الاجتماعية العامة التي تتسم بالديمقراطية والروح الإنسانية . أما الإيداع في السجون والإصلاحيات فلا يغني سبيلاً إلا إذا تحسنت ظروف السجن بحيث يصبح للسجن وظيفة تربوية إصلاحية هادفة إلى جانب وظيفة الردع .

ويؤكد كل من بيري لندن ودافيد روزنهان Perry London and David Rosenhan ١٩٦٨ على أن الخلق الجيد أو الأخلاق الحسنة لا تظهر دفعة واحدة مع ميلاد الطفل . كما أن هذه الأخلاق لا يمكن الحكم عليها من جزئية واحدة من جزئيات سلوك فرد ما . الأخلاق تنمو ببطء منذ الطفولة الباكرة . ولا تتم إلا خلال عملية دينامية نامية ومتغيرة ومتحركة ومتفاعلة ، حيث تتفاعل القوى التي تسقط على الإنسان فيما بينها ، وتتفاعل مع قواه الداخلية لتنتج سمات شخصيته . ومن المؤكد أن الإنسان ما هو إلا محصلة للتفاعل بين مجموعة العوامل الوراثية والبيئية والميلادية [١] .

نمو الأخلاق وظهورها :

تبدو سمات الفرد الأخلاقية في النواحي الثلاث الآتية :

---

(١) Martin, B . Abnormal psychology, send . Ed . Holt, Rinehart and Winston, N . Y . 1981 .

أ - سلوكه أو تصرفاته الفعلية .
ب - حكمه على الأشياء والناس وتصرفاتهم وعلى نفسه .
جـ - مشاعره أو عواطفه .

ويندر أن تكون هذه العناصر مترابطة بحيث يمكن اعتبارها شيئاً واحداً ، وإنما هي أبعاد مختلفة من السلوك الخلقي . ويؤكد ذلك أن مفهوم الأخلاق مفهوم متعدد الأبعاد أو الجوانب .

أثر الطفولة :

وهناك شبه إجماع بين علماء النفس على التركيز على أهمية خبرات الطفولة مما يتعين معه ضرورة وجود نموذج ومثال طيب يحتذى به الطفل ويأخذ عنه ويقلده ويتقمصه أو يتوحد وإياه . ويوضح ذلك دور القدوة التربوية والوالدية والقدوة في كبار القادة والزعماء . والمدرسة من المؤسسات الهامة التي يعهد إليها بصقل شخصية الطفل وتكوينها [1] .

أثر عملية التقمص :

ولقد كشفت الدراسات التجريبية على أن عملية التقمص أو التوحد هذه Identification تحدث بشكل أفضل في حالة تكرار الارتباط أو اللقاء مع النموذج الطيب أو الإيجابي وفي حالة توفر التعاطف المتبادل والإيجابي وإخلاص المثال ووفائه وغرسه للقيم[2].

أثر التعزيز :

كذلك من التقنيات أو العمليات التي وجد أنها ذات أثر في تكوين الخلق الحميد عملية التعزيز Reinforcement أي توفير التعضيد والمكافأة والتشجيع على العمل الطيب أو السلوك الإيجابي ، ذلك لأن استجابات الفرد

Ibid .

London, P . Rorenhan, D . Foundations of Abnormal psychology, Holt, Rinehart and Winston , New York , 1968 .

- راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية - د. العيسوي - الدار الجامعية - بيروت.

المعززة ، أي التي ينالها أو يعقبها التعزيز والأثر الطيب ، تميل إلى الرسوخ والثبات والتكرار في خبرة المتعلم مع تكرار هذا التعزيز . كذلك من الأمور الهامة في عملية تكوين الخلق مراعاة خصائص مراحل النمو التي يمر بها الفرد ، ذلك لأن هناك مراحل تتكون فيها بعض السمات الخلقية أسهل من غيرها [(١)] .

دور الإرشاد والتوجيه في نطاق المؤسسات التربوية :

يعتبر الإرشاد أو التوجيه مهمة أساسية من مهام المدرسة ورجالها ، ويبدو هذا حينما يظهر المعلم اهتماماً بالنمو الكامل والمتكامل للتلميذ Full development ذلك النمو الذي يشمل النواحي الاستعدادية والقدرات والمهارات والميول والاتجاهات والمشاعر وسمات الشخصية .

والمدرسة قادرة على القيام بمهام الإرشاد النفسي سواء أقام بها المعلم أو المدير أم الأخصائي النفسي أو الاجتماعي ، فإن هذه العملية تتم في رحاب المدرسة وتحت إدارتها وبفضل إمكاناتها حيث تتم في إطار تربوي هادف .

ويتمكن المعلم من أداء هذه المهمة كلما زادت المدة التي يقضيها في ذات المدرسة مع نفس الطلاب حيث يساعده ذلك على إحكام فهم تلاميذه ومشكلاتهم . ويستطيع المعلم القيام بهذه المهمة سواء أكان ذلك داخل نطاق قاعة الدرس أم من خلال الأنشطة الخارجية التي يتضمنها المنهج المدرسي أو الأنشطة الحرة . ولكن للأسف ينظر معظم المعلمين إلى عملية الإرشاد وحل مشاكل الطلاب على أنها أمر ثانوي بالنسبة لمهمتهم في التدريس . ولذلك لا يقومون بالأعمال الإرشادية إلا في فترات متقطعة ، وتختلف من قاعة دراسية إلى أخرى . وبذلك قد ينال هذه الرعاية طفل ولا يلقاها غيره ، ولكن هذا الاتجاه لم يعد صالحاً في وسط مجتمع تزداد فيه الحياة تعقيداً . ومن هنا كان

---

(١) Ibid , P . 283 .

ـ راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية ـ د. العيسوي ـ الدار الجامعية ـ بيروت.

لا بد من اعتبار عملية الإرشاد من العمليات التربوية الهامة والأساسية والتي يتعين أن يقوم بها فريق من رجال المدرسة .

المدرسة صورة مصغرة من المجتمع الخارجي :

وتشكل المدرسة نموذجاً للمجتمع الخارجي بالنسبة للطفل ، ولذلك كلما كانت المدرسة ممثلة لمجتمع مثالي ، كلما نجحت في أداء رسالتها في إعداد أبنائها للحياة وللمواطنة الصالحة ، وكلما نجحت في تحريرهم من المشاكل والأزمات والأمراض وعالجت ما في سلوكهم من اعوجاج . ففي الوقت الذي يكون فيه الطفل في مرحلة تكوين شخصيته يتعين أن يجد بعض القيم الثقافية التي تتكامل مع شخصيته تلك التي يحولها إلى أنماط سلوكية إيجابية .

الوظيفة التكاملية للمدرسة :

وفي ضوء هذه النظرية التكاملية في وظيفة المدرسة يمكن النظر إلى وظيفة المدرسة على نحو ما يعبر عنه كل من هانسن وستيفيك . James C . Hansen and Richard R . Stevic .

١ - الاهتمام بالاصحة الجسدية للطالب .
٢ - الاهتمام بالعمليات الأساسية .
٣ - توفير الجو العائلي الصحي .
٤ - توفير المهنة المناسبة .
٥ - تنمية الشعور بالمواطنة Citizenship .
٦ - الاستخدام الجيد لوقت الفراغ .
٧ - الاهتمام بالسمات الخلقية(١) .

وعبر أكثر من نصف قرن من الزمان تناول التربويون هذه الوظائف بالتنقية والتحليل ليضعوا ما يلي :

---

(١) Hansen. J . C . and Stevic, R . R . Elementary School guidance, The Macmillan Co . London , 1969 .

- راجع قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية - د. العيسوي - الدار الجامعية - بيروت.

١ - تخليص الطالب من مشاعر الاكتئاب أو التخلص من أثر الفقر والركود الاقتصادي .

٢ - مساعدة الطالب على تحقيق ذاته والشعور بكيانه والثقة في نفسه .

٣ - غرس قيم العلاقات الإنسانية ومثلها .

٤ - تنمية الكفاءة الاقتصادية Economic efficiency ليكون الطالب عضواً منتجاً نافعاً .

٥ - تحمل المسؤولية الوطنية .

وواضح أن هذه الأهداف تتناول جميع جوانب شخصية المتعلم وحياته . وبالتقدم في هذا العصر أشارت لجنة التعليم الثانوي الأميركية إلى ضرورة تنمية التفكير الناقد Critical Thinking ويتضمن ذلك بالطبع القدرة على ممارسة النقد الذاتي وتوجيه الإنسان لذاته .

وفي عام ١٩٥٥ أصدر مؤتمر البيت الأبيض الأميركي The White House conference أصدر قائمة بوظائف المدرسة وأهدافها والتي يمكن اقتباس ما يلي منها :

١ - تنمية القدرات الأساسية في الاتصال، وتشمل القراءة والكتابة والهجاء وأساليب التعبير الأخرى كالتعبير اللفظي أو الشفوي أو الفني ، وتنمية المهارات الحسابية والرياضية ، ويتضمن ذلك التدريب على حل المشاكل Problem solving وبالطبع فإن المدرسة تقوم بهذه الوظائف منذ وقت بعيد ولكن الدعوة لتحسينها ما زالت متجددة .

٢ - تنمية روح الاستحسان والتقدير والاحترام لحياتنا الديمقراطية والإسلامية والعربية .

٣ - الإيمان بالحقوق المدنية والمعرفة الواعية بالمؤسسات الوطنية ودورها في المجتمع .

٤ - تعويد الطالب على احترام وتقدير القيم الإنسانية وحياة الآخرين .

٥ - تنمية قدرة الطالب على التفكير الإيجابي البناء والمبدع .

٦ - تنمية عادات عمل إيجابية وفاعلة ، مع تنمية القدرة على ممارسة الضبط الذاتي وتأديب الذات أو تربية الذات Self - discipline .

٧ - تنمية الكفاءة الاجتماعية كعضو نافع وإيجابي لأسرته ولمجتمعه الكبير .

٨ - تدريبه على ممارسة السلوك الخلقي تدريباً قائماً على أساس من القيم الروحية أو الدينية والخلقية .

٩ - تنمية حب الاستطلاع العقلي وتنمية روح الشغف Eagerness للاستمرار في اكتساب العلم طوال الحياة .

١٠ - تنمية القدرة على الاستحسان الجمالي وتقدير مظاهر الجمال والتعبير الذاتي من خلال الفنون المختلفة .

١١ - العناية بالصحة الجسمية والعقلية .

١٢ - الاستغلال الواعي والحكيم للوقت فيما هو مفيد ونافع .

١٣ - فهم العالم الفيزيقي المحيط بالطالب وعلاقة الإنسان بهذا العالم كما يبدو هذا من دراسة العلوم الأساسية .

١٤ - تنمية الوعي بالعلاقات الدولية أو بالمجتمع العالمي .

وتقديراً لرسالة المعلم يذهب كل من هاريسون وجوون Harrison , R . H . and Gowin , L . E .[1] إلى القول بأن كل من الرجل العادي ، وكذلك المتخصصين في علوم التربية يرون أنه لا يوجد وظيفة أكثر أهمية ولا جدارة باحترامنا من وظيفة المعلم . ذلك لأن الإنسان لكي يحكم نفسه لا بد له من أن يكون قادراً على اتخاذ القرارات ولكي يتخذ القرارات لا بد له من أن يفهم ، ولكي يفهم الإنسان الحضارة الحديثة لا بد له من أن يتعلم . ولذلك فإننا نعهد لمدرسينا بعقول وقلوب أطفالنا ، ومن خلال هذا النشء تستمر أمتنا . ولكن الاستمرار وحده لا يكفي ، لا بد من أن يكون هذا الوجود مقترناً بالسعادة . وفي عصرنا الحالي أصبحت السعادة بعيدة عن الجهل ،

---

(١) Harrison , R . H . and Gowin , L . E . The elementary Teacher in action , Wadswarth , San Francisco . 1959 .

ولذلك فليس هناك أهم من وظيفة التدريس في مجتمعنا المعاصر . ولذلك من أهداف التربية المحافظة على كيان مجتمعاتها وصيانتها ، والعمل على رقيها وتقدمها وتطويرها . ويتطلب ذلك توفير السعادة والأمن للكثرة الغالبة من أبناء المجتمع .

المدرسة تستهدف تغيير سلوك المتعلم :

ولعل من أهم وسائل التعلم في تحقيق أهدافه محاولته تغيير سلوك الفرد وتعديل اتجاهاته ومعتقداته وتصويب آرائه . فالتعلم في الحقيقة إن هو إلا تغيير يطرأ علي سلوك الكائن الحي نتيجة للمران والممارسة . وعلى ذلك يصبح على المدرسة تغيير سلوك طلابها من الأنماط السلبية أو العدوانية أو التخريبية أو المنحرفة أو الإجرامية إلى الأنماط الإيجابية التي تتسم بالطاعة والانضباط والالتزام واحترام القانون والنظام واحترام حقوق الآخرين . ذلك السلوك الذي يتمشى مع قيمنا الإسلامية الأصيلة وتقاليدنا العربية وقوانيننا السائدة في مجتمعاتنا العربية .

وعلى ضوء هذه الأهداف التي تتبناها التربية الحديثة نستطيع أن نحدد الخطوات الآتية للتربية للتصدي للسلوك المنحرف : وقاية وعلاجاً .

دور التربية في التصدي للسلوك المنحرف :

١ ـ يتعين أن يمتد نطاق خدمات المدرسة أو المؤسسة التربوية ليشع النور في المنطقة الكائنة بها ، ولذلك تعقد المدرسة الندوات والمناظرات واللقاءات ، وتنظم المحاضرات العامة ، وتقيم المعارض والمهرجانات وتدعو إليها سكان المنطقة المحلية . وتتناول هذه الأنشطة الدعوة للالتزام ونبذ عادات العنف والتعصب والتطرف وشتى ضروب الانحراف والشذوذ والعدوان والعبث والاستهتار والفوضى والمخالفات .

٢ ـ كما تدعو المدرسة كبار المتخصصين في مجال الجريمة والانحراف والإدمان لإلقاء المحاضرات وعقد المحاورات مع طلابها لبيان خطورة هذه الأنماط السلوكية المعتلة على كل من الفرد والمجتمع .

٣ - بالنسبة لطلابها ، تتناول بالعلاج من يصاب منهم بالفعل بأي من هذه الاضطرابات السلوكية سواء عن طريق الإدارة المدرسية أو المعلمين أو الاخصائي النفسي أو الاجتماعي . وفي هذا الصدد يقترح أن تزود المدارس بالأخصائيين النفسيين الذين يقدمون الرعاية النفسية للطلبة ويتأتى العلاج بالطبع عن طريق دراسة ظروف كل حالة ومعرفة الأسباب التي قادت للانحراف والعمل على إزالة هذه الأسباب ، وخلق مجالات عمل إيجابية وصحية جديدة أمام الطالب وتشجيعه على الانغماس فيها وإزالة العقبات أمامه ليتحقق له النجاح الدراسي المفقود .

٤ - وعلى مستوى الوقاية، تحرص المدرسة على تنمية قيم الحق والخير والجمال والفضيلة والعفة والالتزام والانضباط والتعاون والأخذ والعطاء والشجاعة والانتماء وحب الوطن وذلك عن طريق توفير القدوة الحسنة والمثال الذي يقتدى به وتوفير المعلومات التي تشجع على التمسك بآداب السلوك الحميد وخاصة من خلال التعاليم الدينية الإسلامية .

٥ - تقوم المدرسة بعمل الدراسات المسحية المحلية للتعرف أولاً بأول على ما قد يوجد بين طلابها من مظاهر انحرافية أو نزعات إجرامية وتعمل على علاج هذه الحالات أولاً بأول .

٦ - تتعاون المدرسة مع المنزل في حل مشاكل الطلاب وتقيم جسور من التعاون المتبادل بينها وبين أولياء أمور الطلاب على أساس من التفاهم المتبادل .

٧ - الاهتمام المتزايد بالتربية الدينية والخلقية وغرس القيم الإسلامية الأصيلة في نفوس النشء وتشجيعهم على أداء العبادات والتكاليف ومطالعة القرآن الكريم وتدبر معانيه السامية ، ففيه خير عاصم من الذلل .

٨ - اصطحاب المدرسة لأبنائها الطلاب إلى زيارة السجون والمؤسسات الإصلاحية ودور رعاية الأحداث للاطلاع على ظروف السجناء وللإحساس الفعلي بعواقب العمل الإجرامي وما ينتج عنه من الشعور بالندم والتعرف على مبلغ الردع الذي يقع على من يخرج عن القانون .

الهدي الإسلامي من التصدي للجريمة

الجريمة وغيرها من كافة مظاهر السلوك المضاد للمجتمع من الأمراض الاجتماعية التي تهدد أمن المجتمع واستقراره وسلامته والتي تعوق مسيرته نحو التقدم والازدهار وتمتص عائدات حركات التنمية فضلاً عما فيها من غضب الله تعالى وشقاء العباد .

وتدل الإحصاءات الجنائية في معظم بلدان العالم ، على اضطراد معدلات الجريمة والسلوك الانحرافي . ورغم الارتفاع المستمر في مستويات المعيشة ، وكذلك في المستويات التعليمية ، إلا أن نسبة الجرائم يزداد انتشارها وتنوعها وخاصة جرائم صغار السن . الأمر الذي يفهم منه أن التعلم المدني الحديث لا يؤدي إلى انخفاض نسبة الجريمة ، ولا يقضي على النزعات الانحرافية من الطلاب . بل إن التعليم وما يتبعه من وظائف إدارية يلتحق بها المتعلمون يرتبطان بجرائم مستحدثة من مجتمعاتنا كالاختلاس والتزوير والتزييف والنصب والاحتيال والفتن ، والجرائم السياسية ، والعصيان والتمرد وإثارة الشغب والتجسس والسرقة والعنف .

فالتعليم وضعه الحالي ، لا يؤثر التأثير الكافي في إقصاء النزعات الإجرامية من نفس الفرد ، ولا يؤدي إلى تكوين الاتجاهات العقابية نحو البعد عن الجريمة والتصدي لها والإسهام في مكافحتها . والدليل على ذلك شيوع الجرائم من أكثر بلدان العالم تقدماً كالمجتمع الأميركي مثلاً ، ومن أوجه الأدلة على ذلك كذلك أن أبشع جرائم هذا العصر ارتكبها أناس متعلمون . فالحرب الأهلية المؤسفة في لبنان الشقيق يديرها أناس على قدر من هذا التعليم ، ومذابح صبرا وشاتيلا وقنابل هيروشيما ونغازاكي ألقيت بمعرفة أناس

متعلمون ، ومذابح السود في جنوب أفريقيا يرتكبها الرجل الأبيض « المتعلم »[1] . وهكذا مما يفتح أذهان الشباب على مظاهر الفساد والإفساد . ومؤدى ذلك أن النظام التعليمي لا ينجح في تحقيق السلام الاجتماعي ، ولا يؤدي وظيفته المنشودة في الدفاع الاجتماعي ، ويلقى هذا بمسؤوليات جسام على رجال الوعظ والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

والحقيقة أن رسالة الوعظ والإرشاد الإسلامي في بلادنا تتضاعف يوماً بعد يوم وتزداد أهميتها بحكم العوامل والمؤثرات التي تسقط على الشخصية الإسلامية ، وتحاول أن تنال من إيمانها ، وصلابتها ، وصفاتها ، ونقائها ، ومعتقداتها وخصالها الحميدة ومن هذه المؤثرات ما يلي :

ـ المؤثرات السلبية :

١ ـ حملات الغزو الفكري والتيارات الفلسفية الوافدة التي تثير التشكيك والانحلال والضعف والتي تستهدف النيل من كيان الشخصية الإسلامية ، كالنزعات المادية والإلحادية وموجات الكفر والزندقة ، والفلسفات الشيوعية[2] ، ودعوات التفرنج والتبرج ، والانبهار بالفكر الغربي وبالحضارة الغربية على حساب الاعتزاز بالحضارة الإسلامية الأصيلة .

٢ ـ الحركات الإلحادية وحركات الميوعة الفكرية والتضليل المقنع كالبهائية والماسونية وأندية اللوتاري وغيرها من حركات التضليل العالمية .

٣ ـ المحاولات الاستعمارية والصهيونية التي تستهدف تحقيق الغزو الثقافي لمجتمعاتنا والنيل من عضد عقيدتنا الإسلامية السمحة ومبادئنا الراسخة .

٤ ـ حملات التشكيك وإثارة مشاعر الضعف والاستسلام وبث روح الانهزامية في نفوس الشباب مما تحاول أن تبثه أبواق أعداء الأمة والمتربصين بها .

٥ ـ الحملات التي تستهدف إغراء الشباب ، وضعف روح الانتماء من حسه ووجدانه الانتماء الوطني العربي ، وفوق كل شيء ، الانتماء الإسلامي .

٦ ـ تشجيع روح الهجرة لتفريغ أوطاننا العربية والإسلامية من شبابها وعلمائها

وباحثيها ، وجذبهم للعمل خارج العلمين الإسلامي والعربي باستخدام كافة وسائل الإغراء والجذب .

٧ ـ تصدير وسائل الدمار الخلقي إلينا كالفيديو والسينما والشرائح والصور الخليعة والمجلات الرخيصة تحت ستار التسلية البريئة والإحاطة بما يجري وراء الحدود الإسلامية .

٨ ـ تهريب السموم القاتلة البيضاء إلينا في شكل المخدرات والخمور على مختلف أشكالها كالحشيش والأفيون والهيروين والكوكايين والحبوب وأقراص الهلوسة وما إليها من المواد السامة التي تقتل الإنسان وتهدم جسده وصحته ، وتقضي على خلقه ، وتذهب بعقله ووقاره وكيانه الاجتماعي وقيمته . وتمنعه من القيام بدوره الإيجابي الفعال كعضو صالح ونافع في المجتمع ، وإنما تحيله إلى معول هدم وتخريب بعد أن يدمر نفسه بيده فضلاً عما فيها من إلهاء عن ذكر الله تعالى وارتكاب المعاصي والآثام التي تحرم الإنسان التمتع برضا خالقه العظيم .

٩ ـ من العوامل الرئيسة المسؤولة عن انتشار الجريمة أيضاً الهجرة من الريف للمدينة ، والاشتغال بالمصانع [٣] الكبرى ، وترك القيم الريفية والأسرية الأصيلة النابعة من تراثنا الإسلامي الخالد .

١٠ ـ ضعف سلطان الأسرة وقلة رقابتها على الأطفال والمراهقين بانشغال الأب والأم خارج المنزل وضعف الرعاية والإشراف الوالدي .

١١ ـ ضعف الأواصر والروابط الأسرية التي كانت تجمع أفراد الأسرة في إطار من القيم الإسلامية في المودة والسكينة والاحترام المتبادل والتعاطف والتكافل والتضامن المعبر عنه أبلغ تعبير حديث نبينا الكريم « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه البخاري [٤] وقوله ﷺ « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » رواه مسلم . وقوله ﷺ كذلك في تدعيم معاني الإخاء بين أبناء المجتمع الإسلامي « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ،

ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة »[٥] رواه مسلم .

وينهى القرآن الكريم عن انتشار الفواحش والجرائم كما في قوله تعالى ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ﴾[٦] (النور ١٩) وغير ذلك من المؤثرات الجديدة التي يدركها ، ولا شك ، القارىء الكريم .

أهمية رسالة الوعظ والإرشاد :

وإذا كنا نقرر حقيقة هامة وهي ازدياد أهمية رسالة الوعظ والإرشاد فإننا نؤكد أيضاً شمولها وضرورة تناولها لكافة جوانب حياة الأفراد والجماعات في مجتمعاتنا المعاصرة تلك الجوانب التي أصبحت في حاجة إلى الرعاية الشاملة وخاصة في جانبها الروحي والخلقي بحيث تشمل :

١ ـ الجانب الروحي والديني والخلقي ، فتعمل على السموبه، وإذكائه ، وتنميته وترسيخ القيم الروحية والإيمانية الأصيلة من جميع طوائف المجتمع وطبقاته بصورة عامة ، ومن الشباب بصورة خاصة .

٢ ـ الاهتمام بالجانب الفكري العقائدي في شخصية المواطن والمواطنة والعمل على تطهير فكرها من الشوائب والشكوك والأغلاط ، وتدعيم العقيدة صافية نقية خالصة بوجه الله تعالى .

٣ ـ العناية بالجانب النفسي من شخصية المواطن وتحريره من مشاعر الغل والبغض والحسد والغيرة والانتقام والعدوان والثأر والكره والشحناء ، وغرس ، بدلاً منها ، مشاعر المودة والمحبة والصفاء والطهر والإخاء والرحمة والشفقة والتعاون والتآزر والتساند . والمعروف أن دوافع الغل والحقد والحسد تعمل كقوى للإنسان[٧] نحو الجريمة والانحراف .

٤ ـ الاهتمام بالجانب الاجتماعي في الإنسان المسلم المعاصر ، وغرس القيم الاجتماعية الأصيلة ، وتشجيعه على إقامة علاقات اجتماعية إيجابية مع

غيره من المسلمين قوامها التعاون اهتداء بقوله تعالى ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ (المائدة ٢) .

وغرس قيم الإيثار وتفضيل المصلحة العامة على الخاصة عملاً بقوله تعالى ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ (الحشر ٩) .
والإيمان بالإخاء الاجتماعي ﴿ فالمؤمنون أخوة في الإيمان ﴾ وعملاً بقوله ﷺ « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » رواه البخاري . وقوله ﷺ « لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم فوق بيع بعض وكونوا عباد الله أخواناً المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات يحب أمرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » رواه مسلم . وتلك قمة المثل العليا في بناء المجتمع المتماسك المتحاب البعيد عن شرور الجريمة والخصومة والعداوة والعنف والانتقام .

والإيمان بالسلام الاجتماعي والحرص على الوحدة الوطنية ، وعدم الانزلاق نحو نزعات الانقسام أو الانفصال أو الشقاق والخصام سيراً على هدى من قوله تعالى ﴿ أطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا . . . ﴾ (الأنفال ٤٦)، مع تربيته على القيم الإيجابية ، فلا يقف من الأحداث موقف المتفرج أو يقف ساكناً إزاء أحداث المجتمع وظروفه . وإنما عليه أن يكون إيجابياً فاعلاً إزاء الأحداث الاجتماعية ، فيسهم في الأعمال الخيرة والنافعة ، وينهى بيده أو بلسانه أو بقلبه عن الأعمال المنحرفة أو المنكرة تأسياً برسولنا الكريم « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، وإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » الترمذي . وعليه أن يحرص على الصالح العام ودفع الأذى عن غيره ، ذلك لأن إماطة الأذى عن الطريق صدقة كما جاء في الهدي النبوي الشريف(٨) . وهكذا غرس كل ما من شأنه أن يؤدي إلى تكوين المجتمع الفاضل السوي المتعاون والمتساند والمتضامن والمتآخي والمترابط والمسالم الذي يسوده السلام والأمن والأمان والاطمئنان

والاستقرار والسكينة والبعد عن الجريمة وعن الفواحش اهتداء بقوله تعالى ﴿ ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴾ (الأنعام ١٥١) .

٥ - وعلى الواعظ أن يتناول الجوانب الاقتصادية من حياة الفرد والمجتمع كذلك ، فيعمل على غرس حب العمل كقيمة وتقديره لذاته واحترامه والدعوة للعمل والجد والاجتهاد والإنتاج والأكل من كد اليد والإيمان بخشونة [٩] العيش ، وعدم الترفه أو التعالي أو الكسل والتراخي ، واحترام الأعمال اليدوية والتشجيع على أمتهانها والاشتغال بها ، والقضاء على نزعات العزوف عنها أو احتقارها فكل الأعمال في التصور الإسلامي شريفة حتى الاحتطاب من الجبل [١٠] .

وترسيخ تعاليمنا الإسلامية التي تحكم عمليات البيع والشراء والإنتاج والاستهلاك والتعاقد والالتزام بالأمانة والذمة . فمن غشنا فليس منا كما قال رسولنا الكريم ، وبذلك نبعد عن مجال العمل الاقتصادي شبح النصب والاحتيال والغبن التجاري ذلك الذي يؤدي إلى إفلاس كثير من الأبرياء وكذلك لا تقرب الربا « وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ﴾ (الإسراء ٣٥) .

تربية مواطنينا المسلمين على قيم الزهد في الاستهلاك وعدم الإسراف والإفراط في المأكل والمشرب والملبس وأدوات الزينة والحفلات وغير ذلك من العادات الاستهلاكية السيئة التي ثبت أنها تمتص كل عائدات مشاريع التنمية ومردوداتها . والتي تنهك كاهل الأسرة والتي قد تدفع بالبعض إلى هاوية الجريمة والانزلاق إلى مخاطر الانحراف .

وديننا الإسلامي يدعونا للتوسط والاعتدال كما في قوله تعالى ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين . . . ﴾ (الأعراف ٣١) .

وكذلك النهي عن التبذير ﴿ إن المبذرين كانوا أخوان الشياطين ﴾ (الأسراء ٢٧) . فالإسلام ، ولله الحمد والشكر ، حافل بكل التعاليم التي تكفل للحياة الاقتصادية الفردية والجماعية الاستقرار والهدوء والتقدم والازدهار . فهو دين روحانيات وفي نفس الوقت دين عمل وإنتاج وكفاح

ونضال وجهاد وتضحية ، وصبر ومثابرة ، ونشاط وحيوية ونظافة فالإنسان خليفة الله في الأرض وعليه رسالة تعمير الكون أو عمارة الأرض . والإسلام يحض على العمل والجهاد والمعروف إحصائياً في الوقت الحاضر أن البطالة تقود إلى الجريمة . ولذلك كان المؤمن القوي خير واحب إلى الله عن المؤمن الضعيف لقول رسولنا الكريم « المؤمن القوي خير واحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان » رواه مسلم .

ومع الدعوة للتنمية والازدهار الاقتصادي واستغلال السماء والأرض ، فإن الإسلام يربط كل هذا النشاط بالخلق القويم وبالصالح العام ، فلا ربا ولا غش ولا سلب ولا نهب بل صيانة للعقود والعهود ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض ﴾ (الجمعة ١٠) .

٦ - ويسهم رجال الوعظ والإرشاد في دفع الحركة العلمية الناهضة والمباركة في بلادنا ، بإثارة الاهتمام بالعلم النافع والتشجيع على طلبه والإخلاص في هذا السعي ، وتكوين العقلية العلمية المسلمة المتحررة من رواسب الخرافة والشعوذة والأوهام والخزعبلات ، والإيمان بالتجربة العلمية وبالمنهج العلمي ، واستخدام العلم في الأغراض الخيرة النافعة لنا وللبشرية قاطبة .

ونحن أبناء أمة كرمت العلم والعلماء لقوله تعالى ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ (الزمر ٩) .

وهكذا نرى أن للوعظ رسالة في مجتمعنا الحديث والمعاصر تتناول كافة جوانب حياة الفرد العقلية والروحية والاجتماعية والاقتصادية والخلقية والعلمية والعملية والأسرية . بل تتناول أيضاً كل هذه الجوانب في حياة المجتمع المعاصر ، لتصقلها وتهذبها وتنورها وتحضرها وترتقي بها إلى مصاف الحياة الإسلامية الحقيقية الطاهرة والإسلام يدعو لتكوين الفرد المسالم الذي يؤمن بالسلام وبالعفو والصفح والتسامح والإخاء ، والبعد

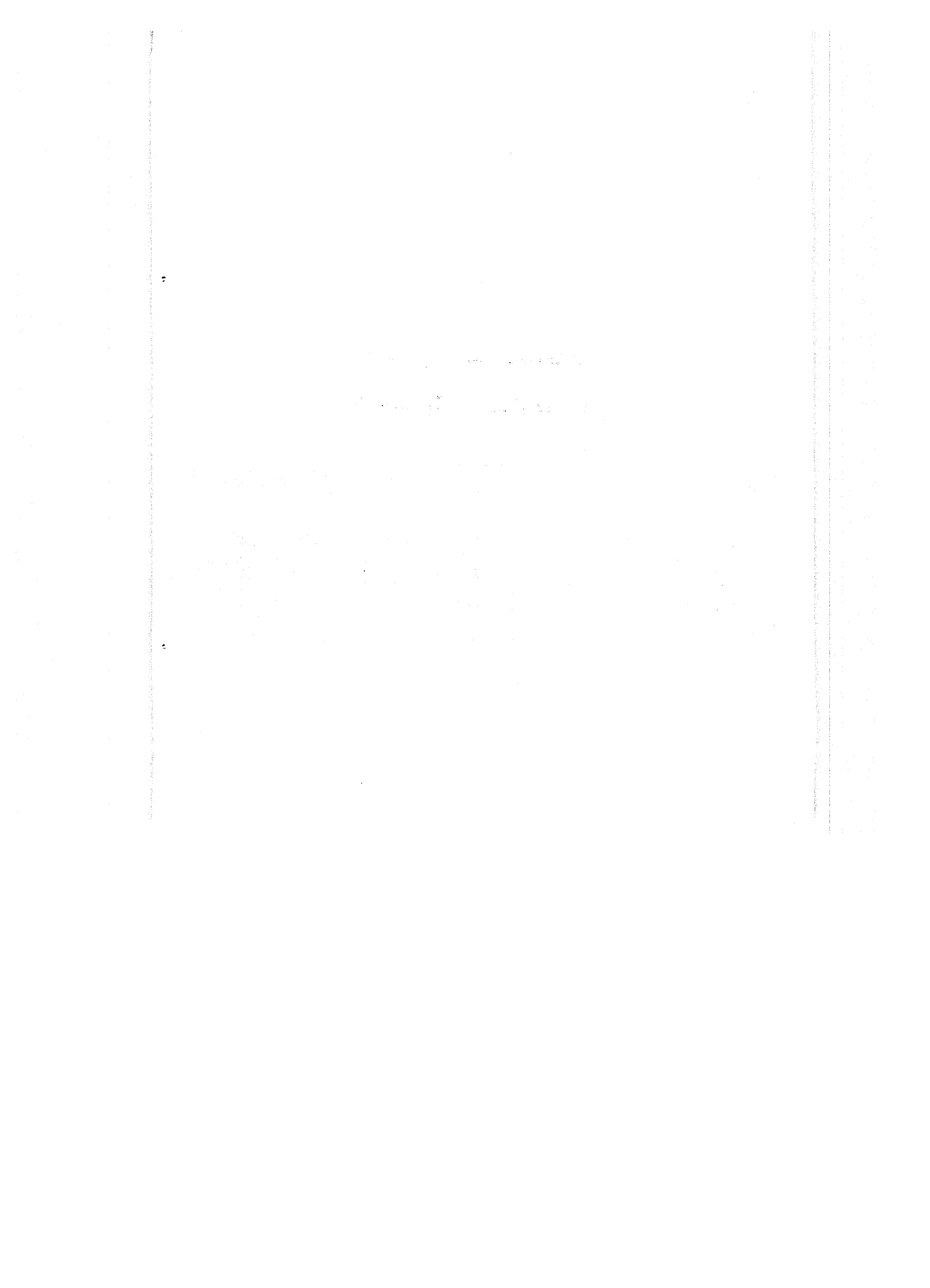
عن نزعات الشر والحقد والانتقام والعدوان والجريمة والانحراف .

وكذلك فإسلامنا أعظم مدرسة من مدارس السلام الاجتماعي أو الأمن الاجتماعي ، فهو يقدم أرقى الأساليب الإنسانية في المعيشة وأكثرها تحضيراً ، ويقدم النظم والقواعد التي تحكم حياة الأفراد والجماعات وتنظمها (١١) وتبعد مظاهر الفوضى والارتجال أو الاعتماد على القوة والبطش والطغيان .

ويقدم كافة ضروب التوعية والإرشاد والإنذار والتربية الصالحة للمواطن ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾ (الإسراء ١٥) . وبعد أن يوفر الإسلام كافة وسائل التوعية والتربية والتنشئة الصالحة والإجراءات الاحترازية والأمنية ، وبعد أن يفتح أبواب التوبة الذاتية على مصارعها وعلى امتداد حياة الإنسان ، يفرض العقوبات الحازمة والصارمة على المجرمين والمفسدين والعابثين والمخالفين والخارجين على طاعة الله تعالى ، وعلى أمن المجتمع وسلامه ، في شكل القصاص بالحدود الرادعة كالقتل أو الرجم أو الجلد أو قطع الأيدي والأرجل . ليكون المجرمون عبرة لغيرهم من الناس، ولينعم غالبية المجتمع بالأمن والأمان والسعادة .

وعلى رجال الوعظ تقع مسؤولية شرح هذه القيم وتلك التعاليم والإجراءات الوقائية والرادعة .

قاموس بالمصطلحات الانجليزية الـواردة في الكتاب



« A »

Abnormal Brain waves موجات دماغية شاذة

Abnormal psychology علم النفس الشواذ

Abstract مجردة - غير مشخص - مجرد

Accused المتهم - المطعون

Accused of cheating متهم بالغش

Administration تطبيق - إدارة

Adoptées أطفال التبني

Adrenalin الأدرنالين

Affection العطف

Aggressive عدواني

Aggression العدوان

Agitated متهيج - ثائر

Alcoholic مدمن الخمور

Anal sexual act الفعل الجنسي الشاذ أي الفعل الشرجي مع المرأة أو الاسي

Anatomical التشريحي

Anecdotes الحكايات النادرة

Anger rape اغتصاب الغضب

Anonymity إغفال الاسم الغفلة - عدم القصد أو النية

Antagonism العناد والمعاداة والخصومة

Antisocial Behaviour السلوك المضاد للمجتمع

Anxiety القلق - الحصر

Armed robbory السرقة المسلحة

Arrest of criminal cases القبض على الحالات الإجرامية

Assailant المعتدي - المهاجم - المغير

Assault هجوم - اعتداء - انقضاض

Atavism نكسة وراثية - التناسل الرجعي - عودة إلى صفات الأسلاف التي ابتعدت عنها الأنسال

Attorneys الوكلاء - المحامون

Attorney General النائب العام

« B »

Bad genes جينات رديئة

Bad models نماذج سيئة

Bargaining اتفاق - مساومة - مقايضة

Beggars المتسولون

Beliefs عقائد

Bias التحيز - التعصب - المحاباة - انحياز

Biases تحيزات - تعصبات

Biological inferiority النقص البيولوجي

Bizarre شاذ - غير عادي

Blank minds عقول بيضاء

Brain damage تدمير خلايا الدماغ

Brain waves الموجات الدماغية

Brigands قطاع الطرق أو اللصوص

البيوت المحطمة Broken homes
الكدمات Bruises and facerations
والتمزقات ـ الرضوض ـ الخدش
رصاصة Bullet
سرقة المنازل Burglary
السطو على المنازل ليلاً

« C »

رابطة سببية ـ عليّة Causal link
فوبيات الطفولة Childhood phobias
مخاوف شاذة في الطفولة
الجنوح المزمن Chronic delinquency
المذنب المزمن Chronic offender
أدلة ظرفية Circumstantial evidence
المواطنة Citizenship
قضايا مدنية Civil cases
الجرائم المدنية Civic crimes
الاضطرابات المدنية Civil disorders
عميل ـ موكل المحامي Client
ارتكاب الجريمة Committing crime
تحيزات مشتركة Common Biases
مجتمع صغير Community
الصداقة Companionship
تعويض Compansatory
فترة الحمل Conception
تشريط ـ تعلم شرطي Conditioning
قاعة المؤتمر Coference room
السجن أو الحجز ـ الحبس Confinement
صراع Conflict
الغزاة الفاتحون Conquerors
ضمير Conscience
اتفاق ـ إجماع في الرأي Consensus
عوامل بنائية Constitutional factors
أو تكوينية أو جسمية
الاستهلاك للسلع Consumption
الإدانة ـ التجريم Conviction
برهان مقنع Convincing proof
مدارس الإصلاح Correctional schools
الدستور Constitution
المحكمة Court
سراي المحكمة Courthouse
قاعة المحكمة Courtroom
المدان Convicted
الجريمة Crime
الوقاية من الجريمة Crime prevention
هجوم إجرامي Criminal Assault
أو عتداء إجرامي
قضية جنائية Criminal case
مجموعة القانون الجنائي Criminal code
القانون الجنائي Criminal law
علم النفس الجنائي Criminal psychology
الانحراف Criminal psychopaths
السيكوباتي
المسؤولية Criminal Responsibility
الجنائية
علم الاجتماع Criminal sociology
الإجرامي
النمط الإجرامي Criminal type

Criminaloid شبيه بالمجرم أو يشبه المجرمين
Criminology علم الإجرام أو علم الجريمة
Criminasis الميل العصبي للإجرام
Crisis أزمة
Culprit المتهم بجريمة - المجرم
Cultures الثقافات

« D »

Death instinct غريزة الموت
Death penalty عقوبة الإعدام - قصاص الموت - حد الإعدام
Deceit الغش - الخداع - المخاتلة - الكذب
Defendants المتهمون - المدعي عليهم
Defendant's characteristics سمات المتهم
Defense الدفاع
Degenerative stigmata وصمة الانحلال
Deliberations ترويات - تفكير مروي فيه
Delinquency and criminality الجنوح والإجرامية
Delinquent youth الشباب الجانح
Delinquency Areas مناطق الجنوح
Demeaning يحط من قدر
Deprivation الحرمان
Detention center مركز الاحتجاز (أو السجن)
Detention home بيوت الحجز أو السجن
Development النمو
Dipsomania هوس إدمان الكحول
Disapproval الرفض
Discredited رُفض - كذب - أضعف الثقة في
Dispassionate انعدام الإحساس العاطفي
Divorce الطلاق
Dizygotics التوائم العادية الأخوية
Dominant cerebral hemisphere النصف الكروي المسيطر من الدماغ
Drug Addict مدمن الخمر أو المخدرات
Ductless glands الغدد الصماء اللاقنوية

« E »

Eagerness روح الشغف
Economic conditions الظروف الاقتصادية
Economic crimes الجرائم الاقتصادية
Economic efficiency الكفاءة الاقتصادية
Ego الذات الوسطى
Egocentricity التمركز حول الذات - الأنانية
Ejaculate القذف (الجنسي)
Electrocation الإعدام بالكهرباء
Electrodes الأقطاب الكهربائية
Embezzlement الاختلاس
Emotional deprivation الحرمان العاطفي
Emotional Temperamental المستوى الانفعالي المزاجي
Endocrine Activity نشاط الغدد الصماء
Energy طاقة

Epilepsy الصرع
Equality (مبدأ) المساواة
Ethical codes مجموعة القواعد والقوانين الأخلاقية
Ethnic origin الأصل السلالي (العرقي)
Etiology علم الأسباب الأمراض
Etiology of crime مبحث علل الجرائم
Evidence أدلة
Evidence is ambiguous الأدلة غامضة
Executed أعدم - نفذ فيه حكم الإعدام
Exhibitionists أصحاب نزعة الاستعراء وكشف العورة
Expectations توقعات
Exploitation استغلال - استثمار المورد الطبيعي
Extraverted منبسط
Extra (Y) male sex Chromosome كروموزوم ذكري إضافي
Eye - witness شاهد عيان

« F »

Family الأسرة
Fandle التربيت
Fairness العدالة
Faulty learning تعلم خاطىء
Fear الخوف
Feeble - mindedness الضعف العقلي
Fetishism حب الأثر (أثر من المحبوب) شذوذ جنسي
Feverish الاندفاع - التسرع - شدة الانفعال
Fixation الجمود
Folk ways الطرق الشعبية (الفولوكلورية)
Foster parents آباء التبني
Friction صدام
Frustration الإحباط

« G »

Galvanic skin response (G. S. R) الاستجابة الجلدية الجلفانية
Gang العصابة
Gangs عصابات الصبية
Gangsters أعضاء العصابات
Generation الجيل
Genes الجينات - ناقلات الوراثة
Genitals الأعضاء التناسلية
Glands الغدد
Glandular imbalance اختلال التوازن الغدي
Grapped قبض على - أمسك بـ - شد
Gratification استدرار اللذة - إشباع
Great Reformers عظماء المصلحين

« H »

Hanging الشنق
Hard - Core - Criminal المجرم المعتاد أو المتعمق - العتيق
Harsh judge قاضي قاسي

الكراهية	Hate
معدلات ضربات القلب	Heart rates
الوراثة	Heredity
تلطخ - وصمة جرثومة وراثية	Hereditary taint
غير متجانسة	Heterogeneous
هوس القتل	Homicidal mania
القتل	Homicide
جماعات متجانسة	Homogeneous groups
الجنسية المثلية	Homosexuality
خيبة الأمل - فقدان الأمل	Hopelessness
هرمون	Hormone
غابة من البشر	Himan jungle
العلاقات الإنسانية	Human relation ships

« I »

الذات الدنيا	Id
التوحد - التقمص	Identification
الهوية	Identity
المعتوه	Idiot
الأمية	Illiterecy
النزاهة وعدم التحيز	Impartial
اندفاعي	Impulsive
ممارسة الجنس مع المحارم (الأم - العمة)	Incest
الحادث	Incident
عدم الثبات والاستقرار في التأديب	Inconsistent discipline
وراثية - موروثة	Inheritence
الانطباعات الأولية	Initial impressions
النزلاء	Inmates
الضغوط الداخلية	Inner stresses
بريء	Innocent
(المتهم) بريء حتى تثبت إدانته	Innocent until proven guilty
الجنون	Insanity
غير آمن	Insecured
الاستبصار - الفهم	Insight
المستوى العقلي	Intellectual
مقصود	Intended
غضب شديد	Intense rage
التفاعلات	Interactions
الاستجواب	Interrogation
الاستبطان - التأمل الباطن	Introspections
الرغبة التي لا يمكن مقاومتها	Irresistible desire
عديم المسؤولية	Irresponsible

« J »

السجن	Jail
ثورات الغيرة	Jealous rages
القاضي	Judge
الأحكام	Judgements
هدف القضاء في العدالة	Judicial goal of fairness
علم النفس القضائي، العدلي	Juridical psychology
حكم المحلفين	Jurors' Judgement

« K »

Kleptomania جنون السرقة ـ هوس الاختلاس الولع الشديد بالسرقة
Kleptophobia خوّاف السرقة ـ الاختلاس
Knife السكين

« L »

Lack of identity فقدان الهوية
Law breaking كسر القانون ـ خرق القانون
Lawyers المحامون
Leading questions أسئلة إيحائية
Legal قانوني ـ شرعي
Legal penalties العقوبات القانونية
Legitimately بالصورة المشروعة
Life imprisonment سجن مدى الحياة
Life stresses ضغوط الحياة
Lower levels of arousal مستويات دنيا في الإثارة

« M »

Maladjustment سوء التكيف ـ سوء التوافق
Maleness الذكورة
Mania هوس
Masochism المازوخية ـ الماشوسية
Mastery or compensation in rape عنصر السيطرة والتعويض في الاغتصاب
Masturbation الاستمناء
Maze متاهة
Memories الذكريات ـ الذاكرات
Mental health الصحة النفسية
Mental hygiene الصحة العقلية
Mental maze المتاهة العقلية
Mesomorphic النمط العضلي المتوسط التركيب
Mistaken الخاطىء
Mongolism المنغولية
Monozygotic التوائم العينية
Moral imbicility الخبل والجنون الخلقي
Moral insanity الجنون الأخلاقي
Morbid depression الاكتئاب المرضي
Mores المعايير
Moron المأفون
Morphological السمات التشكيلية والبنائية
Motivations of violence دوافع العنف
Multi - Causal approach الاتجاه المتعدد العوامل
Murder القتل

« N »

Needs الحاجات
Nervous system الجهاز العصبي

Neurological impairment	عجز عصبي
Neurological	البحوث العصبية
Neurotic	الشخص العصابي
Neurotic character	الشخصية العصابية المصابة بالمرض النفسي
Neurotic Delinquency	الجنوح العصابي
Neurotic type of criminals	النمط العصابي من المجرمين
Nightmares	الكوابيس الليلية
Nudity	العورة
Nymphomania	الولع الشديد بالجنس عند الإناث

« O »

Oaths	القسم - حلف اليمين
Oblique eyes	العيون المائلة أو المنحرفة
Objective	موضوعي
Oedipal love	الحب الأوديبي
Offense	مخالفة - جريمة - جنحة
One - way affairs	شؤون ذات جانب واحد
Organ	عضو
Original sin	الخطيئة الأولى

« P »

Palate	عال ومدبب
Pedophilia	الرغبة الشاذة في إقامة علاقات جنسية مع الأطفال الصغار
Peers	رفقاء السوء - الأنداد
Penal law	قانون العقوبات
Perceived	أدرك - مدرك
Perceptions	الإدراك - التصورات
Personal testimonies	الشهادات الشخصية
Persuasion	الإقناع
Perverts	المنحرفون جنسياً
Pessimistic	متشائم
Phobias	الفوبيات (الخواف الشاذ)
Phylogenetic	يرجع إلى العرق أو السلالة
Physical	الفيزيقي
Physical Attractiveness	الجاذبية الفيزيقية
Pickpokets	النشالون
Pituitary	الغدة النخامية
Plan(to)	يخطط
Plea	إجابة المتهم عن التهمة الموجهة إليه
Pleasure principle	مبدأ اللذة
Police brutality	وحشية رجل البوليس
Political crimes	جرائم سياسية
Power rape	إغتصاب القوة
Power thrust	التعطش للقوة
Precipitating	(الأسباب) المعجِّلة - المفجرة - المهيِّرة - المهيأة
Preconceived judgements	الأحكام المسبقة
Predisposed to crime	مهيأ لارتكاب الجريمة

Pregnant — حامل (امرأة)
Previous connections — الروابط السابقة
Principles of criminology — مبادىء علم الإجرام
Prison — السجن
Proactive inhibition — الكف التصعيدي
Probation — الرقابة ـ المراقبة للمجرمين
Problems - Solving — حل المشكلات
Prognathism — البروز أو النتوء أي بروز الفكين
Progressive civilization — الحضارة التقدمية
Prosecution — الاتهام
Prosecution and defense witnesses — شهود النفس والإثبات
Prosecutor — المدعي بالاتهام
Psychological crimes — الجرائم السيكولوجية النفسية
Psychopathics — السيكوباتيون ـ مجرمو الأخلاق
Psychoses — الذهانات العقلية
Public — الشعب ـ الجمهور
Punishment — عقاب ـ عقوبة
Pyromania — هوس الحرائق القهرية

« R »

Racism — (مذهب) السلالية
Rape — اغتصاب
Rape crimes — جرائم الاغتصاب
Reality principle — مبدأ الواقع
Receding forhead — جبهة مرتدة أو راجعة
Recidinists — المجرمون العود
Reciprocity — التبادل ـ المبادلة
Reducing Error — تخفيض الخطأ
Reformatories — الإصلاحيات
Reformer — المصلح
Regressed — النكوص ـ الارتداد
Rehabilitation — إعادة التأهيل
Reinforcement — التعزيز
Rejection — طرد ـ نبذ
Remedial programmes — البرامج العلاجية
Remedies — معالجات
Remorse — لوم الذات ـ عقاب الذات الشعور بالإثم والذنب
Repression — القمع
Retaliation — الأخذ بالثأر
Retraining — إعادة التدريب
Retroactive inhibition — الكف الترجيعي
Rivalry — المنافسة
Robbery — السرقة
Rumours — الشائعات
Rural areas — مناطق ريفية

« S »

Sadism — السادية
Sadistic rape — اغتصاب سادي
Satyriasis — الولع الشديد بالجنس عند الذكور

Scopophilia النظر الجنسي - التلذذ الجنسي من المشاهدة
«Seeing is believing الرؤية اعتقاد
Self assertion تحقيق الذات
Self - discipline الضبط الذاتي - تأديب الذات - تربية الذات
Sense of privacy الإحساس بالخصوصية
Sex offenders المجرمون جنسياً
Sexual arausal الإثارة الجنسية
Sexual deviation الانحراف الجنسي
Sexual deviations and sexual crimes الانحرافات والجرائم الجنسية
Sexual variations التنوعات الجنسية
Siblings الأخوات - الإخوة ، نسيب - أقارب
Skull الجمجمة
Slums الأحياء القذرة - المتدنية المستوى
Snubbed nose أنف قصيرة وفطساء
Social norms المعايير الاجتماعية
Social reform الإصلاح الاجتماعي
Social status المكانة الاجتماعية
Sociocultural Level المستوى الاجتماعي الثقافي
Sociolization التنشئة الاجتماعية - التطبيع الاجتماعي
Sociological theories النظريات الاجتماعية
Somatic level المستوى الجسمي
Sources of error منابع الخطأ
Speedy and public trial المحاكمة السريعة والعلنية
Stealing السرقة
Stealing cars سرقة السيارات
Stigmata of degeneration ملامح النشوة والانحلال والتفسخ
Stolen goods السلع المسروقة
Stress الضغط
Strife النزاع
Suicide الانتحار
Superego الذات العليا
Swindle case حالة الخداع
Sympathetic nervous الجهاز العصبي السمبتاوي
Sympathy العطف أو التعاطف الوجداني
Symptom إمارة - علامة - عرض مرض

« T »

Tattooing الوشم
Tendencies النزعات
Testimony شهادة - الشهادة
Theif الحرامي
Thieves اللصوص
Threatening التهديد
Thyroid gland الغدة الدرقية
Tools أدوات - آلات
Torencephalogram جهاز لقياس الموجات الدماغية
Tortures يسحل

Tramps	المتشردون - المتسكعون
Transgressions	مخالفات - آثام - أخطاء - انتهاكات
Transmission	انتقال
Transvestism	التشبه بالجنس الآخر
Treatment	علاج
Trial lawyer	محامي المحاكمة
Twins	التوائم

« U »

Under privileged Areas	المناطق المحرومة
Under reactive	منخفض الحساسية أو العاطفة
Undisputed	غير قابل للنزاع
Unemployment	البطالة
Unpleasant sensations	الإحساسات الغير سارة
Upheaval	الثورة والتهيج
Urban areas	المناطق الحضرية

« V »

Values	القيم
Variaties	تنوع
Verdict	الحكم - حكم المحلفين - رأي
Vertebrates	الحيوانات الفقارية - لهم عمود فقري
Victim	الضحية
Violate to	يخرق - يهدر
Violation of conventions	خرق التقاليد
Violent	عنيف
Violent crimes	جرائم العنف
Violent - Proneness	اتسهداف العنف
Vivid accounts	التأويل الحية
Voyeurism	التلصص والتجسس والتمتع برواية الأفعال الجنسية
Voyeurism and exhibitionism	الافتضاحية نزعة المرء إلى إظهار عورته - انحراف استراق الرؤية والاستعراء الجنسية

« W »

Wakefulness	حالة اليقظة - السهر - الأرق الصحو
Waking	يقظة - استيقاظ - مستيقظ - غير نائم
Wandering	التجوال - تجوال «شارد العقل»
Want - need	حاجة - رغبة - احتياج
War neurosis	عصاب الحرب
War of nerves	حرب الأعصاب
War -/Psychological	الحرب النفسية
Warning	تحذير - إنذار
Waves	موجات
Wayward	عنيد - متمسك برأيه صلب الرأي
Weak - minded	ضعيف العقل

Weak vision البصر - الأبصار الضعف
Weapons أسلحة
Widower أرمل
Will, volition إرادة - مشيئة - اختيار
Wisdom حكمة
Wise حكيم
Withdrawn Behaviour سلوك انسحابي
Worry انزعاج - هم - نكد - قلق
Writing tremor رعشة الكتابة أو رجفتها
Wundt's principles of emotional expression مبادىء فوندت في التعبير العاطفي

« X »

Xenomania هوس حب الأجانب
Xenophobia خواف الغرباء والأجانب

« Y »

Yawn تثاؤب
Yes-no test اختبار نعم أو لا
Yield حاصل - حصيلة - محصول - أنتج - يعطي
Yielding تسليم - استلام - خضوع
Yoga يوجا
Young فتى - غلام صغير السن
Youngster صبي - غلام - طفل - حدث
Youth الشباب - الفتوة - زمن الشباب
Youth problems مشكلات الشباب
Youth welfare رعاية الشباب

« Z »

Zeal غيرة - حماس - حمية
Zealous غيور - متحمس
Zest لذة - استمتاع - حماسة
Zionism الصهيونية - الحركة الصهيونية
Zionist صهيوني
Zoanthropy الجنون الحيواني - تصور الإنسان أنه حيوان
Zooerastia الجنسية الحيوانية - الميل الجنسي للحيوان «جماع الإنسان مع الحيوان»
Zoogony تكاثر
Zoology علم الحيوان
Zoomania الهوس بالحيوانات - الولع بالحيوانات
Zoophilia الحب غير العادي للحيوان
Zoophobia خواف الحيوانات
Zoopsychology علم النفس الحيواني
Zygosis اقتران

قائمة المراجع العربية والأجنبية

قائمة المراجع العربية

١ - أبو بكر جابر الجزائري ، منهاج المسلم ، مكتبة الدعوة الإسلامية ، شباب الأزهر - القاهرة ، ط ٢ ١٩٦٤ .

٢ - أحمد زكي صالح ، علم النفس التربوي ، ط ٦ ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٩ ، القاهرة .

٣ - أحمد الربايعة ، أثر الثقافة والمجتمع في دفع الفرد إلى ارتكاب الجريمة ، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ، الرياض ، السعودية ، ١٩٨٤ .

٤ - أحمد عزت راجح ، أصول علم النفس ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .

٥ - أسعد رزوق ، موسوعة علم النفس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٧ .

٦ - السيد علي شتا ، علم الاجتماع الجنائي ، دار الإصلاح ، الدمام ، السعودية ، ١٤٠٤ هـ .

٧ - انتصار يونس ، السلوك الإنساني ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٢ .

٨ - البخاري الإمام ، في صحيحه .

٩ - تقرير الأمن العام سنة ١٩٧١ ، مصلحة الأمن العام ، وزارة الداخلية المصرية ، القاهرة .

١٠ - ج . ل . فلوفل ، ترجمة لطفي فطيم ، علم النفس في مائة عام ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ١٩٧٣ .

١١ - الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء ، الكتاب الإحصائي السنوي لجمهورية مصر العربية ، يونيو ١٩٨٨ ، القاهرة .

١٢ ـ حامد عبد السلام زهران ، قاموس علم النفس ، مطبعة الشعب بالقاهرة ١٩٧٢ .
١٣ ـ حامد عبد السلام زهران ، علم النفس الاجتماعي ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٧ م .
١٤ ـ حامد عبد السلام زهران ، علم النفس النمو ، الطفولة والمراهقة ، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٧٧ م .
١٥ ـ حامد عبد السلام زهران ، الصحة النفسية والعلاج النفسي ، ط ٢ ، عالم الكتب ، ١٩٧٧ ، القاهرة .
١٦ ـ حسن شحاته سعفان ، علم الجريمة ، ط ٣ ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٦ ، القاهرة .
١٧ ـ حسن صادق المرصفاوي ، المرصفاوي في المحقق الجنائي ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، بدون تاريخ .
١٨ ـ حسن صادق المرصفاوي ، المرصفاوي في قانون العقوبات الخاص ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، ١٩٧٨ .
١٩ ـ حسن صادق المرصفاوي ، الإجرام والعقاب في مصر ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، بدون تاريخ .
٢٠ ـ محمد بن عبد الرحمن الجنيدل ، أثر الرشوة في تعثر النمو الاقتصادي وأساليب دفعها في ظل الشريعة الإسلامية ، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ، الرياض ، السعودية ، ١٩٨٢ .
٢١ ـ د. دافيد ، ف. شيهان ، ترجمة عزت شعلان ، مرض القلق ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، العدد ١٢٤ ، أبريل ١٩٨٨ .
٢٢ ـ ركس نايت ومرجريت نايت ، تعريب عبد علي الجسماني ، المدخل إلى علم النفس الحديث ، مكتبة النهضة ، العراق ، بغداد ودار القلم ، لبنان ، بيروت ، ط ٢ ١٩٧٠ .
٢٣ ـ رمسيس بهنام ، القسم الخاص في قانون العقوبات ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، بدون تاريخ .
٢٤ ـ رمسيس بهنام ، الجرائم المضرة بالمصلحة العمومية ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، ١٩٨٦ .

٢٥ - رمسيس بهنام ، الإجراءات الجنائية تأصيلاً وتحليلاً ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، ١٩٧٧ .

٢٦ - رمسيس بهنام ، علم الإجرام ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، ١٩٨٦

٢٧ - سامية لطفي الأنصاري ، الإرشاد والتوجيه والعلاج النفسي ، نشر المؤلفة ، ١٩٨٧ .

٢٨ - سعد جلال ، المرجع في علم النفس ، دار المعارف بمصر ، ط ٢ ١٩٦٢ .

٢٩ - سعد جلال ، في الصحة العقلية ، دار المطبوعات ، ١٩٧٠ ، القاهرة .

٣٠ - سليمان محمد الطماوي ، القضاء الإداري ، دار الفكر العربي ، ١٩٧٧ ، القاهرة .

٣١ - سمير نعيم أحمد ، الدراسة العلمية للسلوك الإجرامي ، مطبعة دار التأليف ، ١٩٦٩ ، القاهرة .

٣٢ - شيلدون كاشدان ، ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة ، علم النفس الشواذ ، دار الشروق بالقاهرة ، ط ٣ ١٩١٤ .

٣٣ - صالح المنصور ، موقف الإسلام من الخمر ، الناشر المؤلف ، القاهرة ١٤٠٥ هـ .

٣٤ - عاطف عبد الفتاح عجوة ، البطالة في العالم العربي وعلاقتها بالجريمة ، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ، الرياض ، السعودية ، ١٩٨٥ .

٣٥ - عبد الرحمن محمد عيسوي ، علم النفس في الحياة المعاصرة ، دار المعارف ، ١٩٧٨ ، الإسكندرية .

٣٦ - عبد الرحمن محمد عيسوي ، سيكولوجية الجنوح ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، بدون تاريخ .

٣٧ - عبد الرحمن محمد عيسوي ، علم النفس علم وفن ، دار المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٨٠ .

٣٨ - عبد الرحمن محمد عيسوي ، علم النفس ومشكلات الفرد ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، ١٩٧٢ .

٣٩ ـ عبد الرحمن محمد عيسوي ، دراسات سيكولوجية ، منشأة المعارف ، بالإسكندرية ١٩٨١ .
٤٠ ـ عبد الرحمن محمد عيسوي ، علم النفس بين النظرية والتطبيق ، دار المعارف بالإسكندرية ، بدون تاريخ .
٤١ ـ عبد الرحمن محمد عيسوي ، اتجاهات جديدة في علم النفس الحديث ، دار المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٨١ .
٤٢ ـ عبد الرحمن محمد عيسوي ، العلاج النفسي ، دار الفكر الجامعي ، ١٩٧٩ ، الإسكندرية .
٤٣ ـ عبد الرحمن محمد عيسوي ، العدوان والسيطرة مع دراسة عن العصاب والانبساط والكذب في عينات لبنانية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٦ .
٤٤ ـ عبد الرحمن محمد عيسوي ، الآثار النفسية والاجتماعية للتليفزيون العربي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة دراسات نفسية ميدانية ، الإسكندرية ، ١٩٧٩ .
٤٥ ـ عبد الرحمن محمد عيسوي وعلي عبد الحميد ، صحتك النفسية والجنس ، الناشر المؤلفان ، ١٩٧٠ .
٤٦ ـ عبد الرحمن محمد عيسوي ، قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية ، الدار الجامعية ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .
٤٧ ـ عبد الرحمن محمد عيسوي ، مناهج البحث في علم النفس ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، ١٩٨٨ .
٤٨ ـ عبد الرحمن العيسوي ، سيكولوجية الشباب العربي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٥ .
٤٩ ـ عبد الرحمن العيسوي ، علم النفس والإنسان ، منشأة المعارف ، بالإسكندرية ، ١٩٧١ .
٥٠ ـ عبد الرحيم صدقي ، مبادىء علم الكريمونولوجي ، دار المعارف ، ط ١ ١٩٨٥ ، القاهرة .
٥١ ـ عبد الرحيم صدقي ، مقدمة في دراسة علم الإجرام العام والمعملي ، دار المعارف ، ١٩٨٤ ، القاهرة .

٥٢ - عبد السلام الشيخ ، علم النفس منظور منهجي جديد ، نشر المؤلف ، ١٩٨٣ .
٥٣ - عبد السلام عبد الغفار ، مقدمة في علم النفس العام ، دار مكتبة الجامعة العربية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٩ .
٥٤ - عبد العزيز القوصي ، علم النفس : أسسه وتطبيقاته التربوية ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٤ ، القاهرة .
٥٥ - عبد الوهاب حومد ، المجرم والقانون ، مجلة عالم الفكر ، المجلد الخامس ، العدد ٣ ، ديسمبر ١٩٧٤ ، وزارة الإعلام .
٥٦ - عدنان الدوري ، الجريمة والمجرم ، مجلة عالم الفكر ، العدد ٣ ، المجلد الخامس ، ديسمبر ١٩٧٤ ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ص ٣ .
٥٧ - عزيز حنا داود ، وزكريا زكي اثناسيوس ، دراسات في علم النفس ، جـ ١ ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٠ ، القاهرة .
٥٨ - عمر السعيد رمضان ، دروس في علم الإجرام ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان . ١٩٦٥ .
٥٩ - عوض محمد ، مبادىء علم الإجرام وعلم العقاب ، الكتاب الأول علم الإجرام ، ١٩٧١ ، بدون ناشر .
٦٠ - فاروق سعد عبد السلام ، سيكولوجية الإدمان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٧ م .
٦١ - فرج عبد القادر طه وآخرون ، معجم علم النفس والتحليل النفسي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، بدون تاريخ .
٦٢ - القرآن الكريم .
٦٣ - مأمون محمد سلامة ، أصول علم الإجرام والعقاب ، دار الفكر العربي ، ١٩٧٨ ، القاهرة ،
٦٤ - محمد عارف ، الجريمة في المجتمع ، ط ٢ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨١ ، القاهرة .
٦٥ - محمد عاطف غيث وآخرون ، قاموس علم الاجتماع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩ ، الإسكندرية .

٦٦ - محمد عبد الظاهر الطيب ، محاضرات في علم النفس الإكلينيكي ، مكتبة سماح طنطا ، مصر ، ١٩٨٦ .
٦٧ - محمد شحاته ربيع ، تاريخ علم النفس ومدارسه ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٦ .
٦٨ - محمد فتحي ، علم النفس الجنائي علماً وعملاً ، جـ ١ ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٣ ١٩٥٨ ، القاهرة .
٦٩ - محمود السيد أبو النيل ، معجم علم النفس والتحليل النفسي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .
٧٠ - مسلم الإمام ، في صحيحه .
٧١ - مصطفى العوجي ، التربية المدنية كوسيلة للوقاية من الانحراف ، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ، الرياض ، السعودية ، ١٩٨٥ .
٧٢ - منير البعلبكي ، المورد قاموس انجليزي عربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط ١٤ ، ١٩٨٠ .
٧٣ - يوسف مراد ، مبادىء علم النفس العام ، دار المعارف بمصر ، ١٩٨٢ .
٧٤ - الكتاب السنوي في علم النفس ، المجلد الأول ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٤ .

« قائمة بالمراجع الأجنبية »

1 - Brown. J. M.. and others, Applied psychology, Amerind co, put, ltd., New york, London, 1966.

2 - Carell, H. A., Mental Hygiene, Prentice - Hall, New Jersey, 1964.

3 - Carroll. H. A., Mental Hygiene, Fourth Edition, Prentice - Hall, Inc., Englewood Gliffs, New Jersey, 1964.

4 - Checklev, H. M., psychopathetics state, Cited in Arieti, S., Psychiatry, New york, 1959.

5 - Coleman, J., Abnormal psychology and Modern life, 2nd, Edition, Scott, Foresman and Company, Chicago, 1956.

6 - Davison, G. C., and Neale, G. M., Abnormal psychology, Second edition, John Wiley and sons, New york, 1978.

7 - Davis, R. H., Introduction to psychology, London, 1962.

8 - Drever. J., A dictionary of psychology, Penguin Books, 1964.

9 - English. H. B, and English. A. C., A comprehensive dictionary of psychological and psychoanalytical Terms, Longmans, London, 1958.

10 - Gallatin. J., Abnarmal psychology, Macmillan publishing Co., Inc. New york, 1987.

11 - Greer. S., Study of parental lossin the neurotie and socio paths, Archives of General psychiatry, 1964.

12 Hansen . J C and Stevic. R. R.. Elementary school guidance, the Macmillan Co.. London. 1969 .

Harriman . P. L.. Dictionary of psychology, the philosophical library, New york, 1947 .

14 - Hilgard. E. Z., Introduction to psychology, 3rd. Rupert Hart - Davis. S, London . 1962 .

15 - Hoover, J. E., Crime in the United States .

16 - Hollander. E. P., Social psychology, Fourth edition, New york, Oxford university press, 1987 .

17 - Horrison, R. H. and Gowin . L. E., the elementary teacher in action, wadswarth . San Francisco . 1959 .

18 - Klineberg. O., Social psychology , Holt, Rinehart and winston, New york, 1954 .

19 - Lindesmith . A. R, and Strauss. A. L., Social psychology , Holt, Rinehart and winston, New york, Chicago, 1968 .

20 - London, P. and Rosentran P. Foundations of Abnormal psychology, Halt, Rinehart and winston, inc, New york 1968.

22 - Martin , B., Abnormal psychology , Send. Ed. Holt, Rinehart and Winston, N. Y. 1981 .

23 - Mccord, W and Mccord. J., The psychopathan essay on the criminal mind, Van Nostrand. N. York , 1964 .

24 - Myers . D. G., Social psychology , Mc - Graw - Hill Book company , New york . San Francisco , 1983 .

25 - Page , J. D., Abnormal psychology , Tata Mc Graw - Hill Publishing . Co . New Delhi , 1976 .

26 - Perlman, D, and Cozby. P. C., Social psychology, Holt, Rinehart and Winston , New York , London , 1983 .

27 - Samliel. W., Personality, Mc Graw - Hill International Book Company , London , Tokyo , 1981 .

28 - Sanford. F. H., Psychology : A Scientific study of man, wadsworth . San Francisco. 1961
29 - Shanmu Gam T. E., Abnormal psychology . Tata Mc. Graw - Hill Co. New Delhi. 1981 .
30 - Sherif . and S., An outlinen of social Psychology , Harper and Row , Publishers , New York . 1956 .
- Strange. J. R., Abnormal psychology , Mc Graw - Hill Book company. New York . London , 1965 .
- Sutherland , E. H., and Cressey. D. R., Criminology . Eighth edition. J. B. Lippincott company Philadelphia New York , Toronto , 1970 .

الفهرس